التسهيل لتأويل التنزيل

تفسير جزء عم

في سؤال وجواب

الجزء الأول

من سورة النبأ إلى سورة التين

تأليف

أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

بسم الله الرحمن الرحيم

التَّسْهِيلُ لِتَأْوِيلِ التَّنْزِيلِ

الطبعة الثانية

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٨٣٦٤ / ١٩٩٧

الناشر

مكتبة مكة

طنطا : ١٠ ش طه الحكيم أمام استوديو فينوس

ت: ٠٤٠٣٣٤٥٧٤٥ - ٠١٢٣٤٨٩٨٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد للَّه نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده اللَّه فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[النساء: ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١] .

وبعد .. فإن أصدق الحديث كتاب اللَّه وخير الهدي هدي محمد

ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار . . . **أما بعد** :

فبين أيدينا تفسير جزء عم في صورة سؤال وجواب ، قدمته ضمن مشروعي العام (تفسير القرآن في سؤال وجواب)الموسوم بـ (التسهيل لتأويل التنزيل)راجيًا من اللَّه سبحانه وتعالىٰ أن ينفعني به وإخواني المؤمنين وأخواتي المؤمنات في الدنيا والآخرة .

●وقد قدمت الخطة العامة لهذا العمل في الأجزاء الأُول التي تناولت فيها سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران .

● هذا ويتسم (جزء عم)علىٰ وجه الخصوص ـ وقد جمع بين أول سورة نزلت من القرآن (وهي العلق) وآخر سورة نزلت كاملة وهي (النصر) ـ بأنه تعرض في أكثر سوره لذكر البعث واليوم الآخر ، ومقدماتهما من الموت وأشراط الساعة العظمىٰ وأيضًا ما يتعلق بالجنان وأهلها ـ جعلنا اللَّه منهم ـ وما يتعلق بالنار أجارنا اللَّه منها وأعاذنا .

●وقد أفردت في هذا الجزء صفحات لعدة مباحث فقهية أيضًا تتعلق بسور هذا الجزء حتىٰ لا يخلو الكتاب من الفوائد الفقهية لمريدها ومُبتغيها .

● هذا وقد اقتصرت علىٰ الصحيح من أسباب النزول وتركت جملة أسبابٍ للنزول أوردها المفسرون في تفاسيرهم لضعف أسانيدها .

وقد اتجهت إلىٰ الإسهاب كلما احتاج الأمر إلىٰ إسهاب واختصرت كلما احتاج الأمر إلىٰ اختصار ، وأوردت عدة معاني للكلمة

الواحدة التي تحتمل تعدد المعاني .

هذا ، وما كان من صواب في هذا الكتاب فمن اللَّه وحده سبحانه وتعالىٰ فمنه النعم وله الفضل وله الثناء الحسن ، وهو أعلم بكتابه وأعلم بتأويله وما توفيقي إلا باللَّه ، وما كان من خطإ فمن نفسي ومن الشيطان واللَّه ورسوله بريئان من ذلك ، وشكر اللَّه لمن أسدىٰ إلينا وللمسلمين نصحًا وستر لنا عيبًا ونصح للَّه ورسوله ، وصلِّ اللهم وسلم وبارك علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم .

كتبه أبو عبد اللَّه

مصطفى بن العدوي شلباية

مصر ـ الدقهلية ـ منية سمنود



سُورَةُ النَّبَإِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾

س ـ اذكر معاني هذه الكلمات :

عمَّ ـ يتساءلون ـ النبأ ـ مهادًا ـ أوتادًا ـ سباتًا ـ سراجًا وهاجًا ـ المعصرات ـ ثجاجًا ـ حبًّا ـ نباتًا ـ جنات ـ ألفافًا .

ج

الكلمة	معناها
عـــمَّ	عن ماذا ـ عن أي شيء
يتساءلون	يسأل بعضهم بعضًا
النبـــأ	الخبر

الكلمة	معناها
مهــــادًا	ممهدة للخلائق ـ مستوية كفراش الطفل ـ مبسوطة مذللة للخلائق ثابتة وساكنة
أوتـــادًا	جمع وتد[١] وهو الشيء الذي يدق في الأرض وتُربط فيه الأشياء
سباتًـــا	السُّبات : السكون والراحة
سراجًـــا	المراد به هنا الشمس
وهاجًـــا	مضيئًا ـ منيرًا ـ متلألأ[٢]
المعصرات	السُّحب
ثجاجًـــا	منصبًّا كثيرًا متتابعًا ـ والثج: هو الصب الكثير المتتابع[٣]

(١) المراد أن الجبال للأرض كالأوتاد للأشياء ، فكما أن الشيء يربط في الوتد فكذلك جعل اللّه الجبال أوتادًا للأرض أرساها بها وثبتها وقررها وسكنها فسكنت ولم تضطرب .

(٢) فالمعنى : وجعلنا شمسًا مضيئة متلألئة .

ومن العلماء من قال: نبه بقوله: (سراجًا) على نعمته على عباده بنورها وضوئها ، ونبه بقوله: (وهاجًا) على نعمته بحرارتها لما في حرارتها من المنافع في كثير من الأحيان .

(٣) ومنه ما روي عن النبي ﷺ **«أفضل الحج العج والثج»** أخرجه الترمذي (٢٩٩٨) ، وابن ماجة (٢٨٩٦) من حديث ابن عمر مرفوعًا ، وفي إسناده إبراهيم بن يزيد الخوزي وهو متروك ـ وله طرق أخرى مرفوعة إلى النبي ﷺ لكنها ضعيفة ، انظر «تلخيص الحبير» (٢/ ٢٤٠) وقد روي موقوفًا بإسناد صحيح عن ابن عباس عند ابن أبي شيبة في «المصنف» .

ويعني بالثج : كثرة صب دماء الهدي والبدن ، ومنه قول الصحابية التي استحيضت ـ تصف =

الكلمة	معناها
حبًّـــا	الحب هو : ما يقتات به كالحنطة والشعير ونحوهما
نباتًـــا	النبات هو : ما تأكله الدواب من الحشيش والتبن والكلأ وسائر النبات
جنـــات	بساتين وحدائق ، وقال بعض العلماء : إن المراد بقوله تعالى : ﴿وجنات﴾ أي : ثمر جنات
ألفافًـــا	ملتفة ـ مجتمعة[١]

* * *

س ـ ما معنى قوله تعالى : ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ؟ وما المراد من الاستفهام هنا ؟

ج : معناها ـ والله أعلم ـ : عن أي شيء يسأل بعضهم بعضًا ، وأصل (عم) عن ما ، فحذفت الألف للاستفهام كقوله: (فيم ، مِمَّ) ، وأدغمت النون في الميم ومعنى قوله تعالى : ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ يسأل بعضهم بعضًا .

= قدر دمها ـ : (إنما أثج ثجًا) أخرجه أحمد (٦/ ٤٣٩) ، وأبو داود (٢٨٧) ، والترمذي في «الطهارة» (باب ٩٥) ، وابن ماجه (٦٢٢) من حديث حمنة بنت جحش رضي الله عنها وفي إسناده عبد الله بن محمد بن عقيل والراجح ضعفه .

(١) **نقل الطبري إجماع أهل التأويل على أن ألفافًا معناه ملتفة** ، وأورد بإسنادين يصح أحدهما بالآخر عن قتادة أن معناه : التف بعضها على بعض ، ونحوه بإسناد صحيح عن ابن زيد .

● والتساؤل أحيانًا يطلق على الحديث والكلام وإن لم يكن هناك سؤال ، قال اللَّه تعالى : ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ .... ﴾[1] [الصافات: ٥٠، ٥١] .

● أما المراد من الاستفهام تعظيم الأمر الذي يتساءلون عنه ، وليس المراد ـ واللَّه أعلم ـ حقيقة الاستفهام ، وذلك لأن اللَّه سبحانه يعلم الذي يتساءلون عنه .

* * *

س ـ من هم الذين يتساءلون ؟

ج : الذين يتساءلون هم المشركون ، وقيل : الناس .

ومستند القائلين بأن الذين يتساءلون هم المشركون هو التهديد الوارد لهم في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ [النبأ: ٤، ٥] والتهديد لا يكون إلا للكفار .

لكن يوجه للقائلين بهذا الرأي سؤال ، وهو: إن اللَّه قال: ﴿ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴾ [النبأ: ٣] فهل كان الكفار مختلفين في أمر البعث ؟ فالمعهود أنهم ينكرون البعث ؟ ! فيُجاب على هذا السؤال بأن من

---

(١) وقد يكون هذا مضمن لمعنى السؤال أيضًا بمعنى أن بعضهم أقبل يسأل بعضًا عن قرينه الذي كان يقول له : ﴿ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ [الصافات: ٥٢، ٥٣] أين ذهب به .. ﴿ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٥٥] (أي : في وسط الجحيم) .

الكفار من كان يثبت المعاد الروحاني وهم جمهور النصارى ، وأما المعاد الجسماني فمنهم من كان شاكًّا فيه كما قال : ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ [فصلت: ٥٠] وكقولهم : ﴿ إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾ [الجاثية: ٣٢] وكما قال الآخر : ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ [الكهف: ٣٦] فمنهم من كان شاكًّا في البعث ، ومنهم من كان جازمًا بعدم وقوعه كما قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٩]، ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ ﴾ [الجاثية: ٢٤] .

● أما وجه القائلين بأن الذي يتساءلون هم عموم الناس فيقال : إن المسلم يتساءل ليزداد بصيرة ويقينًا في دينه ، وأما الكافر فيسأل على سبيل السخرية والاستهزاء وإيراد الشكوك والشبهات .

* * *

س ـ ما هو الشيء الذي يتساءلون عنه ؟

ج : الذي يتساءلون عنه هو النبأ العظيم .

* * *

س ـ ما هو وجه إيراد قوله تعالى : ﴿ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴾ [النبأ : ٢] ؟

ج : وجه إيراده : أنه إخبار من اللَّه تبارك وتعالى لنبيه ﷺ عن الشيء الذي يتساءل عنه المشركون ، فالمعنى : إذا سألت يا محمد عن

الشيء الذي يتساءل عنه المشركون فاعلم أنهم يتساءلون عن النبأ العظيم.

● ويحتمل أن يقال أيضًا : أتدري يا محمد عن أي شيء يتساءل هؤلاء المشركون ؟ (أي : يسأل بعضهم بعضًا) إنهم يتساءلون عن النبأ العظيم .

وهذه الآية نحو قوله تعالى : ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] .

* * *

س ـ ما المراد بالنبأ العظيم ؟

ج : **قال بعض أهل العلم** : إن المراد بالنبأ العظيم (القرآن) وذلك لقول اللَّه تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾ [ص: ٦٧ ، ٦٨] .

وقال آخرون : إن المراد بالنبأ العظيم البعث بعد الموت [1] ، وذلك لأن اللَّه سبحانه وتعالى استدل عليهم بقوله : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ ... إلى أن قال : ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ

---

(١) صح عن قتادة (عند ابن جرير الطبري) في قوله: ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ وهو البعث بعد الموت وكذلك صح عن ابن زيد (عند الطبراني أيضًا) أنه قال في قوله : ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ... ﴾ [النبأ: ١] قال يوم القيامة ، قال : قالوا هذا اليوم الذي تزعمون أنا نحيا فيه وآباؤنا ، قال : فهم فيه مختلفون ، لا يؤمنون به، فقال اللَّه: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [ص: ٦٧ ، ٦٨] يوم القيامة لا يؤمنون به .

كَانَ مِيقَاتًا ﴾ [النبأ: ٦ - ١٧] فذكرت براهين البعث والدلائل عليه ثم عقبها بقوله تعالى: **﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴾** [النبأ: ١٧] والله تعالى أعلم .

● **وثمَّ قول ثالث** : أن المراد بالنبأ العظيم نبوة محمد ﷺ لأنهم تعجبوا من بعثته ومجيئه بالتوحيد ، كما قال تعالى: **﴿ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ﴾** [ص: ٤] ، وكما حكى سبحانه مقالتهم : **﴿ .. أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾** [ص: ٥] .

* * *

س ـ ما هو وجه اختلافهم في النبأ العظيم ؟

ج : اختلاف الناس في النبأ العظيم على النحو التالي :

● إن حُمل **﴿ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴾** [النبأ: ٢] على البعث ، فاختلاف الناس فيه بين مصدق بوقوعه وبين مكذب[١] .

● وإن فُسر (النبأ العظيم) بالقرآن ، فوجه اختلافهم فيه : فريق منهم يقول : إنه قول شاعر ، وفريق يقول : إنه قول كاهن ، وفريق يقول : هو من عند الله ، وفريق يقول : **﴿ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ**

---

(١) أخرج الطبري بأسانيد تصح عن قتادة رحمه الله في قوله تعالى : **﴿ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴾** [النبأ: ٣] : صار الناس فيه رجلان ، مصدق ومكذب ، فأما الموت فإنهم أقروا به كلهم لمعاينتهم إياه ، واختلفوا في البعث بعد الموت .

تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفرقان: ٥] ، . . . . . إلىٰ غير ذلك من الأقوال .

❋ ❋ ❋

س ـ ما معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿كَلاَّ﴾ [النبأ: ٤] ؟

ج : ● **قال بعض العلماء:** إنها للردع والزجر[١]، والمعنىٰ هنا: ليس الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون الذين ينكرون بعث اللَّه إياهم أحياء بعد مماتهم ، وليس الأمر كما يزعمون أن القرآن ليس من عند اللَّه .

● **وقال بعض أهل العلم: ﴿كَلاَّ﴾** لفظة وضعت لرد شيء قد تقدم.

● **وقال بعض أهل العلم :** إن **﴿كَلاَّ﴾** بمعنىٰ حقًّا .

❋ ❋ ❋

س ـ قوله تعالىٰ : ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ: ٤] **سيعلمون ماذا ؟ ومتىٰ سيعلمون ؟**

ج : ● سيعلمون أن البعث واقع لا محالة ، وكائن لا مفر منه ولا محيص عنه .

● وسيعلمون أيضًا أن القرآن حق وما أخبر به صدق وسيعلمون عاقبة تكذيبهم .

● أما متىٰ سيعلمون فسيعلمون عند موتهم واستخراج أرواحهم من

---

(١) في هذا دليل للقائلين بأن المختلفين هم الكفار .

أجسادهم ، وسيعلمون كذلك في قبورهم وسيعلمون عند خروجهم من القبور للحساب أيضًا ، واللَّه تعالىٰ أعلم .

* * *

س ـ ما فائدة التكرار في قوله تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ ﴾ [النبأ : ٥]؟

ج : ● فائدته : التأكيد علىٰ وقوعه وإعلامهم بوقوعه .

● **ومن العلماء من قال :** ﴿ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ ﴾ [النبأ: ٤] أي : الكفار سيعلمون عاقبة تكذيبهم ، وقوله: ﴿ ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ ﴾ [النبأ: ٥] المؤمنون سيعلمون جزاء تصديقهم .

● **ومن العلماء من قال :** ويحتمل أن يريد بالأول سيعلمون وقوع الحشر والحساب والثاني سيعاينون العذاب إذا شاهدوه .

* * *

س ـ ما المراد بالأزواج في قوله تعالىٰ : ﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ [النبأ: ٨] ؟

ج : ● **قال بعض أهل العلم :** إن المراد بقوله تعالىٰ : ﴿ أَزْوَاجًا ﴾ أي : ذكرانا وإناثًا ، وشاهده من التنزيل قوله تعالىٰ : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ... ﴾ [الروم: ٢١] وقوله تعالىٰ : ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ ﴾ [النجم: ٤٥]

● **ومن أهل العلم من قال** : إن معنى أزواجًا : أصنافًا ، والمعنى أيضًا : منكم الذكر ومنكم الأنثى ومنكم الطويل ومنكم القصير ، ومنكم الدميم ومنكم الجميل ، ومنكم القوي ومنكم الضعيف ، ومنكم الغني ومنكم الفقير ، و . . و . . وهكذا ، والله تعالى أعلم .

س ـ ما المراد بكون اللَّيْل لِبَاسًا ؟ وما هو وجه الامتنان بجعل الليل لباسًا ؟

ج : المراد ـ والله أعلم ـ : جعلناه لكم كاللباس فالليل يغشى الناس بسواده وظلامه كما يغطي الثوب لابسه ، وذلك كقوله تعالى : ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا**﴾ [الشمس: ٤] ، وقيل : المراد باللباس هنا السكن والله تعالى أعلم .

ووجه الامتنان والإنعام في جعل الليل لباسًا أي : ساترًا يستر عن العيون : أن من أراد عبادة ربه حيث لا يراه أحد من الناس فليقم من الليل يصلي فالليل يستره عن عيون الناس ، ومن أراد هربًا من عدوٍّ أو تبييتًا لعدوٍ فالليل يصلح فيه ذلك كما قال تعالى : ﴿**إِلاَّ آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ**﴾ [القمر: ٣٤] ، ومن أراد الراحة والستر على نفسه فيه ففيه الراحة والسكون والستر على النفس ، وأيضًا يندفع عن الشخص بالليل أذى التعب الجسماني ، وأذى انتقادات البشر له ، والله أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بكون النَّهار مَعَاشًا ؟

ج : المراد ـ واللَّه أعلم ـ : جعلناه وقتًا مهيئًا للمعاش فجعلناه مشرقًا منيرًا مضيئًا ليتمكن الناس من التصرف فيه والذهاب والمجيء للمعاش والتكسب والتماس الأرزاق وابتغاء الفضل من اللَّه سبحانه وتعالى ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بالسبع الشداد ؟ ولماذا وصفت بأنها شداد ؟

ج : المراد بالسبع الشداد : السموات السبع ، قال اللَّه تعالى : ﴿ **وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ** ﴾ [الذاريات: ٤٧] ووصفت بأنها شداد ـ أي : قوية محكمة ـ لكونها لا تصدع فيها ولا انفطار ولا شقوق بل هي مشدودة بعضها لبعض محكمة قوية كما قال تعالى : ﴿ **وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ** ﴾ [الذاريات: ٧] .

* * *

س ـ وضح معنى ﴿ الْمُعْصِرَاتِ ﴾ [النبأ: ١٤] بشيء من التفصيل ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : أنها الرياح التي تعصر السحب بهبوبها ، وقد روى الطبري بإسناد صحيح إلى ابن زيد في قوله : ﴿ **وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ** ﴾ [النبأ: ١٤] قال : المعصرات : الرياح ، وقرأ قول اللَّه : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ..** ﴾ [الروم: ٤٨] إلى آخر الآية .

وأورد الطبري أيضًا بإسناد حسن إلى قتادة قال : هي في بعض القراءات ﴿وأنزلنا بالمعصرات﴾ : الرياح .

الثاني : أنها السحب التي حملت بالماء وأوشكت أن تُمطر ، كالمرأة المعصر التي دنا حيضها ولم تحض .

الثالث : أنها السموات ، فقد أخرج الطبري بإسناد صحيح إلى الحسن قال : ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ [النبأ: ١٤] قال : من السماء .

وبإسناد يصح عن قتادة قوله : ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ قال : من السموات .

واختار ابن جرير الطبري رحمه الله القول القائل بأن المراد بالمعصرات السحاب ، ودلل على ذلك بما حاصله أن الرياح لا ماء فيها فلا يقال : وأنزلنا من الرياح .

وقال أيضًا ما حاصله : إنه وإن صح أن يقال وأنزلنا من السماء ماء ثجاجًا إلا أن الأغلب أن الماء إنما ينزل من السحاب، والله تعالى أعلم.

* * *

براهين البعث :

س - ما هي براهين البعث المذكورة في هذه السورة ؟

ج : **البراهين على البعث في هذه السورة أربعة ، وهي :**

أ - **الاستدلال على البعث بخلق السموات والأرض** ، قال تعالى :

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾ [النبأ: ٦ - ١٢] .

وهذا يدل على البعث فاللَّه عز وجل يقول : ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ [غافر: ٥٧] .

٢ - الاستدلال على البعث بإحياء الأرض بعد موتها ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴾ [النبأ: ١٤ - ١٧] .

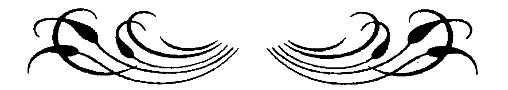
فإحياء الأرض بعد موتها دليل على البعث كما قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ [فصلت: ٣٩] .

٣ - الاستدلال على البعث بخلق الإنسان ، قال تعالى : ﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ [النبأ: ٨] فالذي خلق الإنسان قادر على إعادته وإحيائه ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس: ٧٩] .

٤ - الاستدلال على البعث بإحياء الموتى في الدنيا كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ [النبأ: ٩] ، والنوم هو الموتة الصغرى ، وكان النبي ﷺ يقول إذا استيقظ من نومه : «**الحمد للَّه الذي أحيانا بعد ما أماتنا**

وإليه النشور»[١] .

فإحياء الأنفس بعد موتها من أدلة البعث، كما قال تعالى: ﴿ **فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ [البقرة: ٧٣] .



---

(١) أخرجه البخاري (مع «الفتح» ١١/١١٣) ، ومسلم (مع النووي ١٧/٣٥) من حديث حذيفة رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

س ـ اذكر معاني هذه الكلمات :

ميقاتًا ـ أفواجًا ـ سرابًا ـ مرصادًا ـ للطاغين ـ مآبًا ـ لابثين ـ أحقابًا ـ بردًا ـ حميمًا ـ غساقًا ـ وفاقًا ـ لا يرجون ـ كذابًا .

ج :

الكلمة	معناها
ميقاتًا	مؤقتًا بأجل معدود لا يزاد عليه ولا ينقص منه ولا يعلم وقته إلا اللَّه ـ وقيل: ميقاتًا لاجتماع كل الخلائق ـ وقيل: ميقاتًا لما وعد اللَّه من الثواب والعقاب
أفواجًا	جماعات جماعات

الكلمة	معناها
سرابًا	السراب : هو ما يراه الرائي من بعيد فيحسبه ماءً وليس هو بشيء
مرصادًا	ذات رصد وترقب ـ رصد الشيء : ترقبه وتطلع إليه
للطاغين	الطاغون: هم الذين طغوا في الدنيا وتجاوزوا حدود الله استكبارًا على الله
مآبًا	مرجعًا ومنزلاً ومأوى(١)
لابثين	ماكثين
أحقابًا	الحقب : مدة زمنية طويلة(٢)
بردًا	هو ما يبرد أجوافهم وقلوبهم ، وقيل : هو برد الريح ، وقيل : المراد بالبرد : النوم(٣)، وقيل : لا يتنفسون هواءً باردًا يبرد أجوافهم
حميمًا	الحميم هو الشراب الذي انتهى حره وحموه وبلغ أعلى درجات حرارته

(١) روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال : ﴿ **للطاغين مآبًا** ﴾ أي : منزلاً ومأوى .

(٢) وسيأتي الكلام عليه في سؤال مستقل .

(٣) قال الشاعر : **بردت مراشفها علي فصدني .. عنها وعن قبلاتها البرد**

قال الطبري رحمه الله : والنوم إن كان يبرد غليل العطش فقيل له من أجل ذلك : البرد ، فليس هو باسمه المعروف ، وتأويل كتاب الله على الأغلب من معروف كلام العرب دون غيره .

الكلمة	معناها
غساقًا	غسالة أهل النار[١] ـ ما يسيل من صديد أهل النار ـ وقيل : إنه الزمهرير ـ وقيل : هو المنتن
وفاقًا	موافقًا لأعمالهم[٢] ، كما قال تعالى : ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾
لا يرجون	لا يخافون ـ لا يتوقعون
كذابًا	تكذيبًا كبيرًا

* * *

س ـ ما المراد بيوم الفصل ؟ ولماذا أطلق عليه يوم الفصل ؟

ج : المراد بيوم الفصل : يوم القيامة ، وأطلق عليه يوم الفصل لأن الله يفصل فيه بين خلقه بين المحسن والمسيء والمحق والمبطل

---

(١) صح عند الطبري عن إبراهيم وأبي رزين أنهما قالا : (غسالة أهل النار) ، وفي لفظ : ما يسيل من صديدهم ، وروى الطبري بإسناد حسن عن قتادة : ما يسيل من بين جلده ولحمه ، وقال الطبري رحمه الله : الغساق الفعال ، من قولهم : غسقت عين فلان إذا سالت دموعها ، وغسق الجرح إذا سال صديده .

وصح عن ابن زيد عند الطبري أنه قال : الحميم : دموع أعينهم في النار يجتمع في خنادق فيسقونه ، والغساق : الصديد الذي يخرج من جلودهم مما تصهرهم النار في حياض يجتمع فيها فيسقونه .

(٢) روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال : وافق الجزاء أعمال القوم أعمال السوء ، وروى الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد قال : عملوا شرًّا فجزوا شرًّا ، وعملوا حسنًا فجزوا حسنًا ثم قرأ : ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَىٰ أن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [الروم: ١٠] .

فيأخذ فيه من بعضهم لبعض .

* * *

س ـ ما المراد بالصور ؟

ج : الصور هو قرن يُنفخ فيه .

ومن العلماء من قال : إن المراد بالصور الخَلق[1] .

* * *

س ـ كيف تجمع بين قوله تعالى : ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم: ٩٥] ، وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ [النبأ: ١٨] ؟

ج : الظاهر لي ـ والله تعالى أعلم ـ : أن إتيانهم أفواجًا[2] إنما هو فور النفخ في الصور وعند خروجهم من القبور ، كما قال تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ [يس: ٥١] ، وكما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ

(١) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة ، قوله : ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ [النبأ: ١٨] والصور: الخلق ، والمراد على هذا التأويل بالنفخ في الصور نفخ الأرواح في الأجساد .

(٢) والمراد بإتيانهم أفواجًا ، أي : فوجٌ يتلوه فوج أو فوج معه فوج ، ومن العلماء من قال : إن المراد بالأفواج الجماعات المختلفة فمنهم فوج يحشر أعمى ، كما قال تعالى : ﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤] ، ومنهم فوج يأتي اصم وابكم واعمى كما قال تعالى : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ [الإسراء: ٩٧] ، ومنهم من يحشر أمثال الذر كالمتكبرين ، ومنهم من يحشر له لواء عند استه وهو الغادر .... إلى غير ذلك من الأوصاف .

يُوفِضُونَ ﴾ [المعارج: ٤٣] ، وكما قال تعالى : ﴿ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ [القمر: ٧] .

- أما مجيئهم فرادى فذلك عند لقاء اللَّه للسؤال والحساب .

***

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴾ ؟

ج : معناه ـ واللَّه أعلم ـ : أن السماء بعد أن كانت متماسكة ومحبوكة ومجتمع بعضها إلى بعض كما قال تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾ [الذاريات: ٧] ، وليس فيها فروج ولا ثقوب كما قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ [ق: ٦] ، وكما قال تعالى: ﴿ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ [الملك: ٣]، بعد ذلك كله ويوم القيامة تتفتح السماء فتكون أبوابًا أي : طرقًا ومسالكَ [1] لنزول الملائكة كما قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً ﴾ [الفرقان: ٢٥] وكما قال تعالى : ﴿ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٦] .

وقال بعض أهل العلم : تقطعت السماء فكانت كالأبواب ، واللَّه أعلم .

***

---

(١) ولكثرة هذه الأبواب وتلك الطرق والمسالك عُبِّر عن السماء كلها بأنها أبواب في قوله تعالى : ﴿ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴾ [النبأ: ١٩] ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا ﴾ [القمر: ١٢] أي : كأنها كلها صارت عيونًا تتفجر .

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠] .

ج : أما السراب فهو الشيء الذي ينظر إليه الرائي من بعيد فيحسبه ماءً وليس هو بشيء ، وكذلك تكون الجبال فتصبح الجبال كالعهن ، وهو الصوف كما قال تعالى : ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [المعارج: ٩] ، وكما قال سبحانه : ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥] ، وتزاح عن أماكنها كما قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧] ، وتنسف نسفًا كما قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥ - ١٠٧] .

ويخيل إلى الرائي أن هذا جبل ولكن ليس ثمَّ جبال كما قال اللَّه تبارك وتعالى : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ [١] [النمل: ٨٨] .

● **قال صديق حسن خان رحمه اللَّه** [٢]: ذكر اللَّه سبحانه وتعالى أحوال الجبال بوجوه مختلفة ، ويمكن الجمع بينها بأن نقول :

أول أحوالها : الاندكاك وهو قوله : ﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤] .

---

(١) على بعض التأويلات .

(٢) «فتح البيان» (١٥/ ٣٥) .

● **وثاني أحوالها** : أن تصير كالعهن المنفوش ، كما في قوله : ﴿ **وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ** ﴾ [القارعة: ٥] .

وثالث أحوالها : أن تصير كالهباء ، وهو قوله : ﴿ **وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا** ۝ **فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا** ﴾ [الواقعة: ٥، ٦] .

ورابع أحوالها : أن تنسف وتحملها الرياح ، كما في قوله : ﴿ **وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ** ﴾ [النمل: ٨٨] .

وخامس أحوالها : أن تصير سرابًا ، أي : لا شيء ، كما في هذه الآية .

قلت (مصطفى): ونظير هذا الكلام قد ذكره الرازي في «تفسيره» ، ولا دليل على هذا الترتيب ، والله أعلم .

❊ ❊ ❊

س ـ وضح بشيء من التفصيل معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ [النبأ: ٢١] ؟

ج **المعنى ـ والله أعلم ـ : أن جهنم ترقب أهلها وترصدهم فالناس يمرون عليها وهي تعرف أهلها فتحبسهم فيها ومن لم يكن من أهلها مرَّ عليها [١] وانصرف ، وذلك كالوارد في حديث المرور**

---

(١) صح عن الحسن رحمه الله عند ابن جرير الطبري في قوله : ﴿ **إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا** ﴾ [النبأ: ٢١] قال : لا يدخل الجنة أحدٌ حتى يجتاز النار . وروى الطبري أيضًا بإسناد حسن عن قتادة قال : قوله : ﴿ **إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا** ﴾ [النبأ: ٢١] يُعلمنا أنه لا سبيل إلى الجنة حتى يقطع النار .

على الصراط[1].

ويحتمل أيضًا أن يكون المعنى : أن جهنم تنتظر أهلها وتتهيأ لهم عياذًا بالله .

● **وأورد الرازي وجهًا آخر** وهو : أن مجاز المؤمنين وممرهم كان على جهنم لقوله تعالى : ﴿**وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا**﴾ [مريم: ٧١] فخزنة الجنة يستقبلون المؤمنين عند جهنم ويرصدونهم عندها .

* * *

س ـ ما المراد بالأحقاب في قوله تعالى : ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النبأ: ٢٣] ؟

ج : الأحقاب : جمع حُقُب وهو : المدة الزمنية ، قال موسى عليه السلام لفتاه : ﴿ **لا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا** ﴾ [الكهف: ٦٠] .

وقال الشاعر :

وعِشْنَا كنَدْمَانَيْ جَذيمةَ حِقْبَةً ∴ من الدَّهْرِ حتى قيل لن يتصدعا [2]

---

(١) أخرجه البخاري (٨٠٦) ، ومسلم (١/ ١٦٣ ـ ١٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا وفيه : «.. **فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم ...**» وفيه : «.. **وفي جهنم كلاليب تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو ...**» الحديث ، وقد قدمته بطوله في «التسهيل» (تفسير سورة البقرة) (١/ ٤٨٤ ـ ٤٨٥) عند بحث الشفاعة .

(٢) هذا من قصيدة متمم بن نويرة يرثي أخاه مالك بن نويرة ، وفيها :

وعشنا بخير في الحياة وقبلنا ∴ أصاب المنايا رهط كسرى وتُبَّعا

وكُنا كنَدْمَانَيْ جذِيمةَ برهةً ∴ من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

واختلف في تحديد هذه المدة الزمنية ، فروى الطبري بإسناد حسن عن قتادة أنه قال : قال الله : ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النبأ: ٢٣] وهو ما لا انقطاع له ؛ كلما مضى حقب جاء حقب بعده ، وذكر لنا أن الحُقب ثمانون سنة .

وقال آخرون من العلماء : إن الحقب سبعون ألف سنة .

وقال آخرون : هو ثلاثمائة سنة ، وقيل غير ذلك ، والله أعلم .

* * *

بقاء النار وبيان أنها لا تفنى :

س ـ هل في هذه الآية الكريمة دليل على فناء النار ؟ فقد يقول قائل: إن الآية الكريمة تفيد أن الكفار يلبثون في النار أحقابًا ثم يرفع عنهم العذاب أو يخرجون منها ، فكيف يوجه هذا الفهم ؟

ج :الآية ليس فيها دليل على فناء النار ، وليس فيها أن الكفار يخرجون منها بعد دخولهم فيها ، فالآية الكريمة فيها : ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا (٢٤) إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا﴾ [النبأ: ٢٣ - ٣٠] ، فأفادت الآيات الكريمات أنهم ـ أي : الكفار ـ يلبثون فيها أحقابًا ليس لهم طعام ولا شراب إلا الحميم والغساق ، ثم ماذا بعد هذه الأحقاب ؟ ، ليس في الآية أنهم يخرجون أو أنها تفنى إنما في

الآيـة الكريمة ﴿ **فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا** ﴾ [النبأ: ٣٠] . هـذا هـو وجـه توجيه هذا الرأي عندي[١] .

وقد قال فريق من أهل العلم كقتادة رحمه اللَّه تعالىٰ : إن هذه الأحقاب لا انقطاع لها ولا انقضاء لها .

● ومن أهل العلم من قال : إن هذه الآية في أهل القبلة (أي : المسلمين الذين قضي عليهم بنوع من العذاب) فإنهم يمكثون فيها إلىٰ ما شاء اللَّه ثم يخرجون .

وهذا الوجه ضعيف ، لقوله تعالىٰ : ﴿ **وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا** ﴾ [النبأ: ٢٨] ، والوجه الأول أقوىٰ الأوجُه ، واللَّه تعالىٰ أعلم .

هذا وقد تضافرت الأدلة علىٰ أن النار لا تفنىٰ وأهلها الذين هم أهلها لا يخرجون منها ، ومن هذه الأدلة ما يلي : ـ

● قول اللَّه تبارك وتعالىٰ: ﴿ **وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ** ﴾ [الحجر: ٤٨] .

● قول اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا . . .** ﴾ [السجدة: ٢٠] .

---

(١) وإلىٰ هذا المعنىٰ أشار الطبري رحمه اللَّه بقوله : وقد يحتمل أن يكون معنىٰ ذلك : لابثين فيها أحقابًا في هذا النوع من العذاب هو أنهم ﴿ **لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا (٢٤) إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا** ﴾ [النبأ: ٢٤، ٢٥] ، فإذا انقضت تلك الأحقاب صار لهم من العذاب أنواع غير ذلك ، كما قال جل ثناؤه في كتابه : ﴿ **وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ (٥٦) هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ** ﴾ [ص: ٥٥ – ٥٨] وهذا القول عندي أشبه بمعنىٰ الآية .

• قول اللَّه عز وجل : ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤] .

• قوله تعالى : ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦] .

• قول النبي ﷺ « .. **ويقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ..** »[1] .

• قول اللَّه عز وجل : ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧] .

❊ ❊ ❊

س ـ وضح المراد بقوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [النبأ: ٢٧] ؟

ج قال بعض أهل العلم : إن المراد أنهم كانوا لا يخافون حسابًا[2] ، وهو كقول نوح عليه السلام لقومه : ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣] .

• وقال بعضهم : لا يرجون ثواب الحساب .

• وقال بعض العلماء : إن قوله : ﴿لا يَرْجُونَ ..﴾ معناه : لا يتوقعون .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٨٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

(٢) روى ذلك الطبري رحمه اللَّه تعالى بإسناد حسن عن قتادة .

• وقال آخرون : إن المعنى : إنهم لا يؤمنون بالبعث[1]، فروى الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله : ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا**﴾ [النبأ: ٢٧] قال : لا يؤمنون بالبعث ولا بالحساب ، وكيف يرجو الحساب من لا يوقن أنه يحيا ولا يوقن بالبعث ، وقرأ قول الله تعالى : ﴿**بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾ [المؤمنون: ٨١ - ٨٣] ، وقرأ : ﴿**هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ [سبأ: ٧] فقال بعضهم لبعض : ماله ﴿**أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ**﴾ [سبأ: ٨] الرجل مجنون حين يخبرنا بهذا .

• هذا وفي قوله تعالى : ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا**﴾ تنبيه على أنهم فعلوا كل شرٍّ وتركوا كل خير ، وذلك أن من لا يرجو الحساب لا يفعل الخيرات ولا يحجم عن المنكرات ، والله أعلم .

* * *

(١) لإيضاح ذلك بعض الشيء أذكر **قول الرازي** في هذا فقد قال : إن المؤمن لابد وأن يرجو رحمة الله لأنه قاطع بأن ثواب إيمانه زائد على عقاب جميع المعاصي سوى الكفر فقوله : ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا**﴾ [النبأ: ٢٧] إشارة إلى أنهم ما كانوا مؤمنين .
قلت (مصطفى) : وهذا لا يخلو من نظرة إرجائية من قائله ، وكيف ذلك وأهل الإيمان يخافون الحساب الأخروي ، ومعلوم يقينًا أن من أهل الشهادتين من يدخل النار كالزناة والمرابين والمفلسين (الذين ورد ذكرهم في حديث المفلس . . . .) وغيرهم !!!

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴾ [النبأ: ٢٩] مع ذكر بعض الآيات في معناها ومعنى قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ [النبأ: ٤٠] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : أن كل عمل وكل قول عمله العباد قد أحصيناه وأعددناه وكتبناه عليهم في الصحف حتى يلقوا ربهم عز وجل ، كما قال تعالى : ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٩] ، وكما قال تعالى : ﴿ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ [يونس: ٢١] ، وكما قال سبحانه : ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤] ، وكما قال سبحانه : ﴿ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ [المجادلة: ٦] ، وكما قال تعالى : ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ﴾ [الكهف: ٤٩]، وكما قال تعالى : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣] ، وكما قال تعالى : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨] ، وكما قال سبحانه : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس: ١٢] ، وقال : ﴿ ... وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ [الجن: ٢٨] ، والذين كتبوا هم الملائكة كتبوا بأمر الله لهم بذلك، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١١] ، وذكر بعض العلماء أن وجه انتصاب كتابًا : لأنه

مصدر لأحصينا ، والمعنى : وكل شيء أحصيناه إحصاءً ، والإحصاء في معنى الكتاب والله أعلم .

* * *

س ـ قال الله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧] ، فذكر الله سبحانه أنه لا يكلمهم ، وفي هذه السورة يقول الله تعالى : ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠] ، فقد كلمهم الله ، فكيف تجمع بين هذه وتلك ؟

ج : **الجمع من وجوه :**

أولها : أن يقال : إن قول الله تعالى : ﴿**وَلا يُكَلِّمُهُمُ**﴾ محمول على الكلام الذي ينفعهم ، أي : لا يكلمهم كلامًا ينفعهم .

الثاني : أن مواقف القيامة تتعدد ، فأحيانًا يحدث عدم التكليم ، وأحيانًا يحدث التكليم للتوبيخ والتأنيب والتبشير بالعذاب .

الثالث : أن في الآية مقدر ، والمعنى : فيقال لهم : فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابًا .

والله تعالى أعلم .

* * *

س ـ اذكر آية في معنى هذه الآية الكريمة : ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ

عَذَابًا ﴾[1] [النبأ: ٣٠] ؟

ج : في معناها : قوله تعالى : ﴿ **كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا** ﴾ [الإسراء: ٩٧] ، وقوله تعالى : ﴿ **كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ** ﴾ [النساء: ٥٦] .



(١) ورد عند ابن جرير الطبري من طريق قتادة عن أبي أيوب الأزدي عن عبد الله بن عمرو قال : لم تنزل على أهل النار آية أشد من هذه ﴿ **فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا** ﴾ [النبأ: ٣٠] قال : فهم في مزيد من العذاب أبدًا .

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾

س ـ ما معنى كل ما يلي : ـ

مفازًا ـ حدائق ـ كواعب ـ أترابًا ـ دهاقًا ـ لغوًا ـ كذابًا ـ حسابًا ـ خطاباً ـ صوابًا ـ أنذرناكم ـ ما قدمت يداه ؟

الكلمة	معناهـــا
مفـــــــازًا	فوزًا وظفرًا بالمطلوب ، ونجاة من المرهوب [1] ـ

(١) صح عن قتادة عند الطبراني أنه قال : ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ [النبأ: ٣١] قال : إي والله مفازًا من النار إلى الجنة ، ومن عذاب الله إلى رحمته .

ومن أهل العلم من قصر تفسير المفاز على الفوز بالمطلوب ، وقال : إن هذا المفاز هو ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا﴾ [النبأ: ٣٢ - ٣٥] .

الكلمة	معناهـــا
	منجى من النار إلى الجنة ـ مخلصًا من النار إلى الجنة
حـــدائق	جمع حديقة، وهي: البساتين من النخيل والأعناب والأشجار المحوَّط عليها بالحيطان المحدقة بها[1]
كواعـــب	الكواعب هن : النساء ، ولكنهن ذات صفة معينة وهي كونهن كواعب ، أي : نواهد ، أي: أن ثديهن لم يتدلى لكونهن أبكارًا [2] ، ومن العلماء من قال : الكواعب هن العذارى
أترابًـــا	أي: في سن واحدة، فلانة تربة فلانة، أي: في سنها، وقيل : المتصافيات ، وقيل : الأتراب المتآخيات
دهاقًـــا	ممتلئة ـ صافية ـ متتابعة
لغـــوًا	اللغو: هو الكلام الذي لا فائدة فيه ـ وقيل: الباطل،

(١) قاله الطبري ، وقال : لإحداق الحيطان بها تسمى الحديقة حديقة ، فإن لم تكن الحيطان بها محدقة لم يقل لها حديقة .

(٢) صح عن قتادة عند الطبري أنه قال : ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [النبأ: ٣٣] يعني بذلك : النساء أترابًا لسنٍّ واحدة ، وصح عن ابن زيد في قوله : ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [النبأ: ٣٣] قال : الكواعب التي قد نهدت وكعب ثديها ، وقال : أترابًا مستويات ، فلانة تربة فلانة ، قال : الأتراب اللدات .

● **قال ابن القيم رحمه الله «التفسير القيم»** في تفسير الكواعب : ... والمراد أن ثديهن نواهد كالرمان ليست متدلية إلى أسفل ، ويسمين نواهد وكواعب .

الكلمة	معناهـــا
	وقيل : الشتم[١]
كذابًـــــا	تكذيبًا من بعضهم لبعض، فلا يكذب بعضهم بعضًا، وقيل : إثمًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا تَأْثِيمًا** ﴾ [الواقعة: ٢٥]
حسابـــــا	أي: كافيًا - كافيًا وزائدًا علىٰ أعمالهم التي عملوها في الدنيا، وقيل: محاسبة لهم علىٰ أعمالهم في الدنيا
خطابًـــــا	كلامًا
صوابًـــــا	حقًّا - لا إله إلا اللَّه[٢]
أنذرناكـــــم	حذرناكم
ما قدمت يداه	ما عمل من خيرٍ أو شرٍّ

***

س - إلىٰ ماذا يرجع الضمير في قوله تعالىٰ : ﴿ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا كِذَّابًا .. ﴾ [النبأ: ٣٥] **؟**

ج : **فيها قولان حكاهما الماوردي في «تفسيره» :**

أحدهما : أن الضمير يرجع إلىٰ الجنة . قلت : والمعنىٰ : لا يسمعون في الجنة .

(١) أي: أن خمر الآخرة لا تسبب لأهلها وشاربيها ذهاب العقل الذي يحدث معه الشتم والسباب، واللَّه أعلم .

(٢) أي : كان يقول : لا إله إلا اللَّه في الدنيا .

الثاني : أن الضمير يرجع إلى الخمر .

قلت : والمعنى: لا يسمعون أثناء شربهم للخمر لغوًا ولا كذابًا ، فلا تسبب لهم الخمر ذهاب العقل الذي يصحبه اللغو والتكذيب والسباب والشتائم ، والله أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ [النبأ: ٣٧] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : أنه لا يقدر أحدٌ على مخاطبة الله عز وجل إلا إذا أذن الله له بذلك ، وقال بعض أهل العلم: أي: لا يملكون أن يسألوه إلا فيما أذن لهم فيه(١). ، كما قال تعالى : **﴿يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾** [هود: ١٠٥] ، وكما قال تعالى : **﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾** [البقرة: ٢٥٥] .

والضمير في قوله تعالى : ﴿ لا يَمْلِكُونَ﴾ إلى من يرجع ؟

قال بعض العلماء : إنه راجع إلى المشركين ومنهم من قال : راجع إلى المؤمنين لعلمهم بأن الله عدلٌ لا يجور ، فلا يُترك شيء لهم يتكلمون فيه . والصواب في ذلك أنه عام، فأهل السموات والأرض جميعهم لا يملكون عنده خطابًا (٢).

* * *

---

(١) صح عن ابن زيد رحمه الله تعالى (كما عند الطبري) أنه قال : لا يملكون أن يخاطبوا الله ، والمخاطب : المخاصم الذي يخاصم صاحبه .

(٢) إلا لمن أذن له .

س ـ ما المراد بالروح في قوله تعالىٰ : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا . . .﴾ [النبأ: ٣٨] وما المراد بالصف في الآية الكريمة ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك جملة أقوال :**

أحدها : أنه جبريل عليه السلام ، ومستند هذا القول : قول اللَّه تبارك وتعالىٰ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، وعلىٰ ذلك فقوله تعالىٰ : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ ...﴾ [النبأ: ٣٨] من باب عطف العام على الخاص فالملائكة علىٰ العموم وجبريل داخل فيهم ، عطف علىٰ الروح وهو جبريل .

الثاني : أن المراد بالروح القرآن ، لقوله تعالىٰ : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] .

الثالث : أن المراد بالروح أرواح بني آدم .

الرابع : أن المراد بالروح بنو آدم .

الخامس : أن المراد بالروح خلق من خلق اللَّه علىٰ صورة بني آدم .

السادس : أنه ملك في السماء الرابعة . .

وثم أقوال أُخر .

قال ابن جرير الطبري رحمه اللَّه تعالىٰ : والصواب من القول أن يُقال : إن اللَّه تعالىٰ ذكره أخبر أن خلقه لا يملكون منه خطابًا يوم يقوم الروح ، والروح خلق من خلقه ، وجائز أن يكون بعض هذه الأشياء

التي ذكرت ، واللَّه أعلم أي ذلك هو ، ولا خبر بشيء من ذلك أنه المعني به دون غيره يجب التسليم له ، ولا حجة تدل عليه وغير ضائر الجهل به .

● أما المراد بالصف في قوله تعالىٰ : ﴿صفًّا﴾ فيحتمل وجهين :

أحدهما : أنهم يقومون فيصطفون صفًّا واحدًا .

الثاني : أنهم يُصفون صفوفًا علىٰ حسب مراتبهم ومنازلهم كما قال تعالىٰ : ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**﴾ [الفجر: ٢٢] ، وكما قالت الملائكة : ﴿ **وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ** ﴿١٦٤﴾ **وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ** ﴾ [الصافات: ١٦٤، ١٦٥] .

وكما قال النبي ﷺ : «**ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها**»[1] .

* * *

س ـ كيف يجمع بين قوله تعالىٰ : ﴿لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨] **وبين كذب المشركين في قولهم : ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾** [الأنعام: ٢٣] ؟

ج : الإجابة ـ واللَّه أعلم ـ من وجوه :

● **أحدها** : أن معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿**وَقَالَ صَوَابًا**﴾ أي : قال : لا إله إلا اللَّه في الدنيا ، أو كان من المسلمين الذين قد قالوا في دنياهم قولاً صوابًا .

---

(١) اخرجه مسلم (حديث ٤٣٠) من حديد جابر بن سمرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

أما كذب المشركين وقولهم : ﴿ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٣] ، فهذا في بعض مواقف القيامة ، فمواقف القيامة تتعدد ـ فأحيانًا يتكلم أهل الشرك كي يسمعوا ما يسيئهم ، وأحيانًا لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ، فلما يرى أهل الشرك أهلَ الإيمان وقد غفر لهم يقولون : ﴿ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٣] .

ولكن في مواطن أخر لا يتكلمون إلا بالذي فعلوه كما قال تعالى : ﴿ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٤٢] والله أعلم .

* * *

س ـ ما هو وجه وصف اليوم بأنه حق في قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ ﴾ [النبأ: ٣٩] ؟

ج : وجه ذلك ـ والله أعلم ـ : أن هذا اليوم هو اليوم الحقيقي الذي يستحق أن يُقال له يوم ، ففيه تبلى السرائر ، وتنكشف الضمائر ، ويبعثر ما في القبور ، ويحصل ما في الصدور ، ويظهر وينتصر فيه كل حق ، ويزهق فيه كل باطل .

وقيل : إن معنى قوله : ﴿ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ ﴾ [النبأ: ٣٩] : أي : الحق وجوده ووقوعه .

* * *

س ـ ما معنى قوله تعالى : ﴿ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴾ [النبأ: ٣٩]

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : فمن شاء من العباد اتخذ إلى ربه

مرجعًا حسنًا ، وهذا المآب الحسن يكون بالتصديق باليوم الآخر الذي قال الله فيه : ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾ [النبأ: ٣٩] ويكون أيضًا بالأعمال الصالحة ، وقد روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾ قال : اتخذوا إلى الله مآبًا بطاعته وما يقربهم إليه ، وقال بعض العلماء : مآبًا أي : سبيلا وطريقًا والآية هنا وإن كان ظاهرها التخيير إلا أنها أقرب إلى الحث والتهديد ، كما قال تعالى : ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] ، ومما يدل على أنها للتهديد قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩] وقوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ...﴾ [النبأ: ٤٠] عقب قوله : ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾ [النبأ: ٣٩] .

* * *

س ـ ما المراد بالعذاب القريب في قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ [النبأ: ٤٠] ؟ اذكر بعض الآيات الدالة على قرب الساعة ؟

ج : المراد بالعذاب القريب عذاب يوم القيامة ، بدليل قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: ٤٠] أما الآيات الدالة على قرب الساعة فمنها :

- قوله تعالى : ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] .
- قوله تعالى : ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١] .

• قوله تعالى : ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [النحل: ١] .

* * *

س ـ من المراد بالمرء في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ [النبأ: ٤٠] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن المراد بالمرء هو المرء المؤمن ، روي ذلك من عدة طرق عن الحسن البصري[1].

ويتأيد هذا القول بدلالة ذكر الكافر بعد ذكر المرء في قوله تعالى : ﴿ **يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا** ﴾ [النبأ: ٤٠] .

ولقائل آخر أن يقول : إن المراد بالمرء هنا أعم من المؤمن ، فكل امرئ ينظر ما قدمت يداه ، وعند ذلك يحدث الافتراق ، فالمؤمن يقول : ﴿ **هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ** ... ﴾ [الحاقة: ٩] ، والكافر يقول: ﴿ **يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا** ﴾ .

ومن العلماء من ذهب إلى أن المراد بالمرء : الكافر ، وهو ضعيف في هذا المقام عندي ، والله أعلم .

* * *

س ـ اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى : ﴿ ... وَيَقُولُ الْكَافِرُ

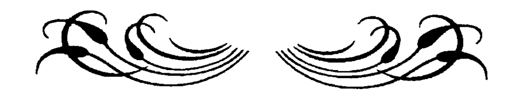
---

(١) كما عند الطبري رحمه الله .

يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴾ [النبأ: ٤٠] ؟

ج : من الآيات الواردة في هذا المعنى : قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٤٢] .

● وقول الكافر : ﴿ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴾ [الحاقة: ٢٧] .



سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾

س ـ اذكر معاني هذه المفردات على رأي أكثر المفسرين : ـ

النازعات ـ الناشطات ـ السابحات ـ السابقات ـ المدبرات أمرًا ـ الراجفة ـ الرادفة ـ واجفة ـ خاشعة ـ الحافرة ـ نخرة ـ كرة ـ زجرة ـ الساهرة ؟

ج :

الكلمة	معناها
النازعات	الملائكة المختصون بنزع أرواح الكفار
الناشطات	الملائكة المختصون بإخراج أرواح المؤمنين
السابحات	ملائكة تسبح بين السماء والأرض

الكلمة	معناها
السابقـــات	ملائكة تسبق بالوحي من اللَّه إلى رسله
المدبرات أمرًا	ملائكة تدبر أعمال العباد بإذن اللَّه
الراجفـــة	النفخة الأولى
الرادفـــة	النفخة الثانية
واجفـــة	خائفة [١] ـ مضطربة
خاشعـــة	ذليلة [٢] حقيرة
الحافـــرة	الحياة التي كانوا عليها قبل الموت
نخـــرة	متفتتة بالية
كـــرة	رجعة
زجـــرة	نفخة وصيحة [٣]
الساهـــرة	وجه الأرض

* * *

(١) قال القرطبي : وعليه عامة المفسرين ، والمعنى : أنها خائفة من عظيم الهول النازل بها .

(٢) المراد أنها تظهر عليها علامات الذل والخضوع عند معاينة أهوال يوم القيامة ، كما قال تعالى: ﴿ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ ﴾ [الشورى: ٤٥] .

(٣) وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ [النازعات: ١٣] : نفخة واحدة يقومون معها من قبورهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ [القمر: ٥٠] ، وكما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ [النحل: ٧٧] .

س ـ ما هو موقع الواو في قوله تعالى : ﴿ وَالنَّازِعَاتِ ... ﴾ [النازعات: ١] ؟

ج : الواو هنا هي واو القسم .

* * *

س ـ وضح المراد بالنازعات وماذا تنزع ؟ وما هي الناشطات وما عملها كذلك ؟

ج : **النازعات والناشطات** ملائكة [١] وهم ملك الموت وأعوانه ، ولكن النازعات : ملائكة موصوفون بوصف معين وهو النزع ، والناشطات موصوفة بأنها تُنشط [٢]. ولإيضاح ذلك نقول : إن النازعات هي الملائكة المختصة بنزع أرواح الكفار تنزعها من أجسادهم نزعًا شديدًا .

أما معنى غرقًا : فالمراد به المبالغة في شدة النزع فهو نزع تشعر معه النفس أنها تغرق ، ومن العلماء من قال : إنها تنزع ثم تفرق في النار ، ومنهم من قال : إن غرقًا من الإغراق بمعنى المبالغة في الشيء والاستطراد فيه ، وهذا راجع إلى شدة النزع أيضًا .

● **أما الناشطات** : فهي الملائكة المختصة بنزع أرواح المؤمنين وتقوم هذه الملائكة بتنشيط روح المؤمن حتى تخرج من الجسد نشيطة وتجذبها الملائكة برفقٍ ولين من الجسد .

---

(١) أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن مسعود أنه قال : ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ [النازعات: ١] قال : الملائكة ، وأخرج أيضًا بإسناد صحيح عن مسروق أنها الملائكة .

(٢) ومن قولهم : قام فلان كأنما أنشط من عقال .

ومن العلماء من قال : والذي ينشطها (أعني : روح المؤمن) أنها ترىٰ ما أعده اللَّه لها في الجنة من الحبرة والسرور ، وما أعده اللَّه لها من الأزواج وحور العين فتنشط الروح فتخرجها الملائكة بسهولة ويُسر من الجسد. وهذا وذاك واضحان فيما أخرجه الإمام أحمد [1] رحمه اللَّه تعالىٰ بإسناد صحيح من حديث البراء بن عازب رضي اللَّه عنهما قال : خرجنا مع النبي صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وسلم في جنازة رجلٍ من الأنصار فانتهينا إلىٰ القبرِ ولمَّا يُلحد فجلسَ رسولُ اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وسلم وجلسنا حوله وكأن علىٰ رءوسنا الطيرُ وفي يده عودٌ ينكتُ في الأرض ، فرفع رأسه فقال : «**استعيذوا باللَّه من عذاب القبر**» مرتين أو ثلاثًا ، ثم قال : «**إن العبدَ المؤمن إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ من الآخرة نزل إليه ملائكةٌ من السماء بيض الوجوه كأنّ وجوههم الشَّمسُ ، معهم كفن من أكفانِ الجنة وحَنُوط [2] من حنوط الجنة حتىٰ يَجلسوا منه مدَّ البصر ثم يجيء ملَك الموت عليه السلام [3] حتىٰ يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة اخرجي إلىٰ مغفرة من اللَّه ورضوان**» قال : «**فتخرج تسيلُ كما تسيلُ القطرة من فيِّ السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتىٰ يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويَخرجُ منها كأطيب نفحةِ مسك وُجدت علىٰ وجه الأرض**» قال : «**فيصعدون بها فلا يمرون يعني بها علىٰ ملأٍ من الملائكةِ إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب**

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/٢٨٧ و ٢٩٥ و ٢٩٦) وأبو داود (٤٧٥٣) والطيالسي (٧٥٣) والحاكم (١/٣٧ ـ ٤٠) .

(٢) الحنوط : طيب يخلط للميت خاصة (انظر «اللسان») .

(٣) لم نقف علىٰ دليل صحيح يفيد أن ملك الموت اسمه عزرائيل .

فيقولون : فلانَ ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقرّبوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهى به إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى» قال : «فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول : هو رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادي منادٍ في السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة» قال : «فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد البصر، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه حسنُ الثياب طيب الريح فيقول : أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له : من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير ؟ فيقول : أنا عملك الصالح فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي» قال : «وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مدًّ البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب» قال : «فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه

الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان ابنُ فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له » ثم قرأ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : ﴿ **لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ** ﴾ [الأعراف: ٤٠] «**فيقول اللَّه عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحًا**» ثم قرأ: ﴿ **وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ** ﴾ [الحج: ٣١] «**فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ، فيقولان له ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فينادي منادٍ من السماء أن كذب فأفرشوا له من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول : أبشربالذي يسوءك ، هذا يومك الذي كنت توعد فيقول : من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشرِّ، فيقول : أنا عملك الخبيث، فيقول : ربِّ لا تقم الساعة**» .

● هذا ، وأكثر أهل العلم على تفسير النازعات والناشطات بما فسرناه ولكن ثمَّ أقوال أخر أيضًا ، منها :

أن المراد **النجوم** تنزع من أفق إلى أفق .

ومنها : أن المراد **القسي** التي تنزع بالسهم .

ومنهم من قال : إنها **النفوس** حين تُنزع .

قال الطبري رحمه الله : والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إن اللَّه تعالىٰ ذكره أقسم بالنازعات غرقًا ولم يُخصص نازعة دون نازعة ، فكل نازعةٍ غرقًا فداخلة في قسمه ، ملكًا كان أو موتًا أو نجمًا أو قوسًا أو غير ذلك .

والمعنىٰ : والنازعات إغراقًا كما يغرق النازع في القوس[1] .

وبنحو ذلك قال في الناشطات فقال : .. بل عمَّ القسم بجميع الناشطات ، والملائكة تنشط من موضع إلىٰ موضع ، وكذلك الموت وكذلك النجوم والأوهاق[3]، وبقر الوحش أيضًا تنشط . . .

***

س ـ ما المراد بـ ﴿ السَّابِحَاتِ ﴾ ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك جملة أقوال :**

أحدها : أن السابحات : هي الملائكة ، وللعلماء في هذا تأويلان أيضًا .

الأول : أن المراد ملائكة قبض الأرواح تسبح في جسد المؤمن لاستخراج روحه بلطفٍ ورفقٍ ولين[2] .

---

(١) إغراق النازع في القوس أن يمده غاية المد حتىٰ ينتهي به إلىٰ النصل .

(٢) **قال صديق حسن خان في تفسيره «فتح البيان»** : هي الملائكة تسبح في الأبدان لإخراج الأرواح كما يسبح الغواص في البحر لإخراج شيء منه، يعني الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلُّونها سلاً رفيقًا ثم يدعونها حتىٰ تستريح ثم يستخرجونها كالسابح في الماء يتحرك فيه برفقٍ ولطافة .

(٣) وهي الحبال التي تُشَدُّ بها المواشي .

الثاني :أن المراد عموم الملائكة ، تسبح عند نزولها من السماء مسرعين لأمر اللَّه .

ثانيها : أن المراد بالسابحات النجوم التي تسبح في أفلاكها ، وقد صح عن قتادة عند الطبري أنه قال : هي النجوم .

ثالثها : أن المراد السفن .

وثمّ أقوال أخر .

واختار ابن جرير الطبري القول بالعموم أيضًا ، وأن كل ما ذكر داخل في الآية الكريمة ، واللَّه أعلم .

❊ ❊ ❊

س ـ ما المراد بـ ﴿ السَّابِقَاتِ ﴾ ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك أقوال :**

● **فجمهورهم** [١] على أن المراد بالسابقات الملائكة .

فمن العلماء من قال : هي الملائكة تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء ، ومنهم من قال : هي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة ، أي : يسبق بعضهم بعضًا بأرواح المؤمنين .

● ومن العلماء من قال : إن السابقات هي النجوم يسبق بعضها بعضا .

---

(١) نقله عن الجمهور صديق حسن خان في «فتح البيان» .

• ومنهم من قال : هي الخيل تسبق إلى الجهاد .

• ومنهم من قال : هي أرواح المؤمنين تسبق أجسادهم إلى الجنة وأرواح الكفار تسبق أجسادهم إلى النار .

والقول الذي عليه الجمهور أنهم الملائكة كما قدمنا .

* * *

س ـ ما المراد بقوله تعالى : ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥] ؟

ج : **المدبرات** : هي الملائكة تدبر الأمر من السماء إلى الأرض يعني بأمر ربها عز وجل ، قال ابن كثير : ولم يختلفوا في هذا ، وقال القشيري [١]: أجمعوا على أن المراد الملائكة .

وقال الطبري : وقوله : ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥] يقول : فالملائكة المدبرة ما أمرت به من أمر اللَّه ، وكذلك قال أهل التأويل .

* * *

س ـ وضح باختصار مجمل القول في تأويل قوله جل وعلا : ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ١ - ٥] ؟

ج : مجمل القول في هذه الفقرات أن من أهل العلم من حملها كلها ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ١ - ٥] على

(١) نقله عنه القرطبي .

شيء واحد ثم اختلفوا في تحديد هذا الشيء ما هو .

فذهب الجمهور إلى أن هذا الشيء الموصوف بهذه الصفات هم الملائكة .

وذهب فريق إلى أنها النجوم .

وفريق ثالث إلى أنها الأرواح .

وفريق رابع إلى أنها صفات خيل الغزاة .

وفريق خامس أنها صفات الغزاة .

ومن العلماء من قال بالعموم .

وثمَّ أوجه أُخر للعلماء في ذلك .

● ومن العلماء من حمل هذه الصفات على أشياء مختلفة .

وقد قدمنا رأي الجمهور ومزيدًا في التفصيل في ذلك والعلم عند اللَّه تعالى .

***

س ـ لماذا جاءت هذه الأقسام بلفظ التأنيث وهي أوصاف للملائكة مع أن الملائكة ليسوا إناثًا ؟

ج : أجاب على ذلك صديق حسن خان بقوله : لأن المقسم به طوائف من الملائكة ، والطوائف جمع طائفة ، وهي مؤنثة .

***

س ـ أقسم اللَّه سبحانه وتعالىٰ بالنازعات والناشطات .... فأين جواب القسم ؟

ج : من أهل العلم من ذهب إلىٰ أن جواب القسم محذوف ، ومنهم من ذهب إلىٰ أنه مذكور في السورة .

● أما الذين ذهبوا إلىٰ أن جواب القسم محذوف ، فأشهر أقوالهم في تقديره أنه (لتبعثن) ، فالمعنىٰ : والنازعات . . . لتبعثن .

● أما الذين ذهبوا إلىٰ أنه مذكور في السورة فهو عند فريق منهم قوله : ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ... ﴾ [النازعات: ٨] فالمعنىٰ : والنازعات . . إن القلوب ستكون واجفة يوم ترجف الراجفة .

وقد أورد الرازي رحمه اللَّه أقوال العلماء في ذلك فقال :

المسألة الأولىٰ : جواب القسم المتقدم محذوف أو مذكور فيه وجهان : **الأول** : أنه محذوف ، ثم علىٰ هذا الوجه في الآية احتمالات :

الأول : قال الفراء : التقدير : لتبعثن ، والدليل عليه ما حكىٰ اللَّه عنهم ، أنهم قالوا : ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ﴾ [النازعات: ١١] أي : أنبعث إذا صرنا عظامًا نخرة **الثاني** : قال الأخفش والزجاج : لننفخن في الصور نفختين ودل علىٰ هذا المحذوف ذكر الراجفة والرادفة وهما النفختان **الثالث** : قال الكسائي : الجواب المضمر هو أن القيامة واقعة ، وذلك لأنه سبحانه وتعالىٰ قال : ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴾ [الذاريات: ١] ثم قال : ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴾ [الذاريات: ٥]، وقال تعالىٰ : ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ

عُرْفًا ﴿١﴾ ... إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴾ [المرسلات: ١ - ٧] فكذلك ههنا فإن القرآن كالسورة الواحدة **القول الثاني** : أن الجواب مذكور وعلى هذا القول احتمالات : **الأول** : المقسم عليه هو قوله : ﴿ **قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ** ﴾ [النازعات: ٨، ٩] ، والتقدير : والنازعات غرقًا إن يوم ترجف الراجفة تحصل قلوب واجفة وأبصارها خاشعة **الثاني** : جواب القسم هو قوله : ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ** ﴾ [النازعات: ١٥] ، فإن (هل) ههنا بمعنى قد ، كما في قوله: ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ** ﴾ [الغاشية: ١] ، أي : قد أتاك حديث الغاشية **الثالث** : جواب القسم هو قوله: ﴿ **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ** ﴾ [النازعات: ٢٦] .

* * *

س ـ اذكر المراد بالراجفة والرادفة بشيء من التفصيل ؟

ذهب كثير من المفسرين إلى أن المراد **بالراجفة : النفخة الأولى والرادفة : النفخة الثانية** ، فصح عن الحسن البصري [١] أنه قال : هما النفختان ، أما الأولى فتميت الأحياء ، وأما الثانية فتحيي الموتى ، ثم تلا الحسن : ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ** ﴾ [الزمر: ٦٨] .

● وصح عن قتادة [٢] أيضًا أنه قال : هما الصيحتان أما الأولى

---

[١] أخرجه الطبري بإسناد صحيح .
[٢] أخرجه الطبري أيضًا بإسناد صحيح .

فتميت كل شيء بإذن الله وأما الأخرى فتحيي كل شيء بإذن الله .

● هذا وثم أقوال أُخر للعلماء فمنهم من قال : إن الراجفة : الأرض لقوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً﴾ [المزمل: ١٤] ، والرادفة : الساعة [1] ، ومنهم من قال : إن الراجفة : الأرض ، والرادفة : السماء ؛ لقوله تعالى : ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۝١٣ وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۝١٤ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝١٥ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣ - ١٦] ومن العلماء من قال: إن الراجفة: هي الصوت الهائل المزعج ، كقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ [العنكبوت: ٣٧] ، والرادفة : الزلزلة . والقول الأول عليه الأكثرون ، والله أعلم .

* * *

س ـ لماذا أضيفت الأبصار إلى القلوب في قوله تعالى : ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ [النازعات: ٨ - ٩] ؟

ج : أضيفت الأبصار إلى القلوب ، والمراد بالقلوب: أصحابها ، بدليل قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ [النازعات: ١٠] .

* * *

س ـ لماذا نُكِّرت قلوب في قوله تعالى : ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ [النازعات: ٨] ولم يُقل : القلوب يومئذ واجفة ؟

---

(١) صح ذلك عن ابن زيد عند الطبري .

ج : لأن المراد ـ والله أعلم ـ : قلوب فريق من الناس وهم الكفار، وقلوبهم واجفة لأنهم كانوا ينكرون البعث ، وذلك بدليل قوله تعالىٰ : ﴿ **يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً** ﴾ [النازعات: ١٠، ١١] ، أما قلوب أهل الإيمان فمطمئنة ، والله أعلم .

* * *

س ـ اذكر بشيءٍ من التفصيل أقوال العلماء في الحافرة ؟

ج : **أكثر المفسرين على أن المراد بالحافرة الحالة الأولىٰ التي كانوا عليها قبل الممات** ، والمعنىٰ : أنرد إلىٰ أول حالنا وابتداء أمرنا فنرجع أحياء كما كنا قبل مماتنا ؟!!

وهو من قولهم رجع فلان علىٰ حافرته ، أي : رجع من حيث جاء ، ومنه قول الشاعر :

أحافرةٌ علىٰ صلعٍ وشَيبٍ ∴ معاذ الله من سفهٍ وعار

● وقد أخرج الطبري بإسناد يصح بمجموع طريقيه إلىٰ قتادة أنه قال : أئنا لمردودون في الحافرة ؟ أئنا لمبعوثون خلقا جديدًا ، وفي رواية : مردودون خلقًا جديدًا .

● ومن العلماء من قال : إن الحافرة : الأرض ، والحافرة بمعنىٰ المحفورة (أي : التي حفرت فيها قبورهم) وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ** ﴾ [الطارق: ٦] أي : مدفوق ، وكقوله تعالىٰ: ﴿ **فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ** ﴾ [الحاقة: ٢١] : أي : مرضية ، ومنهم من قال : إن الحافرة هي

القبور ، والمعنى على هذين القولين : أئنا لمردودون بعد المصير إلى القبور .

ومن العلماء من قال : الحافرة هي النار ، صح هذا عن ابن زيد عند الطبري ، والقول الأول عليه أكثر العلماء . وهو الأصح عندي لقولهم عقبها : ﴿**تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ**﴾ [النازعات: ١٢] أي : رجعة خاسرة ، والله أعلم .

* * *

س - من هم القائلون: ﴿**أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ**﴾ [النازعات: ١٠]، ومتى يقولون هذا القول ؟

ج : القائلون بذلك هم مشركو قريش ومن قال بقولهم في إنكار البعث . ومقالتهم هذه إنما يقولونها في الدنيا ، كما ذكر الله سبحانه عنهم قيلهم : ﴿ **أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا** ﴾ [الإسراء: ٤٩] وكما قال سبحانه : ﴿**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ**﴾ [يس: ٧٨] .

* * *

س - اذكر مزيدًا من الأدلة التي توضح إنكار المشركين للبعث ؟

ج : من هذه الأدلة قول قائلهم : ﴿**وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً**﴾ [فصلت: ٥٠]، ومنها قولهم: ﴿**أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ**﴾ [ق: ٣].

* * *

س ـ ما المراد بالساهرة ؟

ج : **أكثر المفسرين على أن المراد بالساهرة وجه الأرض وظاهرها.**

● وقال الواحدي : المراد بالساهرة وجه الأرض وظاهرها في قول الجميع .

قلت : ولعل مراده بالجميع الأكثر ، أو من يُعتد به عنده .

● وعند الطبري بإسناد صحيح عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٤] قال : على الأرض ، قال : فذكر شعرًا قاله أمية بن أبي الصلت فقال :

عندنا صيد بحرٍ وصيد ساهرةٍ .

● وصح عن الحسن أيضًا عند الطبري أنه قال : ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٤] : فإذا هم على وجه الأرض .

● وبإسناد يصح بطريقيه عن قتادة قال : لما تباعد البعث في أعين القوم قال اللَّه : ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٣، ١٤] ، يقول : فإذا هم بأعلى الأرض بعدما كانوا في جوفها .

وكذلك صح عن عددٍ من السلف أنهم قالوا : مثل هذا القول ومن العلماء من قال : الساهرة : مكان مخصوص من الأرض ، ومنهم من قال : إنما هي جهنم . وما قدمنا أولاً أصح ، واللَّه أعلم .



هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾
إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾
فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ
ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ
فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ
﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾

س ـ اذكر معاني هذه المفردات :

المقدس ـ طوىٰ ـ طغىٰ ـ تزكىٰ ـ أهديك إلىٰ ربك ـ حشر ـ فأخذه اللَّه ـ نكال ـ عبرة ؟

ج :

الكلمة	معناهـــا
المقدس	المبارك المطهر
طـــــــوىٰ	من العلماء من قال : طوىٰ اسم للوادي [1] ، ومنهم من قال : إنه قدس طوىٰ ، أي : قُدس

(١) روي ذلك عن مجاهد من طريق ابن أبي نجيح عنه (وقد تكلم في رواية ابن أبي نجيح للتفسير عن مجاهد) ، وورد بإسناد حسن عن قتادة وصح عن ابن زيد أنهم قالوا: طوىٰ اسم للوادي .

الكلمة	معناهـــا
	مرتين أي : بورك فيه مرتين ، ومنهم من قال : إن معناه : طأ الأرض بقدمك حافيًا ، وقيل : مطوي كطي البئر [1]
طغـــــــى	عتا وتجاوز الحد في العدوان والتكبر على الخلق والافتراء على اللَّه
تزكـــــــى	تتطهر من دنس الكفر والمعاصي وتؤمن ـ تسلم فتطهر من الذنوب
أهديك إلى ربك	أدلك وأرشدك إلى عبادة ربك وما يرضيه عنك
حشـــــــر	جمع
فأخـــــذه اللَّه	عاقبه اللَّه ـ أهلكه اللَّه
نكـــــــال	النكال : العقوبة العظيمة على الذنب ، التي تمنع من سمع بها مِن ارتكاب مثل هذا الذنب ، ويطلق التنكيل أيضًا على ما يفتضح به صاحبه ويعتبر به غيره . واللَّه أعلم .
عبـــــــرة	عظة يتعظ بها ، وزاجر ينزجر به من يخشى

* * *

(١) والبئر المطوية : هي البئر التي بُطنت حافتها بأحجار حتى لا تنهار ، والوادي واد متسع على جوانبه صخور (على هذا التأويل الأخير) .

س ـ وضح معنى قول موسى عليه السلام لفرعون : ﴿ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾ [النازعات: ١٨، ١٩] ؟

ج المعنى ـ والله أعلم ـ : هل لك رغبة في أن تتطهر من الشرك والمعاصي وتُسلم وتصلح العمل، وأرشدك إلى عبادة الله وتوحيده فيحصل لك العلم وتحصل لك المعرفة بالله سبحانه وتكون من العلماء ومن ثم تخشى الله عز وجل وتخشى عقوبته فإنما يخشى الله من عباده العلماء ؟ !!

* * *

س ـ ما المراد بالآية الكبرى ؟

ج : المراد بالآية الكبرى عند جمهور المفسرين [(١)] : هي العصا واليد ، كما قال تعالى : ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ [الشعراء: ٣٢، ٣٣] .

هذا وقد أوتى موسى عليه السلام تسع آيات كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠١، ١٠٢]، لكن أكبر هذه الآيات التسع هي العصا واليد كما ذكرنا ، والله أعلم .

* * *

(١) نقله عنهم غير واحد من أهل العلم منهم ابن الجوزي في «زاد المسير» وغيره من العلماء ، وقد صح هذا عن الحسن وقتادة وابن زيد وغيرهما كما عند الطبري .

س ـ وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ . .﴾ [النازعات: ٢٢، ٢٣] ؟

ج : في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾ وجوه من المعاني :

أحدها: أنه لما رأى الحية أدبر مرعوبًا مسرعًا في مشيه هاربًا منها.

الثاني : أنه لما جاءته البينات أعرض عنها ، واتجه للعمل بالفساد في الأرض، وجمع ما يستطيع من كيد وأدلة وبراهين لدحض حجة موسى عليه السلام ، كما قال عن نظيره : ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ [البقرة: ٢٠٥] فسعيه في الأرض كان بالفساد.

أما قوله : ﴿فحشر﴾ أي : **فجمع** ، أي : جمع جنوده للقتال والمحاربة ، وجمع السحرة لمواجهة موسى بسحرهم ، وجمع الناس للحضور ومشاهدة ما يقع من السحرة مع موسى .

ونادى في هؤلاء جميعًا : أنا ربكم الأعلى .

* * *

س ـ ما المراد بالآخرة والأولى في قوله تعالى : ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ [النازعات: ٢٥] ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك أقوال :ـ**

أحدها : أن المراد بالآخرة والأولى : الآخرة والدنيا [١] (قال ابن

---

(١) وقد صح ذلك عن قتادة وروي بإسناد حسن عن الحسن البصري أيضًا كما عند الطبري وغيره.
=

كثير : وهو الصحيح الذي لا شك فيه) .

الثاني : أن المراد بالأولى : قوله : ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، والمراد بالآخرة: قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤].

الثالث : أن المراد بالآخرة والأولى كفره وعصيانه .

الرابع : أن المراد بالآخرة والأولى آخر أعماله السيئة وأولها



= قلت : والمراد بنكال الدنيا على هذا التأويل تعذيبه بالغرق وإظهاره أمام الناس عبرة لمن يخشى كما قال تعالى : ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢] .

والمراد بنكال الآخرة تعذيبه في الآخرة ، كما قال تعالى : ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨] ، وكما قال سبحانه : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] .

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾

س ـ اذكر معاني هذه الكلمات :

سمكها ـ سواها ـ أغطش ـ أخرج ضحاها ـ دحاها ـ أخرج منها ماءها ـ ومرعاها ـ أرساها ـ متاعًا ؟

ج :

الكلمة	معناها
سمكها	بنيناها ـ سقفها
سواها	خلقها خلقًا مستويًا لا تفاوت فيها ولا شقوق ولا فطور
أغطش	أظلم أي : جعل ليلها مظلمًا
أخرج ضحاها	أبرز نهارها ، وعبر عن النهار بالضحى لأن الضحى أشرف أوقات النهار وأطيبها [١] ـ أخرج ضياءها ـ نوَّرها

(١) قاله صديق حسن خان في «فتح البيان» .

الكلمة	معناهـــا
دحاهـــــا	بسطها - جعلها صالحة للإنبات ، ومن العلماء من قال: دحاها معناه: أخرج منها ماءها ومرعاها . . . . أي : أخرج منها الماء والمرعى وشقق فيها الأنهار وجعل فيها الجبال
مرعاهـــــا	النبات الذي ترعاه الأنعام ، وقيل أيضًا : والنبات الذي يأكله الناس
أرساهـــــا	أثبتها ، وفي الكلام محذوف ، والمعنى : أرساها في الأرض
متاعًـــــا	منفعة

* * *

س - لماذا أضيف الليل إلى السماء ؟ ولماذا أضيف الضحى إليها كذلك ؟

ج : **قال الطبري رحمه الله** : فأضاف الليل إلى السماء لأن الليل غروب الشمس ، وغروبها وطلوعها فيها فأضيف إليها لمَّا كان فيها ، كما قيل : نجوم الليل إذ كان فيه الطلوع والغروب .

وأيضًا فإضافة الضحى إليها في قوله تعالى : ﴿**وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا**﴾

[النازعات: ٢٩] ، لأن الضحى يظهر بظهور الشمس ، والشمس منسوبة إلى السماء .

* * *

س ـ كثيرًا ما يستدل على البعث بخلق السموات والأرض فما هو وجه ذلك ؟

ج : وجه ذلك : أن اللَّه سبحانه وتعالى بيَّن أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، فالذي خلق السموات والأرض قادر على خلق الناس ، وقادر على بعثهم أحياءً بعد موتهم ، وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ ﴾ [يس: ٧٨ - ٨١].

وكما قال تعالى : ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر: ٥٧] .

وكما قال تعالى : ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لاَّزِبٍ ﴾ [الصافات: ١١] .

* * *

س ـ أيهما خلق أول الأرض أم السماء ؟

ج : قد قدمنا في ذلك بحثا موسعًا في تفسيرنا لسورة البقرة عند

تفسير قوله تعالىٰ : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ...﴾ [البقرة: ٢٩] وهنا نورد باختصار قول العالمين ابن جرير وابن كثير رحمهما اللَّه تعالىٰ .

قال ابن جرير الطبري رحمه اللَّه :

والقول الذي ذكرناه عن ابن عباس من أن اللَّه تعالىٰ خلق الأرض وقدَّر فيها أقواتها ولم يدحها ، ثم استوىٰ إلىٰ السماء فسواهن سبع سموات ، ثم دحا الأرض بعد ذلك فأخرج منها ماءها ومرعاها وأرسىٰ فيها جبالها أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل .

وقال ابن كثير رحمه اللَّه :

وقد تقدم في سورة حم السجدة أن الأرض خلقت قبل خلق السماء ولكن إنما دُحيت بعد خلق السماء ، بمعنىٰ أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلىٰ الفعل ، وهذا معنىٰ قول غير واحد واختاره ابن جرير .

* * *

س ـ ما معنىٰ (بعد) في قوله تعالىٰ : ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠] ؟

ج : من العلماء من قال هي علىٰ بابها أي : أنها بخلاف معنىٰ (قبل) ومن العلماء من قال : إن (بعد) في هذا الموقع معناها (مع) فقوله عندهم : ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠] معناه :

والأرض مع ذلك دحاها [1] ، كقوله تعالى : ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣] أي : عتل ومع كونه عتل فهو زنيم أيضًا . والله أعلم .

***

س ـ ما المراد بالخلق في قوله تعالى : ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ [النازعات: ٢٧] وضح المعنى باختصار ؟

ج : **المراد بالخلق** هنا ـ على رأي بعض المفسرين ـ **البعث بعد الموت** ، فالمعنى : أبعثكم أحياءً بعد إماتتكم أشد في ظنكم وتقديركم أم خلق السماء وبناء السماء ؟!!

وثمَّ معنى آخر وهو : أأنتم أشد خلقًا من فرعون الذي قصصنا عليكم قصته وأوردنا لكم ذكره وجعلناه عبرة ونكالاً ؟!!

وإن زعم منكم زاعمٌ أنه أشد خلقًا من فرعون فهل هو أشد خلقًا من السماء وأشد خلقًا من الأرض . . . ؟ !!



(١) وصح عن مجاهد أنه قال في معناها : والأرض عند ذلك دحاها ، أخرجه الطبري .

فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ
ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ
لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ
هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ
﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا
﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ
مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

س ـ اذكر معاني ما يلي :

الطامة الكبرى ـ سعى ـ بُرِّزت ـ طغى ـ آثر ـ المأوى ـ مرساها ـ منتهاها ـ عشية ؟

ج :

الكلمة	معناهـا
الطامة الكبرى	القيامة، وقيل: هي النفخة الثانية التي يكون معها البعث، وأطلق عليها الطامة لأنها تطم (أي : تغطي) على كل هول قبلها وهي داهية تغطي على جميع الدواهي
سعـــــــى	فعل من خيرٍ أو شر

الكلمة	معناهـــا
بُـــــرِّزت	ظهرت
طغــــى	تجاوز الحد في الكفر والمعاصي
آثــــر	قدم ـ فضَّل
المـــأوى	المنزل الذي يأوي إليه وينزل فيه
مرساهــــا	قيامها
منتهاهـــا	منتهى علمها ، لا يعلم وقت قيامها إلا اللَّه
عشيـــــة	العشية ما بين الزوال إلى الغروب

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٦] ؟

ج : من العلماء من قال : ظهرت الجحيم كي يراها كل الخلائق (مؤمنهم وكافرهم) ، كما قال تعالى : **﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾** [مريم: ٧١، ٧٢] ، فالمؤمنون يمرون عليها ثم يصدرون عنها ، أما الكفار فتكون النار مأوى لهم ومنزلاً .

● ومن العلماء من قال : برزت للكفار فقط بدليل قوله تعالى : **﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾** [الشعراء: ٩١] .

* * *

س - وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ﴾ [النازعات : ٤٠] ؟

ج : المعنى - والله أعلم - : وأما من خاف مسألة الله إياه عند وقوفه يوم القيامة بين يديه ، كما قاله الطبري رحمه الله . والله أعلم .

***

س - وضح معنى قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [النازعات: ٤٢] ؟

ج : معنى قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [النازعات: ٤٢] : أي : يسألك الناس عن وقت قيام الساعة ، متى تقوم ؟ وهذا السؤال من المشركين إما على سبيل الاستهزاء ؛ فإنهم لما سمعوا أوصاف القيامة وأنها الطآمة الكبرى وأنها الصآخة والواقعة والغاشية ، . . إلى غير ذلك من الأوصاف فحينئذ سألوا رسول الله ﷺ مستهزئين متى تقع هذه الأوصاف التي تذكرها .

● وقد يكون سؤالهم عنها استعجالاً لوقوعها كما قال تعالى : ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ [الشورى: ١٨] .

● ومن المسلمين من كان يسأل عنها أيضًا لكن سؤال المستفسر المستخبر لا سؤال المستهزئ ولا سؤال الجاحد، ففي «صحيح البخاري»[١]

(١) البخاري حديث (٥٩) .

من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : بينما النبي ﷺ في مجلس يُحدِّث القوم جاءه أعرابي فقال : متى الساعة ؟ فمضى رسول اللَّه ﷺ يحدث فقال بعض القوم : سمع ما قال فكره ما قال ، وقال بعضهم : بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه قال : **«أين أراه السائل عن الساعة ؟»** قال : ها أنا يا رسول اللَّه ، قال : **«فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة»** قال : كيف إضاعتها ؟ قال : **« إذا وسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»** .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا﴾ [النازعات: ٤٣] **وبيِّن سبب نزوله ؟**

ج : كان المشركون يكثرون من سؤال رسول اللَّه ﷺ عن الساعة ورسول اللَّه ﷺ بدوره يكثر من سؤال ربه عز وجل عن الساعة فقيل له: لماذا أنت مكثر من السؤال عن الساعة ، فإنك لست في شيء من علمها وذكرها ، والمعنى : أنك لا تعلمها .

وقيل قول آخر : وهو ﴿فِيمَ﴾ أي : فيم هذا السؤال الذي يسألونه ، فقوله : ﴿فِيمَ﴾ إنكار على السائلين هذا السؤال ثم قال تعالى : ﴿أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا﴾ أي : بعثتك إليهم من أشراط الساعة فإنك خاتم النبيين ، كما قال تعالى : ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨] .

• **أمـا سبب نزول الآيـة الكريمة فقـد** أخرج الطبري[١] بإسناد صحيح عن عائشة قالت : لم يزل النبي ﷺ يسأل عن الساعة حتى أنزل اللَّه عز وجل : ﴿**فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ۝٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا**﴾ [النازعات: ٤٣، ٤٤] .

* * *

س - وضح معنى قوله تعالى : ﴿**كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا**﴾ [النازعات: ٤٦] **وهل للعشية ضحى حتى قال سبحانه** : ﴿**لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا**﴾ ؟

ج : **قال الطبري رحمه اللَّه** : يقول جل ثناؤه : كأن هؤلاء المكذبين بالساعة يوم يرون أن الساعة قد قامت من عظيم هولها لم يلبثوا في الدنيا إلا عشية يومٍ أو ضحى تلك العشية ، والعرب تقول : آتيك العشية أو غداتها ، وآتيك الغداة أو عشيتها فيجعلون معنى الغداة بمعنى أول النهار والعشية آخر النهار ، فكذلك قوله إلا عشيةً أو ضحاها إنما معناه إلا آخر يوم أو أوله ، وينشد هذا البيت :

نحن صبحنا عامراً في دارها ∴ عشية الهلال أو سرارها

---

(١) الطبري (٣٠/٣١) ، وإسناده صحيح إلا أنه قد أعل بالإرسال فقد ذكره ابن أبي حاتم في «العلل» (٦٨/٢) ونقل عن أبي زرعة قوله : (الصحيح مرسل) .

قلت: لكن لـه شاهد عند الطبري من طريق طارق بن شهاب قال كان النبي ﷺ لا يزال يذكر شأن الساعة حتى نزلت ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۝٤٢ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ۝٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ۝٤٤ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا** ﴾ [النازعات: ٤٢ - ٤٥] . وهو شاهد مرسل قوي .

يعني : عشية الهلال أو عشية سرار العشية .

ثم أورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة في قوله : ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦] : وقت الدنيا في أعين القوم حين عاينوا الآخرة .

* * *

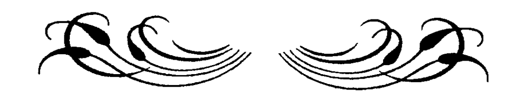
س ـ الكفار حين يرون الساعة يستقلون مدة بقائهم في الدنيا اذكر عدة أدلة على ذلك ؟

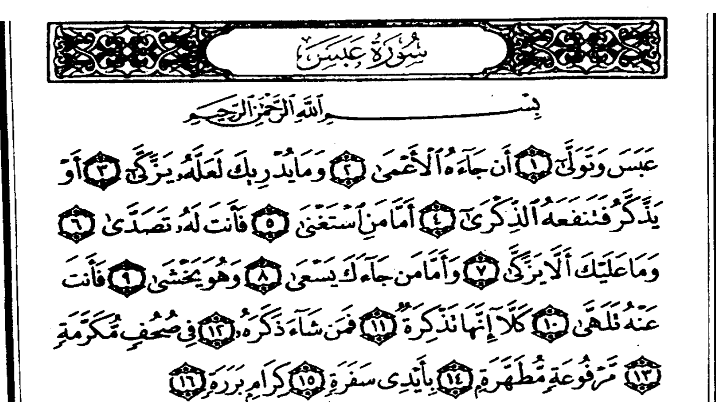
ج : من الأدلة على ذلك : قوله تعالى : ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾ [المؤمنون: ١١٢، ١١٣] .

وقوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٤٥] .

وقوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْمًا﴾ [طه: ١٠٢ - ١٠٤] .

وقوله تعالى : ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦] .





س - اذكر معاني هذه الكلمات :

عبس - تولى - أن جاءه الأعمى - يُدريك - يزكى - يذكر فتنفعه الذكرى - استغنى - تصدى - تلهى - سفرة - بررة .

ج :

الكلمة	معناها
عبس	قبض وجهه - قطب جبينه تكرهًا - كلح بوجهه
تولى	أعرض بوجهه
أن جاءه الأعمى	لمجيء الأعمى
يدريك	يعلمك
يزكى	يتطهر من ذنوبه ومعاصيه - يزداد تقوى

الكلمة	معناها
يذكر فتنفعه الذكرىٰ	يعتبر ويتعظ فتنفعه الموعظة
استغنـــــــــىٰ	استغنى عن الإسلام وعن الإيمان بما آتاه اللَّه من أموال وأولاد وجاهٍ ورياسة [1]
تصـــــــــدىٰ	تصغي إليه ـ تقبل عليه ـ تتعرض له رجاء أن يُسلم
تلهـــــــــىٰ	تتشاغل وتتغافل عنه
سفـــــــرة	الملائكة
بـــــــــررة	مطيعون

* * *

س ـ من الذي ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [عبس: ١] ومن هو الأعمى ؟

ج : **قال الرازي في «تفسيره»** : أجمع المفسرون على أن الذي عبس وتولى هو الرسول ﷺ ، وأجمعوا على أن الأعمى هو ابن أم مكتوم .

* * *

(١) فغالبًا الاستغناء يولد الطغيان ، كما قال تعالى : ﴿كَلَّاۤ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ [العلق: ٦، ٧] ، وكما قال تعالى : ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾ [الإسراء: ٨٣] .

س ـ ما هو سبب نزول هذه الآيات: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ . . .﴾ [عبس: ١]؟

ج ـ **سبب نزول هذه الآيات** : ما أخرجه الترمذي [١] وغيره من حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت : أنزل ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [عبس: ١] في ابن أم مكتوم الأعمى ، أتى رسول اللَّه ﷺ فجعل يقول : يا رسول اللَّه أرشدني ، وعند رسول اللَّه ﷺ رجل من عظماء قريش فجعل رسول اللَّه يُعرض عنه ويُقبل على الآخر ويقول : أترى بما تقول بأسًا ؟ فيقال : لا ، ففي هذا أنزل .

● في رواية عند أبي يعلى [٢] من حديث أنس رضي اللَّه عنه :

---

(١) أخرجه الترمذي (حديث ٣٣٣١) ، والطبري عند تفسير الآية الكريمة (جـ ٣٠ / ص ٣٢) ، وأبو يعلى الموصلي في «مسنده» (٤٨٤٨) ، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥١٤) .

قال الترمذي : حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي حدثني أبي قال : هذا ما عرضنا على هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت . . . . فذكر الحديث ، ثم قال الترمذي : هذا حديث غريب .

وروى بعضهم هذا الحديث عن هشام بن عروة قال : أنزل ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾ في ابن أم مكتوم ولم يذكر فيه عن عائشة .

وفي «العلل الكبير» للترمذي : سألت محمدًا عن هذا الحديث فقال : يروى عن هشام بن عروة عن أبيه مرسلاً («العلل الكبير» ٦٦٧ / ص ٣٥٨) .

●أما الحاكم فقال عقب إخراجه : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه فقد أرسله جماعة عن هشام بن عروة .

وقال الذهبي في تعليقه على «المستدرك» : هكذا رواه يحيى بن سعيد الأموي مرفوعًا عن هشام وأرسله جماعة عن هشام وهو الصواب .

(٢) حديث أنس عند أبي يعلى من طريق محمد بن مهدي عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس ، وفي هذا الطريق أمور :

أولها : ابن مهدي لا أعرفه .

جاء ابن أم مكتوم الأعمى إلى النبي ﷺ وهو يكلم أبي بن خلف فأعرض عنه فأنزل اللّه ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾ قال : فكان النبي ﷺ يكرمه .

وثمَّ طرق أخرى كلها تدل على المعنى المذكور وفي أسانيدها ضعف[1] .

وحديث الترمذي رحمه اللّه قد أُعل بالإرسال وكذا حديث أنس رضي اللّه عنه ، وهذه الطرق ، وإن كان لا يثبت منها إسناد بدون علة إلا أنها تنجبر بسياق الآيات الكريمات ، وتنجبر أيضًا بأن عددًا من أهل العلم نقل الإجماع على أنها نزلت في ابن أم مكتوم ، واللّه أعلم .

* * *

س ـ لماذا وُصف ابن أم مكتوم بـ (الأعمى) ورب العزة سبحانه يقول : ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: ١١] ؟

ج : أجاب على ذلك بعض العلماء بأجوبة منها :

= **الثاني** : أن الحديث عند عبد الرزاق (الذي رواه عنه ابن مهدي هذا) في التفسير من طريق قتادة مرسلاً ، وكذا هو عند الطبري من طريق ابن ثور عن معمر عن قتادة مرسلاً ، وكذلك أيضًا عند الطبري من طريق سعيد عن قتادة مرسلاً .

الثالث : أن في رواية معمر عن قتادة كلام .

فالصواب في رواية أنس الإرسال أيضًا .

(١) منها ما أخرجه الطبري من حديث ابن عباس رضي اللّه عنهما ، وإسناده تالف .
لكن بالجملة فالحديث يصح لأمور : منها : أن سياق الآيات يؤيده ، والثاني أن الإجماع قد نقله غير واحد على أنها نزلت في ابن أم مكتوم ، ومن الذين نقلوا الإجماع على ذلك القرطبي في «تفسيره» والشوكاني في «فتح القدير» وصديق حسن خان في «فتح البيان» وعطية سالم في «تتمة أضواء البيان» ، واللّه أعلم .

الأول : أنه وصف بالأعمىٰ للإشعار بعذره في الإقدام علىٰ قطع كلام الرسول ﷺ ، لأنه لو كان يرىٰ ما هو مشتغل به مع صناديد الكفار لما قطع كلامه .

الثاني : أن الشخص إذا اشتهر بشيء ولم يُعلم من حاله أنه يتضايق بهذا الوصف الذي وصف به فلا بأس والحالة هذه أن يُنادَىٰ بهذا الوصف ، ولا يكون هذا داخلاً في قوله تعالىٰ : ﴿ **وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ** ﴾ ، وقد دل علىٰ ذلك قول النبي ﷺ: «**أكما يقول ذو اليدين**»[1] لرجلٍ كان في يديه طُول ..

وقد بوَّب البخاري لبعض طرق هذا الحديث في كتاب الأدب بباب ما يجوز من ذكر الناس نحو قولهم : الطويل والقصير ، وقال النبي ﷺ : «**ما يقول ذو اليدين**» وما لا يراد به شين الرجل .

● **وقال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه**[2]: هذه الترجمة معقودة لبيان حكم الألقاب وما لا يعجب الرجل أن يوصف به مما هو فيه ،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٢) وفي غير موضع ، ومسلم (حديث ٥٧٣) من طريق ابن سيرين عن أبي هريرة قال : صلىٰ بنا رسول اللَّه ﷺ إحدىٰ صلاتي العشي - قال ابن سيرين - : سماها أبو هريرة ولكن نسيت أنا ، قال : فصلىٰ بنا ركعتين ثم سلَّم ، فقام إلىٰ خشبة معروضة في المسجد فاتكأ عليها كأنه غضبان ووضع يده اليمنىٰ علىٰ اليُسرىٰ وشبك بين أصابعه ووضع خده الأيمن علىٰ ظهر كفه اليسرىٰ وخرجت السُّرعان من أبواب المسجد فقال : قُصِرت الصلاة ، وفي القوم أبو بكر وعمر فهابا أن يُكلماه ، وفي القوم رجل في يديه طول يُقال له ذو اليدين قال : يا رسول اللَّه أنسيتَ أم قُصِرت الصلاة ؟ قال : «**لم أنس ولم تقصر**» ، فقال : «**أكما يقول ذو اليدين ؟**» فقالوا : نعم .... الحديث .

(٢) «فتح الباري» (١٠/٤٦٨) .

وحاصله: أن اللقب إن كان مما يعجب الملقب ولا إطراء فيه مما يدخل في نهي الشرع فهو جائز أو مستحب ، وإن كان مما لا يعجبه فهو حرام أو مكروه ، إلا إن تعيَّن طريقًا إلى التعريف به حيث يشتهر به ولا يتميز عن غيره إلا بذكره ومن ثمَّ أكثر الرواةُ من ذكر الأعمش والأعرج ونحوهما ، وعارم وغُندر وغيرهم ، والأصل فيه قول النبي ﷺ لما سلم من ركعتين من صلاة الظهر : **«أكما يقول ذو اليدين»** . . ثم قال الحافظ رحمه اللّٰه : وإلى ما ذهب إليه البخاري من التفصيل في ذلك ذهب الجمهور .

قلت : وكما ذكر الحافظ ابن حجر رحمه اللّٰه فقد أطبق المحدثون على جواز ذكر مثل هذه الألفاظ كالأعمش والأعرج والأعور والدراوردي [١] وابن دقيق العيد [٢]، والخرقي، والمقبري [٣] والحذاء [٤] والفقير [٥] وغير ذلك .

***

س ـ من هو هذا المستغني ؟

---

(١) ذكر بعض العلماء أن الدراوردي أصلها أن عبد العزيز (صاحب هذا اللقب) كان من أهل بلدة يقول أهلها لمن أرادوه أن يدخل عليها (اندر) فلما قدم المدينة وجاء الناس يستئذنون عليه قال لهم (اندروا) فلقب بالاندراوردي ثم خففت فقيل الدراوردي ، واللّٰه أعلم .

(٢) ذكر بعض العلماء أنه لُقب بابن دقيق العيد لشدة بياضه .

(٣) لان بيته كان قريبًا من المقابر .

(٤) لانه كان يُجالس الحذائين .

(٥) لانه كان يشتكي فِقار ظهره .

ج : قال بعض أهل العلم : إنه أبي بن خلف على ما جاء في الحديث وقيل : صناديد مشركي قريش ، والله أعلم .

***

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّىٰ ﴾ [عبس: ٧] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : ليس عليك إثم من عدم تزكيهم وتطهرهم وإسلامهم فـ ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ﴾ [الرعد: ٧] ، و ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ ﴾ [الرعد: ٤٠] ، و ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٧٢] ، و ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴾ [الغاشية: ٢٢] .

***

س ـ ما الرأي فيما قاله القرطبي رحمه الله حيث قال : قال علماؤنا: ما فعله ابن أم مكتوم كان من سوء الأدب لو كان عالمًا بأن النبي ﷺ مشغول بغيره وأنه يرجو إسلامهم ، ولكن الله تبارك وتعالى عاتبه حتى لا تنكسر قلوب أهل الصفة ، أو ليعلم أن المؤمن الفقير خير من الغني .. ؟

ج : هذا الكلام قد سُبق القرطبي إلى نحوه سَبَقه الرازي وبالغ في القول فقال: إن ابن أم مكتوم كان يستحق التأديب والزجر ، وعلل ذلك بما حاصله : أنه (أي : ابن أم مكتوم) كان يسمع مخاطبة النبي ﷺ للقوم ، وهو كان أعمى إلا أنه يسمع ما يجري ويدور ، وأيضًا فهو كان قد أسلم وتعلم دينه أما هؤلاء فلم يسلموا . . . إلى آخر ما قال رحمه الله ولنا على هذا القول تحفظات :

أولها : أن هذا القول بجملته لا نوافق عليه فإن اللَّه سبحانه وتعالى أثنى على ابن أم مكتوم بقوله : ﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ [عبس: ٨، ٩] .

الثاني : أن ابن أم مكتوم مرفوع عنه الحرج لقوله تعالى : ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ [الفتح: ١٧] .

والذي يظهر لي ـ والعلم عند اللَّه ـ : أن هذا تأديب لهذه الأمة في شخص رسول اللَّه ﷺ وتعليم لها في شخص نبيها الكريم ، كما قال اللَّه تبارك وتعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝٢٣ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤] . واللَّه تعالى أعلم .

* * *

س ـ اذكر بعض مناقب عبد اللَّه بن أم مكتوم رضي اللَّه عنه ؟

ج : من هذه المناقب ما يلي :

- ما تقدم من أن اللَّه سبحانه وتعالى قال في شأنه : ﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ [عبس: ٨، ٩] فوصفه اللَّه سبحانه وتعالى بأنه جاء يسعى وهو يخشى .
- ومن ذلك: أنه كان مؤذنًا لرسول اللَّه ﷺ كما أخرج ذلك مسلم[1]

(١) أخرجه مسلم (حديث ٣٨٠) .

من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال : كان لرسول اللَّه ﷺ مؤذنان بلال وابن أم مكتوم .

● وأخرج البخاري[١] من حديث زيد بن ثابت رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم أملى عليه : ﴿ **لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل اللَّه** ﴾ فجاءه ابن أم مكتوم وهو يُملُّها عليَّ قال : يا رسول اللَّه ، واللَّه لو أستطيع الجهاد لجاهدت ـ وكان أعمى ـ فأنزل اللَّه على رسوله صلى اللَّه عليه وآله وسلم وفخذوه على فخذي فثقلت عليَّ حتى خفت أن ترض فخذي ثم سرى عنه فأنزل اللَّه : ﴿ **غير أولي الضرر** ﴾ .

وفي رواية للبخاري [٢] أيضًا من حديث البراء بن عازب رضي اللَّه عنهما قال : لما نزلت ﴿ **لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [النساء: ٩٥] قال النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم : « **ادعوا فلانًا** » فجاءه ومعه الدواة واللوح أو الكتف فقال : «**اكتب**» ﴿ **لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ [النساء: ٩٥] وخلف النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم ابن أم مكتوم فقال : يا رسول اللَّه أنا ضرير فنزلت مكانها : ﴿ **لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ [النساء: ٩٥] .

* * *

(١) البخاري (حديث ٤٥٩٢) .
(٢) البخاري (٤٥٩٤) .

س ـ ينبغي أن يُقبل المؤمن على أهل الإيمان وإن كانوا ضعفاء أو فقراء ، اذكر بعض الأدلة على ذلك ؟

ج : من هذه الأدلة : قوله تعالى : ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ[1] يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٢ - ٥٤] .

● وقوله تعالى : ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] .

● وقوله تعالى : ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا

---

(١) أخرج مسلم في «صحيحه» (حديث ٢٤١٣) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي اللَّه عنه قال: فيَّ نزلت ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ قال : نزلت في ستةٍ أنا وابن مسعود منهم ، وكان المشركون قالوا : تُدني هؤلاء !!

وفي رواية لمسلم أيضًا من حديث سعد قال : كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال المشركون للنبي ﷺ : اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا ، قال : وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هُذيل وبلال ورجلان لست أسميهما فوقع في نفس رسول اللَّه ﷺ ما شاء اللَّه أن يقع فحدث نفسه ، فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [الأنعام: ٥٢] .

عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾ [عبس: ٥ - ١١] .

وأخرج مسلم [١] من حديث عائذ بن عمرو أن أبا سفيان أتىٰ علىٰ سلمان وصهيب وبلال في نفرٍ فقالوا : واللَّه ما أخذت سيوف اللَّه من عُنق عدو اللَّه مأخذها ، قال : فقال أبو بكر : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟ فأتىٰ النبيَّ ﷺ فأخبره فقال : «**يا أبا بكر لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك**» ، فأتاهم أبو بكر فقال : يا إخوتاه أغضبتكم ؟ قالوا : يغفر اللَّه لك يا أُخي .

● ومن هذا الباب: قوله تعالىٰ في شأن نوح عليه السلام مع قومه (في سورة هود) : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ

---

[١] مسلم حديث (٢٥٠٤) ، والنسائي في «فضائل الصحابة» (١٧٢) ، وأحمد (٥/ ٦٤) .

الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٢٥ - ٣١] .

وقد سأل هرقل أبا سفيان عن أصحاب رسول اللَّه ﷺ فقال له : (فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم) [1] قال أبو سفيان : بل ضعفاؤهم فقال له هرقل : وهم أتباع الرسل .

• قال بعض العلماء : لأن الضعفاء والفقراء ليس لديهم حرصٌ على منصب يضيع ولا جاه يُهدر ، ولأنهم أهل تواضع ومسكنة .

* * *

س ـ ما المراد بقوله تعالى : ﴿كَلاَّ﴾ عند قوله تعالى : ﴿كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ [عبس: ١١] ؟

ج : كلا : كلمة ردع وزجر ، والمراد بها هنا : أي : ليس الأمر كما تفعل يا محمد من الإقبال على الكافر المستغني والإلحاح عليه والإعراض عن الفقير الضعيف الذي جاءك يسعى وهو يخشى .

وقال آخرون من أهل العلم : إن منزلة القرآن والوحي والدين أعلى منزلة من أن تبذل لقوم هذه حالتهم ، فهي على ما هي عليه من تكريم ورفعة وطهارة وصيانة ، وما عليها من حفظة سفرة كرام بررة أحرى بأن يسعى إليها والخير لمن أتاها يطلبها .

* * *

س ـ قوله تعالى: ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ [عبس: ١٢] **للتخيير أم للتهديد؟**

(١) انظر الحديث بذلك في البخاري (حديث ٧) ومسلم (١٧٧٣) .

ج : الصواب ـ والعلم عند اللَّه ـ : أنها للتهديد ، بدليل قوله تعالىٰ: ﴿**قتل الإنسان ما أكفره**﴾ . وهي كقوله تعالى : ﴿**فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ [الكهف: ٢٩] .

* * *

س ـ إلىٰ ماذا يرجع الضمير في قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ [عبس: ١١] **، وفي قوله تعالىٰ : ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾** [عبس: ١٢] **؟**

ج : الضمير في قوله تعالىٰ : ﴿**كَلاَّ إِنَّهَا**﴾ يرجع إلىٰ الموعظة التي وعظ اللَّه به نبيه ﷺ في معاملة من جاء يسعىٰ وهو يخشىٰ ، وفي معاملة من استغنىٰ ، أي : الوصية بالمساواة بين الناس في إبلاغ العلم للشريف والوضيع والغني والفقير .

● **ومن العلماء من قال** : إن الضمير يرجع إلىٰ هذه السورة .

● أما الضمير في قوله تعالىٰ : ﴿**فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ**﴾ [عبس: ١٢] فللعلماء فيه قولان :

أحدهما : أنه يرجع إلىٰ اللَّه عز وجل ، فالمعنىٰ : فمن شاء ذكر اللَّه .

الثاني : أنه يرجع إلىٰ القرآن ، فالمعنىٰ : فمن شاء قرأه وعمل به واللَّه أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بالصحف المكرمة ؟

ج : هي اللوح المحفوظ ، والله أعلم .

* * *

س ـ قوله تعالىٰ : ﴿مُّطَهَّرَةٍ﴾ [عبس: ١٤] مطهرة من ماذا ؟

ج : مطهرة من الدنس ، ومطهرة من الزيادة والنقص ، ومطهرة من الشرك ، ومطهرة من النزول علىٰ المشركين .

وقال البخاري رحمه الله : والصحف مطهرة لأن الصحف يقع عليها التطهير فجعل التطهير لمن حملها أيضًا .

* * *

س ـ ما هي التي في الصحف المكرمة ؟

هي التذكرة ، فالمعنىٰ : كلا إنها تذكرة في صحف مكرمة ، وقوله : ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ [عبس: ١٢] جملة اعتراضية ، والله أعلم .

* * *

س ـ من المراد بالسفرة ؟

ج : جمهور أهل العلم علىٰ أن المراد بالسفرة هم الملائكة ، ثم بعد ذلك اختلفوا في تخصصات هذه الملائكة الذين وصفوا بأنهم سفرة .

فمن العلماء من قال : إنهم الكتبة ، ومنهم من قال : إنهم القراء

لقول النبي ﷺ : **«الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة»** [١] ومنهم من قال : هم السفراء بين اللّه عز وجل وبين الرسل عليهم السلام .

قال البخاري في « صحيحه » (كتاب التفسير عند تفسير سورة عبس) : الملائكة واحدهم سافر ، سفرت أصلحت بينهم ، وجعلت الملائكة إذا نزلت بوحي اللّه وتأديته كالسفير الذي يصلح بين القوم .

قال الطبري رحمه اللّه : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : هم الملائكة الذين يسفرون بين اللّه ورسله بالوحي وسفير القوم الذي يسعى بينهم بالصلح، يُقال: سفرت بين القوم إذا أصلحت بينهم ، ومنه قول الشاعر :

وما أدع السفارة بين قومي ∴ وما أمشي بغشٍ إن مشيت

وإذا وجه التأويل إلى ما قلنا احتمل الوجه الذي قاله القائلون هم الكتبة والذي قاله القائلون أنهم القراء لأن الملائكة هي التي تقرأ الكتب وتسفر بين اللّه ورسله .



(١) أخرجه مسلم (حديث ٧٩٨) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي اللّه عنها مرفوعًا .

﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (٢٣)﴾

س ـ اذكر معاني هذه الكلمات :

قُتل ـ أقبره ـ أنشره ؟

ج :

الكلمة	معناهـا
قُتِـــلَ	لُعِن
أقبـــره	صيَّره ذا قبر [1]
أنشـــره	أحياه بعد موته ، ومنه قولهم : البعث والنشور

* * *

(١) قال الطبري رحمه الله : يعني بقوله أقبره : صيَّره ذا قبر ، والقابر : هو الدافن الميت بيده كما قال الأعشى :

لو أسندت ميتًا إلى نحرها .:. عاش ولم يُنقل إلى قابر

والمقبر : هو الله الذي أمر عباده أن يقبروه بعد وفاته فصيره ذا قبر .

س ـ من المراد بالإنسان في قوله تعالىٰ : ﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ [عبس: ١٧] ؟

ج : المراد : الإنسان الكافر .

* * *

س ـ وضح أقوال العلماء في قوله تعالىٰ ﴿ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ [عبس: ١٧] ؟

ج : من هذه الأقوال ما يلي :

- ما أشد كفره [١].
- ما الذي حمله علىٰ الكفر .
- المراد : التعجب من كفره مع إحسان اللَّه إليه .

* * *

س ـ ما معنىٰ قوله : ﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴾ [عبس: ١٩] ؟

ج : المعنىٰ ـ واللَّه أعلم ـ : أن اللَّه عز وجل خلق هذا الإنسان من نطفة ثم قدره ، وفي قدره أقوال : أحدها : قدره نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم كسيت العظام لحمًا ثم أنشئ خلقًا آخر .

- وقيل : قدره قدر يديه ورجليه وعينيه وسائر آرابه .
- وقيل: قدر أجله ورزقه وعمله وشقي أو سعيد وكل هذا محتمل.

* * *

(١) ويشهد لهذا قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٤] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ ﴾ [الحج: ٦٦] .

س ـ ما هو وجه إيراد قوله تعالى : ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ [عبس: ١٨] عقب قوله تعالى : ﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ [عبس: ١٧] ؟

ج : وجه ذلك : إظهار التعجب من حال الكافر وتبكيته فهو مع كونه مخلوقًا من نطفة ، ثم قدره اللَّه عز وجل ، ثم يسر له السبيل ، ثم أماته فأقبره . . مع هذه الحال من الضعف ، ومع هذه النعم من اللَّه عليه : إذا هو شديد الكفران لنعم اللَّه عليه .

ففائدة ذكر الآيات عقب قوله: ﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ [عبس: ١٧] تذكير للكافر لعله يتعظ ، وبيان لحاله من الضعف ، وبيان نعم اللَّه عليه وقدرته سبحانه عليه .

● وكما قال القائل : ما لابن آدم والفخر ، أوله نطفةٌ مذرةٌ ، وآخره جيفةٌ ، قذرةٌ وهو بينهما حامل عذرة .

* * *

س ـ ما المراد بالسبيل في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾ [عبس: ٢٠] ؟

ج : لأهل العلم قولان في هذا :

أحدهما : أن المراد بالسبيل سبيل الخروج من بطن أمه [1].

---

(١) اختار ابن جرير الطبري رحمه اللَّه هذا الوجه فقال : وأولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب قول من قال : ثم الطريق ، وهو الخروج من بطن أمه يسره ، وإنما قلنا: ذلك أولى التأويلين بالصواب؛ لأنه أشبههما بظاهر الآية، وذلك أن الخبر من اللَّه قبلها وبعدها عن صفة خلقه وتدبيره جسمه وتصريفه إياه في الأموال ، فالأولى أن يكون أوسط ذلك نظير ما قبله وما بعده .

الثاني : أن المراد بالسبيل طريق الدين ، ومنه قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ٣] .

* * *

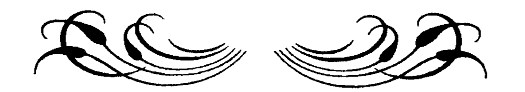
س ـ هل في قوله تعالىٰ: ﴿ فَأَقْبَرَهُ ﴾ [عبس: ٢١] وجه إكرام لابن آدم؟

ج : نعم فيه وجه إكرام حاصله : أن اللَّه سبحانه وتعالىٰ أمر بدفن ابن آدم إذا مات ولم يجعله مما يلقىٰ علىٰ وجه الأرض تأكله السباع والطير .

* * *

س ـ وضح معنىٰ قوله تعالىٰ ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴾ [عبس: ٢٣] ؟

ج : المعنىٰ ـ واللَّه أعلم ـ : ليس الأمر كما يقول الكافر من أنه قد أدىٰ حق اللَّه عليه في نفسه وماله وما افترضه اللَّه عليه ، بل إنه لم يقض ما أمره اللَّه به ، أي : لم يؤد ما فرضه اللَّه عليه ، وقيل : لم يف بالميثاق الذي أخذه اللَّه عليه وهو في صلب أبيه . واللَّه أعلم .



﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾

س ـ اذكر معاني هذه الكلمات :

قضبًا ـ غُلبًا ـ أبًّا ؟

ج :

الكلمة	معناهــا
قضبــًـا	هو البرسيم، وقيل: عموم العلف الذي تأكله الدواب، وقيل : هو جميع البقول التي تقطع فينبت أصلها
غلبــًـا	الأغلب: هو عظيم الرقبة [1]، فالغلب: العظام الغلاظ الرقاب ، وقيل : الطوال ، وقيل : النخل الكرام
أبــًـا	هو ما تأكله الأنعام [2] ولا يأكله الناس

* * *

(١) **قال الطبري** : والغُلب جمع أغلب وهو الغليظ الرقبة من الرجال ، ومنه قول الفرزدق :
عوى فأثار أغلب ضيغميا .:. فويل ابن المراغة ما استثارا

● أما الحدائق فالحديقة ما التف شجرها واجتمع ، روى الطبري بإسناد صحيح عن ابن عباس قال : الحدائق ما التف واجتمع .

(٢) واستدل له بقوله تعالى: ﴿**وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ**﴾ [عبس: ٣١، ٣٢] =

س ـ ما هي صلة هذه الآيات ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ [عبس: ٢٥] بما قبلها ؟

ج : هذه الآيات تفسيرية لما قبلها ، فالمعنى : هذه كيفية صنع الطعام للإنسان كانت أولاً بصب الماء ، ثـم شق الأرض ثم بإنبات حبًّا وعنبًا وقضبًا وزيتونًا ونخـلاً وحدائـق غلبًا وفاكهة وأبًّا . . والله أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بالماء المذكور في قوله تعالى : ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ [عبس: ٢٥] ؟

ج : المراد : الغيث النازل من السماء ، كما قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً . . .﴾ [الحج: ٦٣] .

* * *

= فقال بعض العلماء : إن الفاكهة متاع لنا والأب لأنعامنا .

هذا وقد ورد عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من عدة طرق صحيحة إليه بلا ريب (عند الطبري والحاكم وأبي عبيد القاسم بن سلام وابن سعد وسعيد بن منصور في التفسير وغيرهم) أنه قرأ : ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١] فقال : أما الفاكهة فقد عرفناها فما الأب ؟ ومعه عصا في يده ، ثم قال : لعمرك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلف ، وألقى العصا من يده .

وورد عن أبي بكر عند أبي عبيد وغيره من طريق إبراهيم التيمي عنه أنه قال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم . . ، لكن هذا الأثر ضعيف لانقطاعه بين إبراهيم التيمي وأبي بكر رضي الله عنه فإبراهيم لم يسمع من أبي بكر رضي الله عنه .

س ـ ما هي فائدة توجيه الإنسان إلى النظر إلى طعامه ؟

ج : حتى يتبين له وجه الإعجاز في طعامه وكيف تيسر له هذا الطعام وكيف هيئ له ؟ !!

ومن أهل العلم من قال : إن المراد توجيه نظر الإنسان إلى مدخل طعامه ومخرجه ، كيف دخل وكيف كانت حالته عند الدخول ، وكيف خرج وكيف كانت حالته عند الخروج [1] ؟ !!!

هذا والمراد بالنظر النظر المصحوب بالتفكر والتدبر ، والله أعلم.

* * *

س ـ هناك أوجه تطابق بين قوله تعالى : ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ [عبس: ١٩، ٢٠] وبين قوله تعالى : ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ... ﴾ الآيات [عبس: ٢٥ - ٢٧] وضح أوجه التطابق هذه ؟

ج : أوجه هذا التطابق تتمثل في أن كيفية خلق الإنسان تشابه كيفية خلق الطعام .

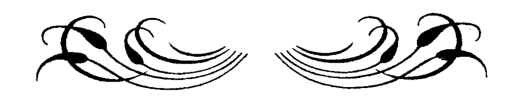
● فقذف المني في الرحم المذكور في قوله تعالى : ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ﴾ [عبس: ١٩] يطابق صب الماء من السماء إلى الأرض المذكور في قوله تعالى : ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ [عبس: ٢٥] .

---

(١) ومن هذا خروج الناس عند قدوم المولود وابتهاجهم به وإقبالهم عليه ، ثم بعد دفنه تظهر منه الرائحة الكريهة ويظهر النتن ويفرون منه أيما فرار !!!

• وتيسير سبيل الخروج له من بطن أمه المذكور في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ [عبس: ٢٠] يطابق خروج النبات من الأرض المذكور في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا﴾ [عبس: ٢٦] .

• وتقدير خلق الإنسان وكتابة أجله ورزقه وعمله وشقي أو سعيد وكذلك تقديره ذكرًا أو أنثى ، وتقدير النطفة هل هي مخلقة أو غير مخلقة ، وتقدير صورته وطوله وقصره ، ونحو ذلك كله المذكور في قوله تعالى : ﴿فَقَدَّرَهُ﴾ يطابق أصناف الطعام التي نبتت من الأرض المذكورة في قوله تعالى : ﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا ...﴾ [عبس: ٢٧، ٢٨] والله أعلم .



فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾
وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ
يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

س ـ اذكر معاني هذه الكلمات :

الصآخة ـ مسفرة ـ غبرة ـ ترهقها ـ قترة ـ الفجرة ؟

ج :

الكلمة	معناهـــا
الصآخـــة	قال بعض العلماء : إنها اسم من أسماء يوم القيامة وقال آخرون : اسم للنفخة في الصور وسميت صآخة لأنها تبالغ في إسماعها حتى تكاد تصم الأسماع ، وقال آخرون : تورث الصمم وإنها لمسمعة
مسفـــرة	مشرقة مضيئة
غبـــرة	غبار ودخان وكدر (من الغبار)
ترهقهـــا	تغشاها ـ تعلوها
قتـــرة	كسوف وسواد ـ ذلة

الكلمة	معناهـــا
الفجـــــرة	الفاجر: هو الكاذب المفتري على اللّٰه ـ وقيل: الفاسق وقيل : الفاجر المائل عن الحق ومن العلماء من قال: الكفر في الاعتقاد والفجور يكون في الأعمال ، واللّٰه أعلم

* * *

س ـ لماذا يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه يوم القيامة؟

ج : ذكر بعض العلماء لذلك أسبابًا منها ما يلي : ـ

الأول : انشغال كل امرئ منهم بأمر نفسه والاهتمام به دون غيره كما قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿**لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ**﴾ [عبس: ٣٧] .

وقد ورد في «الصحيحين» [١] وغيرهما من حديث أم المؤمنين عائشة رضي اللّٰه عنها قالت : سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول : «**يُحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً**» قلت : يا رسول اللّٰه النساء والرجال جميعًا ينظر بعضهم إلىٰ بعض قال ﷺ : «**يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلىٰ بعض**» .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٥٢٨) ، ومسلم (حديث ٢٨٥٩) واللفظ له .

الثاني : يفر كل امرئ منهم حتى لا يرونه ويرون ما يحل به .

الثالث : يفرُّ منهم حتى لا يطالبوه بالمظالم التي كانت لهم عنده .

الرابع : لعلمه أنهم لا ينفعونه بشيء كما قال تعالى : ﴿**يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلا هُمْ يُنصَرُونَ**﴾ [الدخان: ٤١] .

❊ ❊ ❊

س ـ من هم أصحاب الوجوه المسفرة ؟ اذكر بعض مبيضات الوجوه يوم القيامة ؟

ج : **أصحاب الوجوه المسفرة : هم أهل الإيمان .**

ومما يبيض الوجوه : الوضوء فأهل الوضوء يأتون يوم القيامة غرًّا محجلين من أثر الوضوء [١] .

وأيضا حملة سنة رسول الله ﷺ ، قال النبي ﷺ : «نضَّر الله امرءًا سمع مقالتي فوعاها ثم أداها كما سمعها» [٢] .

❊ ❊ ❊

س ـ قوله تعالى : ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٩] ضاحكة لماذا ومستبشرة بماذا ؟

---

(١) أخرج البخاري (حديث ١٣٦) ، ومسلم (حديث ٢٤٦ ص ٢١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : «**إن أمتي يدعون يوم القيامة غُرًّا محجلين من آثار الوضوء**» .

(٢) صحيح متواتر .

ج : ضاحكة لما نالها من السرور والكرامة والنعيم .

مستبشرة لما ترجوه من الزيادة والرحمة والرضوان .

* * *

س - وجوه مَنْ التي ﴿ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ [عبس : ٤٠، ٤١] ؟

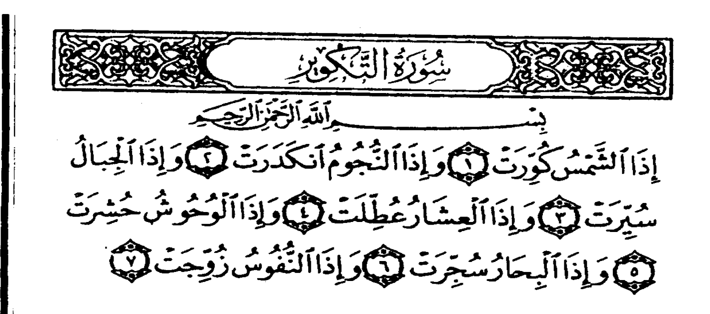
ج : هي وجوه الكفار .

* * *

س - ما هو وجه فجور الكفار في الدنيا ؟

ج : وجه ذلك : أنهم كانوا لا يبالون بما اقترفوه من معاصي للَّه ولا بما ارتكبوه من محارمه ، واللَّه أعلم .




سُورَةُ التَّكْوِيرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾

س ـ اذكر معاني هذه الكلمات :

كوِّرت ـ انكدرت ـ سيِّرت ـ العشار ـ عُطِّلت ـ حشرت ـ سُجِّرت ـ زوِّجت ؟

ج :

الكلمة	معناهـــا
كـــوِّرت	جمع بعضها إلى بعض ثم لُفَّت فرمي بها فإذا فعل بها ذلك فقد ذهب ضوؤها [١]

(١) هذا هو حاصل القول في تأويل قوله تعالى : ﴿كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] ، ومن العلماء من قال : كوِّرت معناها : ذهب ضوؤها ـ وقال آخرون : رُمي بها ـ وقال آخرون : ذهبت .
وما قدمناها هو أجمع الأقوال .
وروى الطبري بإسناد حسن عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: ست آيات قبل يوم =

الكلمة	معناهـا
انكـدرت	تناثرت ـ رُمي بها ـ تغيَّرت ، وقيل: الانكدار طمس النور
سيـــرت	ذهبت ـ قلعت عن وجه الأرض وأُبعدت .
العشـــار	الإبل العشار، وهي الحوامل التي قد مرَّ على حملها عشرة أشهر
عطِّلـــت	تركت مـن شدة الهول النازل بأهلها ـ أهملها أهلها وانشغلوا عنها لشدة ما حل بهم مع أنها كانت من أنفس وأحب الأشياء إليهم
حشـــرت	جُمعـتْ (١) ـ ماتت (٢) ـ اختلطـت (وأولى الأقـوال عنـدي

= القيامة بينا الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت واحترقت وفزعت الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن واختلطت الدواب والطير والوحش وماجوا بعضهم في بعض ، ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥] قال : اختلطت ، ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤] قال : أهملها أهلها ، ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦] قال : قالت الجن للإنس : نحن نأتيكم بالخبر ، قال : فانطلقوا إلى البحار فإذا هي نار تأجج قال : فبينما هم كذلك إذ تصدَّعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى وإلى السماء السابعة العليا قال : فبينما هم كذلك إذ جآءتهم الريح فأماتتهم .

● وصح عن قتادة عند الطبري أنه قال : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] قال : ذهب ضوؤها فلا ضوء لها .

(١) صح ذلك عن قتادة فقال ـ كما عند الطبري ـ : إن هذه الخلائق موافية يوم القيامة فيقضي اللّه فيها ما يشاء .

(٢) صح عن ابن عباس رضي اللّه عنهما عند الطبري وغيره أنه قال : حشر البهائم موتها وحشر كل شيء الموت غير الجن والإنس فإنهما يوقفان يوم القيامة .

الكلمة	معناهـــا
	قول من قال : جمعت) [١]
سجـــرت	اشتعلت نارًا [٢] ـ أحميت ـ فاضت ـ ملئت بالماء ـ أرسل عذبها على مالحها ـ ذهب ماؤها
زوّجـــت	ألحق كل إنسان بشكله وصنفه الصالح مع الصالح والطالح مع الطالح [٣]

❋ ❋ ❋

(١) ووجه هذا الترجيح عندي لقوله تعالى : ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨] .

وقول النبي ﷺ : «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء» أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٥٨٢) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه مرفوعًا .

• وقال الطبري رحمه الله في «تفسيره» : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معنى حُشرت : جمعت فأميتت لأن المعروف في كلام العرب من معنى الحشر الجمع ، ومنه قول الله : ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ [ص: ١٩] يعني : مجموعة ، وقوله : ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ [النازعات: ٢٣] ، وإنما يُحمل تأويل القرآن على الأغلب الظاهر من تأويله لا على الأنكر المجهول .

(٢) أخرج الطبري بإسناد صحيح عن سعيد بن المسيب قال: قال علي رضي الله عنه لرجل من اليهود: أين جهنم؟ فقال: البحر فقال: ما أراه إلا صادقًا ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ٦] ، ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ مخففة.

• وأخرج الطبري بإسناد صحيح عن قتادة : ذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة .

قال الطبري : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك ملئت حتى فاضت فانفجرت وسالت كما وصفها الله به في الموضع الآخر فقال : ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣] والعرب تقول للنهر أو للركي المملوء ماءً مسجورًا ومنه قول لبيد :

فتوسطا عرض السريّ وصدَّعا .:. مسجورة متجاورًا أقلامها

ويعني بالمسجورة : المملوءة ماءً .

(٣) وهذا أصح الأقوال أي : أنه قرن بين الضرباء والأمثال كما قال تعالى : ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ =

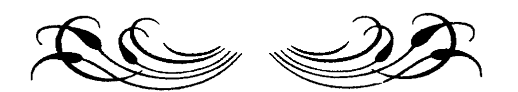
س - متىٰ تكوَّر الشمس ؟ وهل يكور القمر أيضًا ؟

ج : تكوَّر الشمس يوم القيامة ، والقمر يكوَّر أيضًا لما أخرجه البخاري [1] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال :

= ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢]، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ [الواقعة: ٧].
وكما قال عليه الصلاة والسلام : «.. **يجمع اللَّه الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئًا فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت ...**» .
الحديث أخرجه البخاري (٧٤٣٧) ، ومسلم (حديث ١٨٢) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا .
وفي لفظ آخر عند البخاري (٧٤٣٩) ، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه مرفوعًا : «**ينادي منادي يوم القيامة ليذهب كل قوم إلىٰ ما كانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم ...**» .
• وثمَّ قول آخر وهو قول الشعبي ، فقد صح عنه عند الطبري أنه قال : زوِّجت الأرواح بالأجساد .
والقول الأول أصح ، وهو قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه .
فقد أخرج الطبري عنه بإسناد حسن أنه قال : ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧] قال : يُقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة وبين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار .
وفي رواية عنه أيضًا وهو يخطب قال : ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ٧ - ١١] ، ثم قال : ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧] قال : أزواج في الجنة وأزواج في النار .
• وروىٰ الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال : ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧] قال : لحق كل إنسان بشيعته اليهود باليهود والنصارىٰ بالنصارىٰ .
واللَّه تعالىٰ أعلم .

[1] أخرجه البخاري (حديث ٣٢٠٠) .

«الشمس والقمر مكوران يوم القيامة» .



= **لطيفة :**

قال ابن القيم رحمه الله «التفسير القيم» :

وقرأ قارئ ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] وفي الحاضرين أبو الوفا ابن عقيل فقال له قائل : يا سيدي هب أنه أنشر الموتى للبعث والحساب ، وزوَّج النفوس بقرنائها بالثواب والعقاب، فلمَ هدم الأبنية وسيَّر الجبال ودك الأرض وفطر السماء ونثر النجوم وكوَّرت الشمس؟ فقال : إنما بنى لهم الدار للسكنى والتمتع ، وجعلها وجعل ما فيها للاعتبار . والتفكر والاستدلال عليه : لحسن التأمل والتذكر . فلما انقضت مدة السكنى وأجلاهم من الدار خرَّبها، لانتقال الساكن منها . فأراد أن يعلمهم بأن الكون كان معمورًا بهم . وفي إحالة الأحوال ، وإظهار تلك الأهوال ، وبيان المقدرة بعد بيان العزة ، وتكذيب لأهل الإلحاد ، وزنادقة المنجمين ، وعُبَّاد الكواكب والشمس والقمر والأوثان ، فيعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين . فإذا رأوا آلهتهم قد انهدمت ، وأن معبوداتهم قد انتثرت وانفطرت ، ومحالَّها قد تشققت : ظهرت فضائحهم وتبين كذبهم ، وظهر أن العالم مربوب محدَث ، مدبَّر ، له رب يصرفه كيف يشاء ، تكذيبًا لملاحدة الفلاسفة القائلين بالقدم .

فكم لله من حكمة في هدم هذه الدار ، ودلالة على تعظيم عزته وقدرته ، وسلطانه ، وانفراده بالربوبية ، وانقياد المخلوقات بأسرها لقهره ، وإذعانها لمشيئته . فتبارك الله رب العالمين.

﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾.

س ـ اذكر معاني ما يلي :

الموءودة ـ نشرت ـ قشطت ـ سعِّرت ـ أزلفت ؟

ج :

الكلمة	معناهـــا
المـوءودة	المدفونة وهي حية
نشـــرت	فتحت
قشطـــت	أزيلت عن أماكنها ـ جُذبت ـ نُزِعت وطويت ـ كشطت كما يكشط الجلد عن الكبش
سعَّـــرت	أوقد عليها فأحميت ـ أججت
أزلفـــت	أُدنيت ـ قُرِّبت [1]

* * *

(١) أي : قربت من المتقين

س ـ لماذا تُسأل الموءودة ؟

ج : تُسأل الموءودة لتبكيت قاتلها وإظهار الغيظ عليه حتى كأنه لا يستحق أن يُخاطب ، وأيضًا لتوبيخ قاتلها أشد التوبيخ ، كما ورد من تبكيت للنصارى في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ... ﴾ [المائدة: ١١٦] .

وكما قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ [سبأ: ٤٠] .

● ومن العلماء من قرأها ﴿ وإذا الموءودة سألت ﴾ أي : سألت قتلتها عن سبب قتلهم لها ، وطالبت بدمها .

❊ ❊ ❊

س ـ لماذا كانوا يئدون البنات في الجاهلية ؟

ج : كان لذلك عندهم أسباب : منها : خوف العار اللاحق بهم من البنات ، ومنها : خشية أن يسبيها العدو ، ومنها : خشية الإملاق ، ومنهم من يرى أنه لن ينتفع من ابنته بشيء .

● ومن غريب أمرهم: أنهم كانوا يئدون البنات ويغذون الكلاب[1] .

❊ ❊ ❊

---

(١) روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال : كان أهل الجاهلية يقتل أحدهم ابنته ويغذو كلبه فعاب الله ذلك عليهم .

س ـ ما هو الوأد الخفي ؟

ج : **الوأد الخفي هو العزل ، وهو أن يجامع الرجل امرأته فإذا قارب الإنزال نزع وأنزل خارج الفرج .**

والدليل على أن العزل هو الوأد الخفي : ما أخرجه مسلم [1] من حديث جذامة بنت وهب رضي الله عنها أن النبي ﷺ سئل عن العزل فقال : «ذلك الوأد الخفي» وسيأتي .

* * *

س ـ ما حكم العزل ؟

ج : **الحاصل في مسألة العزل أنه مكروه ، وهذه بعض الأدلة الواردة في الباب وحاصل أقوال العلماء فيه :**

● أخرج البخاري ومسلم[2] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كنا نعزل والقرآن ينزل ، وفي رواية : كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل .

● وأخرج البخاري ومسلم [3] من حديث أبي سعيد الخدري

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ٦١٩) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٥٢٠٨) ومسلم (٣/ ٦١٧) .

(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ٥٢) ومسلم (٣/ ٦١٣) .

وللحديث طرق كثيرة عند مسلم عن أبي سعيد الخدري ، وكذلك له ألفاظ منها : **«لا عليكم ألا تفعلوا ما كتب الله خَلْقَ نسمة هي كائنة إلى يوم القيامة إلا ستكون»** .

ومنها : **« لا عليكم ألا تفعلوا فإنما هو القدر »** . =

رضي اللَّه عنه قال : أصبنا سبيًا فكنا نعزل فسألنا رسول اللَّه ﷺ فقال: «**أو إنكم لتفعلون ؟**» ـ قالها ثلاثًا ـ «**ما من نسمة كائنة إلىٰ يوم القيامة إلا هي كائنة**» .

وقال مسلم رحمه اللَّه في «صحيحه»[1] : حدثنا عبيد اللَّه بن سعيد ومحمد بن أبي عمر قالا حدثنا المقرئ حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثني أبو الأسود عن عروة عن عائشة عن جذَامة بنت وهب أخت عكاشة قالت حضرت رسول اللَّه ﷺ في أناس وهو يقول : «**لقد هممت أن أنهىٰ عن الغيلَة فنظرت في الروم وفارس فإذا هم يُغيلون أولادهم فلا يضر أولادهم ذلك شيئًا** » ، ثم سألوه عن العزل فقال رسول اللَّه ﷺ: «**ذلك الوأد**[2] **الخفي**» . زاد عبيد اللَّه في حديثه عن المقرئ : وهي : ﴿ **وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ** ﴾ [التكوير: ٨] .

● وأخرج مسلم[3] من طريق عامر بن سعد أن أسامة بن زيد أخبر والده سعد بن أبي وقاص أن رجلاً جاء إلىٰ رسول اللَّه ﷺ فقال : إني

= (قال محمد بن سيرين ـ عند مسلم ـ : لا عليكم أقرب إلىٰ النهي) .

ومنها : «**ولم يفعل ذلك أحدكم فإنه ليست نفس مخلوقة إلا اللَّه خالقها**» .

ومنها : أنّ النبي ﷺ سئل عن العزل فقال : «**ما من كل الماء يكون الولد ، وإذا أراد اللَّه خلق شيء لم يمنعه شيء**» .

(١) مسلم (٣/٦١٩) وأبو داود (٣٨٨٢) والترمذي (٢٠٧٧) والنسائي (٦/١٠٦ ـ ١٠٧) وابن ماجة (٢٠١١) .

(٢) الوأد : هو دفن البنت وهي حية .

(٣) مسلم (٣/ ٦٢٠) .

أعزل عن امرأتي فقال له رسول اللَّه ﷺ : «**لمَ تفعل ذلك ؟**» فقال الرجل: أشفق على ولدها أو على أولادها فقال رسول اللَّه ﷺ : «**لو كان ذلك ضاراً ضرَّ فارس والروم**» ، وقال زهير في روايته : «**إن كان لذلك فلا ، ما ضار ذلك فارسَ ولا الرومَ**» .

• وأخرج مسلم [1] أيضًا من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما قال : سأل رجل النبي ﷺ فقال : إن عندي جارية لي وأنا أعزل عنها ، فقال رسول اللَّه ﷺ : «**إن ذلك لن يمنع شيئًا أراده اللَّه**» ، قال : فجاء الرجل فقال : يا رسول اللَّه إن الجارية التي كنت ذكرتها لك حملت فقال رسول اللَّه ﷺ : «**أنا عبد اللَّه ورسوله**» .

أما بالنسبة لحاصل أقوال أهل العلم في المسألة :

فهناك خلاف بين الصحابة - رضوان اللَّه عليهم - في إباحة العزل، وكراهيته ، وتحريمه ، والتابعون وأتباعهم كذلك بينهم خلاف .

فالذين ذهبوا إلى التحريم احتجوا بحديث جذامة بنت وهب حيث قال عليه السلام في العزل : «**إنه الوأد الخفي**» .

والذين ذهبوا إلى الإباحة احتجوا بخبر جابر بن عبد اللَّه - رضي اللَّه عنه - كنا نعزل والقرآن ينزل .

وبعد إمعان النظر في الأدلة لا نراها ترتقي إلى التحريم ، كما أن القول بإباحته يعكر عليه الأحاديث الأخرى التي ظاهرها التحريم

---

(١) مسلم (٣/٦١٦) .

والزجر، فالأمر كما قال النووي ـ رحمه اللَّه ـ : أن الجمع بين هذه الأحاديث يتم بأن يُحمل ما ورد في النهي على كراهة التنزيه ، وما ورد في الإذن يحمل على أنه ليس بحرام ، وليس معناه نفي الكراهة ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ هل كان هناك من أهل الجاهلية من لا يئد البنات ؟

ج : نعم كان هناك من لا يئد البنات ، ومنهم كما ذكر عدد من أهل العلم : صعصعة بن ناجية جد الفرزدق الشاعر المشهور ، وبه كان يفتخر الفرزدق ويقول :

ومنا الذي منع الوائدات .:. وأحيا الوئيد فلم يُوأدِ

وفي بيت آخر :

ومنا الذي أحيا الوئيدَ وغالبٌ .:. وعمرو ومنا حاجبٌ والأقارع

* * *

س ـ ما حكم وأد البنات ؟

ج : وأد البنات كبيرة من أعظم الكبائر إذ هو قتل نفس بغير حق قال اللَّه تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا** ﴿٦٨﴾ **يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا** ﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيراً ﴾ [الإسراء: ٣١] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ [التكوير: ٨، ٩] .

وتقدم [١] حديث رسول اللَّه ﷺ - لما سئل أي الذنب أعظم ؟ قال : **«أن تجعل للَّه ندًّا وهو خلقك»** ، قيل : ثم أي ؟ قال : **«أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك ...»** الحديث .

وفي «الصحيحين» [٢] من حديث المغيرة بن شعبة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال : **«إن اللَّه حرم عليكم عقوق الأمهات ومنعًا وهات ووأد البنات»** .

* * *

---

(١) في تفسير سورة البقرة .

(٢) أخرجه البخاري مع «الفتح» (١٠/ ٤٠٥) ومسلم (٤/ ٣٠٨) .

ملحقات :

قال ابن كثير رحمه اللَّه (٤/ ٤٧٧) : هكذا قراءة الجمهور سئلت . والموءودة هي التي كان أهل الجاهلية يدسونها في التراب كراهية البنات ، فيوم القيامة تسأل الموءودة على أي ذنب قتلت ليكون ذلك تهديدًا لقاتلها فإنه إذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذًا ؟ .

قال النووي رحمه اللَّه : وأما وأد البنات بالهمز فهو دفنهن في حياتهن ، فيمتن تحت التراب، وهو من الكبائر الموبقات لأنه قتل نفس بغير حق ، ويتضمن أيضًا قطيعة الرحم ، وإنما اقتصر على البنات لأنه المعتاد الذي كانت الجاهلية تفعله .

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٠/ ٤٠٦) : قوله : (ووأد البنات) بسكون الهمزة هو دفن البنات بالحياة ، وكان أهل الجاهلية يفعلون ذلك كراهة فيهن ، ويقال : إن أول من فعل ذلك قيس بن عاصم التميمي ، وكان بعض أعدائه أغار عليه فأسر بنته فاتخذها لنفسه ثم =

. . . .

= حصل بينهم صلح فخير ابنته فاختارت زوجها فآلىٰ قيس علىٰ نفسه أن لا تولد له بنت إلا دفنها حية فتبعه العرب في ذلك ، وكان من العرب فريق ثان يقتلون أولادهم مطلقًا ، إما نفاسة منه علىٰ ما ينقصه من ماله، وإما من عدم ما ينفقه عليه ، وقد ذكر اللَّه أمرهم في القرآن في عدة آيات ، وكان صعصعة بن ناجية التميمي أيضًا وهو جد الفرزدق همام بن غالب بن صعصعة أول من فدىٰ الموءودة ، وذلك أنه يعمد إلىٰ من يريد أن يفعل ذلك فيفدي الولد منه بمال يتفقان عليه وإلىٰ ذلك أشار الفرزدق بقوله :

وجدي الذي منع الوائدا ... ت وأحيا الوئيد فلم يوأد

وهذا محمول علىٰ الفريق الثاني، وقد بقي كل من قيس وصعصعة إلىٰ أن أدركا الإسلام ولهما صحبة ، وإنما خص البنات بالذكر لأنه كان الغالب من فعلهم لأن الذكور مظنة القدرة علىٰ الاكتساب ، وكانوا في صفة الوأد علىٰ طريقين : أحدهما : أن يأمر امرأته إذا قرب وضعها أن تطلق بجانب حفيرة فإذا وضعت ذكرًا أبقته ، وإذا وضعت أنثىٰ طرحتها في الحفيرة ، وهذا أليق بالفريق الأول ، ومنهم من كان إذا صارت البنت سداسية قال لأمها طيبيها وزينيها لأزور بها أقاربها ، ثم يبعد بها في الصحراء حتىٰ يأتي البئر فيقول ، لها انظري فيها ويدفعها من خلفها ويطمها ، وهذا أليق بالفريق الثاني واللَّه أعلم .

وقال القاسمي في «محاسن التأويل» (ص ٦٠٧١) :

تنبيه :

قال السيوطيّ في «الإكليل» : في الآية تعظيم شأن الوأد ، وهو دفن الأولاد أحياءً . وأخرج مسلم أنه ﷺ سئل عن العزل فقال : **«الوأد الخفيّ»** . وهي : ﴿**وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ**﴾ [التكوير: ٨] . انتهىٰ .

وقد روىٰ عبد الرزاق عن عمر بن الخطاب في هذه الآية قال : جاء قيس بن عاصم إلىٰ رسول اللَّه ﷺ فقال : يا رسول اللَّه ! إني وأدت بنات لي في الجاهلية . قال : **«أعتق عن كل واحدة منهم رقبة»** . قال : يا رسول اللَّه ! إني صاحب إبل . قال : **«فانحر عن كل واحدة منهن بَدَنَة»** .

وروي الدارميّ [1] في أوائل مسنده أن رجلاً أتىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه! إنا كنا أهل =

---

(١) أخرجه في مقدمة «مسنده» في : ١ ـ باب ما كان عليه الناس قبل مبعث النبيّ ﷺ من الجهل والضلالة وإسناده ضعيف .

. . . .

= جاهلية وعبادة أوثان . فكنا نقتل الأولاد . وكانت عندي ابنة لي . فلما أجابت ، وكانت مسرورة بدعائي إذا دعوتها . فدعوتها يومًا فاتبعتني فمررت حتى أتيت بئرًا من أهلي غير بعيد فأخذت بيدها فرديتها في البئر . وكان آخر عهدي بها أن تقول : يا أبتاه يا أبتاه . فبكى رسول اللَّه ﷺ حتى وكف دمع عينيه . فقال له رجل من جلساء رسول اللَّه ﷺ : أحزنت رسول اللَّه ﷺ . فقال له رسول اللَّه ﷺ : **«كف . فإنه يسأل عما أهمه»** . ثم قال له : **«أعد عليّ حديثك»** . فأعاده . فبكى رسول اللَّه ﷺ حتى وكف الدمع من عينيه على لحيته . ثم قال له : **«إن اللَّه قد وضع عن الجاهلية ما عملوا ، فاستأنف عملك»** .

وكان للعرب تفنن في الوأد . فمنهم من إذا صارت بنته سداسية يقول لأمها : طيّبيها وزّينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها . وقد حفر لها بئرًا في الصحراء . فيبلغ بها البئر فيقول لها : انظري فيها . ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوي البئر بالأرض .

ومنهم من كان إذا قربت امرأته من الوضع ، حفر حفرة لتتمخّض على رأس الحفرة . فإذا ولدت بنتًا رمت بها في الحفرة . وإن ولدت ابنًا حبسته . وقد اشتهر صعصعة بن ناجية بن عقال ، جد الفرزدق بن غالب ، بأنه كان ممن فدى الموءودات في الجاهلية ، ونهى عن قتلهن . قيل: إنه أحيا ألف موءودة ، وقيل: دون ذلك . وقد افتخر الفرزدق بهذا في قوله[١] :

ومنا الذي منع الوائِدَاتِ ... وأحيا الوئيدَ فَلَمْ يُوأَدِ

وفي قوله أيضًا[٢] :

أنا ابنُ عِقالٍ وابن ليلى وغالبٍ ... وفَكّاكُ أغلال الأسير المكفَّر[٣] =

---

(١) من قصيدته التي مطلعها :

عرفت المنازلَ من مَهْدَدِ ... كوحي الزبور لدى الغرقدِ

الوحي : الكتاب . والغرقد : ضرب من الشجر دائم الاخضرار .

(الديوان ١/ ٢٠٢) . نقلاً من تعليق محقق تفسير القاسمي

(٢) من قصيدته التي مطلعها :

بني نهشل أبقُوا عليكم ولم تروا ... سوابقَ حامٍ للذِّمار مُشَهَّرِ

(الديوان ٢/ ٤٧٤) .

(٣) المكفر : هو الذي كفر وكبل بالحديد .

. . . .

= وكان لنا شيخان ذو القبر منهما[1] وشيخٌ أجار الناسَ من كل مَقْبَرِ
على حين لا تُحْيَى البناتُ وإذ همُ عُكُوف على الأصنام حولَ المدوَّرِ
أنا ابن الذي ردّ المنيةَ فضلُهُ وما حسبٌ دافعتُ عنه بمُعْوِرِ
أبي أحَدُ الغَيْثَيْن صعصعةُ الذي متى تُخْلِف الجوزاءُ والنجمُ يُمْطِرِ
أجارَ بنات الوائدين ومن يُجِرْ على القبرِ ، يعلمْ أنه غير مُخْفَرِ
وفارق ليلٍ[2] من نساء أتت أبي تُعالج ريحًا ليلها غير مُقْمرِ
فقالت أجِرْ لي ما ولدتُ فإنني أتيتك من هَزْلي الحمولة مُقْتِرِ
رأى الأرض منها راحة فرمى بها إلى خُدَدٍ منها وفي شر مَحْفَرِ
فقال لها نامي فأنت بذمتي لبنتك جارٌ من أبيها القَنَوَّرِ[3]

وروى أبو عبيدة : أن صعصعة ـ هذا ـ وفد على رسول اللّه ﷺ في وفد بني تميم . قال : وكان صعصعة منع الوأد في الجاهلية ، فلم يدع تميمًا تئد وهو يقدر على ذلك . فجاء الإسلام وقد فدى ـ في بعض الروايات ـ أربعمائة موءودة ، وفي أخرى : ثلاثمائة ، فقال للنبي ﷺ : بأبي أنت وأمي ! أوصني . فقال : «أوصيك بأمك وأبيك وأختك وأخيك وأدانيك أدانيك» .

فقال: زدني . فقال عليه الصلاة والسلام : «احفظ ما بين لحييك ورجليك» . ثم قال عليه الصلاة والسلام : «ما شيء بلغني عنك فعلته ؟» فقال : يا رسول اللّه ! رأيت الناس يموجون على غير وجه ولم أدر أين الصواب ، غير أني علمت أنهم ليسوا عليه ، فرأيتهم يئدون بناتهم، فعرفت أن ربهم عز وجل لم يأمرهم بذلك ، فلم أتركهم ، ففديت ما قدرت عليه .

ويقال إنه اجتمع جرير والفرزدق يومًا عند سليمان بن عبد الملك فافتخرا . فقال الفرزدق : أنا ابن محيي الموتى . فقال له سليمان : أنت ابن محيي الموتى ؟ فقال : إن جدي أحيا الموءودة ، وقد قال اللّه تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢] =

---

(١) ذو القبر : غالب كان يستجار بقبره . والذي أجار الناس من القبر وأحيا الوئيدة صعصعة .

(٢) فارق ـ يعني امرأة ماخضًا . شبهها بالفارق من الإبل وهي الناقة التي يضربها المخاض فتفارق الإبل وتمضي على وجهها حتى تضع .

(٣) القنور : السيئ الخلق .

. . . .

= وقد أحيا جدي اثنتين وتسعين موءودة ، فتبسم سليمان . وقال : إنك مع شعرك لفقيه . نقله المرتضى في «أماليه» . وبالجملة ، فكان الوأد عادة من أشنع العوائد في الجاهلية ، مما يدل على نهاية القسوة وتمام الجفاء والغلظة .

قال الإمام : انظر إلى هذه القسوة وغلظ القلب وقتل البنات البريئات بغير ذنب سوى خوف الفقر والعار ، كيف استبدلت بالرحمة والرأفة بعد أن خالط الإسلام قلوب العرب ؟ فما أعظم نعمة الإسلام على الإنسانية بأسرها بمحوه هذه العادة القبيحة . انتهى .

ومن أثر نعمته أن صار أدباء الصدر الأول يصوغون في مدحهن ما هو أبهى من عقود الجمان؛ فمن ذلك قول معن بن أوس [١] :

رأيت رجالاً يكرهون بناتِهمْ ... وفيهن ، لا تُكْذَبْ ، نساء صوالحُ
وفيهن والأيام يعثرن بالفتى ... خـوادِمُ لا يَمْلَلْنَـهُ ونوائـحُ

وقال العلويّ الجمانيّ ، في صديق له ولدت له بنت فسخطها ، شعرًا .

قالـوا لـه مـاذا رُزِقْتَـا ... فأصـاخ ثُمَّـتَ قـال : بنتـا
وأجـلُ مـن ولـد النساء ... أبـو البنـات . فلـمْ جزعتـا
إن الذيـن تـودّ مـن ... بيـن الخلائـق مـا استطعتـا
قالـوا بفضـل البنـت مـا ... كَتَبُـوا بـه الأعـداء كبتـا

وحكي أن عمرو بن العاص دخل على معاوية وعنده ابنته . فقال : من هذه يا معاوية ؟ فقال: هذه تفاحة القلب وريحانة العين وشمامة الأنف . فقال : أَمِطْها عنك . قال : وَلِمَ ؟ قال : لأنهن يلدن الأعداء . ويقربن البعداء ، ويُورِثْن الشحناء ، ويُثِرْن البغضاء . قال : لا تقل ذلك يا عمرو! فواللّه ما مرض المرضى، ولا ندب الموتى ، ولا أعان على الزمان، ولا أذهب جيش الأحزان مثلهن ، وإنك لواجدٌ خالاً قد نفعه بنو أخته ، وأبا قد رفعه نسل بنيه . فقال: يا معاوية ! دخلت عليك وما على الأرض شيء أبغض إليّ منهن . وإني لأخرج من عندك وما عليها شيء أحب إليّ منهن . وفي رقعة للصاحب بالتهنئة بالبنت : أهلاً وسهلاً بعقيلة =

---

(١) انظر «أمالي القالي»، الصفحة رقم ١٩٠ من الجزء الثاني (طبعة الدار) . نقلاً عن محقق «تفسير القاسمي» .

س ـ اذكر بعض الأحاديث الواردة ، في فضل تربية النبات والإحسان إليهن ؟

ج: من ذلك: ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أم المؤمنين

= النساء وأم الأبناء ، وجالبة الأصهار والأولاد الأطهار ، والمبشرة بإخوة يتناسقون ، ونجباء يتلاحقون [1] :

فلو كان النساء كمن وَجَدْنا لفُضِّلَت النساءُ على الرجالِ
وما التأنيثُ لاسمِ الشمسِ عَيْبٌ وما التذكيرُ فَخرٌ للهلالِ

والله تعالى يعرفك البركة في مطلعها ، والسعادة بموقعها ، فادّرع اغتباطًا ، واستأنف نشاطًا. فالدنيا مؤنثة . والرجال يخدمونها ، والذكور يعبدونها . والأرض مؤنثة ومنها خلقت البرية . وفيها كثرت الذرية . والسماء مؤنثة وقد زينت بالكواكب وحليت بالنجم الثاقب . والنفس مؤنثة وهي قوام الأبدان وملاك الحيوان . والحياة مؤنثة ، ولولاها لم تتصرف الأجسام ولا عرف الأنام . والجنة مؤنثة وبها وعد المتقون وفيها ينعم المرسلون . فهنيئًا لك هنيئًا بما أوتيت ، وأوزعك الله شكر ما أعطيت .

ونسختُ رقعة لأبي الفرج الببغاء : اتصل بي خبر المولودة المسعودة كرم الله عرقها ، وأنبتها نباتًا حسنًا . وما كان من تغيرك عند اتصال الخبر وإنكارك ما اختاره الله لك في سابق القدر. وقد علمت أنهن أقرب من القلوب ، وأن الله بدأ بهن في الترتيب فقال عز من قائل : ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ [الشورى: ٤٩] وما سماه الله تعالى هبة ، فهو بالشكر أولى ، وبحسن التقبل أحرى . فهنأك الله بورود الكريمة عليك ، وثمرتها إعداد النسل الطيب لديك .

والنوادر في هذا لا تحصى . وكلها من بركة الإسلام وفضله .

(١) البخاري مع «الفتح» (١٠/٤٢٦) ومسلم (ص ٢٠٢٧)

---

(١) قائله المتنبي ، من قصيدته التي مطلعها :

نعدّ المشرفيةَ والعَوالي وتَقْتُلُنا المَنُونُ بِلاَ قِتَالِ

نقلاً من محقق القاسمي .

عائشة رضي اللَّه عنها قالت : جاءتني امرأةٌ معها ابنتان تَسألني فلم تجدْ عندي غير تمرةٍ واحدة فأعطيتها فقسمتْها بين ابنتيها ثم قامت فخرجت فدخل النبي صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وسلم فحدَّثْتُهُ ، فقال : «مَن يلي[1] من هذه البنات شيئًا فأحسن إليهن كن له سترًا من النار» .

● وأخرج مسلم في «صحيحه» [2] من حديث أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها قالت : جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدةٍ منهن تمرة ورفعت إلىٰ فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما ، فأعجبني شأنها فذكرت الذي صنعت لرسول اللَّه ﷺ فقال : «إن اللَّه قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار» .

● وأخرج مسلم [3] من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال : «من عال جاريتين حتىٰ تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو» وضمَّ أصابعه .

* * *

س ـ ما المراد بالصحف وكيف تنشر ؟ ولماذا تنشر ؟

---

(١) في بعض الروايات : «من ابتلي» ، قال النووي رحمه اللَّه : إنما سماه ابتلاءً لأن الناس يكرهونهن في العادة ، وقال اللَّه تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [النحل: ٥٨] .

(٢) مسلم في «صحيحه» (حديث ٢٠٢٧) .

(٣) مسلم (٥/٤٨٦) ، وانظر «المنتخب» لعبد بن حميد بتحقيقي (حديث ١٣٧٦) .

ج : المراد بالصحف : الكتب التي كتبت فيها أعمال العباد ، ونشرها فتحها بعد أن كانت مطوية كما قال تعالى : ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ۝ اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤] ، وكما قال تعالى : ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ...﴾ [الكهف: ٤٩] .

أما لماذا تنشر فتنشر لتقريع العاصي وتبشير المطيع .

● هذا ومن العلماء من قال : نشرت أي فرقت بين العباد وأخذ كل منهم كتابه ، والله أعلم .

* * *

س ـ كل نفس يوم القيامة تعلم ما أحضرت ، فلماذا عُبر بقوله : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ [التكوير: ١٤] ولم يقل : علمت كل نفس ما أحضرت ؟

ج : أجاب على ذلك الرازي بقوله : **الجواب من وجهين :**

الأول : أن هذا هو من عكس كلامهم الذي يقصدون به الإفراط ، وإن كان اللفظ موضوعًا للقليل ، ومنه قوله تعالى : ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الحجر: ٢] كمن يسأل فاضلاً مسألة ظاهرة ويقول : هل عندك فيها شيء ؟ فيقول : ربما حضر شيء ، وغرضه الإشارة إلى أن عنده في تلك المسألة ما لا يقول به غيره فكذا ههنا .

الثاني : لعل الكفار كانوا يتعبون أنفسهم في الأشياء التي يعتقدونها

طاعات ثم بدا لهم يوم القيامة خلاف ذلك فهو المراد من هذه الآية .

* * *

س ـ ما هو جواب قوله تعالى : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ... ﴾ [التكوير : ١] ؟

ج : هو قوله تعالى : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤] .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾ [التكوير : ١٤] ؟

ج : أي : علمت كل نفس[1] ما فعلت من خير وما فعلت من شر وأحضر لها عملها الذي عملته ، كما قال تعالى : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠] ، وكما قال تعالى : ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] ، وكما قال سبحانه : ﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣] .

---

(١) ومن العلماء من أشار إلى أن ذلك للإشعار بأنه إذا علمت حينئذ نفس من النفوس ما أحضرت وجب على كل نفس إصلاح عملها مخافة أن تكون هي تلك التي علمت ما أحضرت، فكيف وكل نفس تعلمه على طريقة قولك لمن تنصحه : (لعلك ستندم على ما فعلت ، وربما ندم الإنسان على فعله) . «فتح البيان» .

فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾
ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾
إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ
ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ
﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿٢٥﴾
فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن
يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

س ـ وضح معنى ما يلي :

الخنس ـ الجوار ـ الكُنس ـ عسعس ـ تنفس ـ مكين ـ ثمَّ ـ الأفق المبين ـ بضنين ؟

ج :

الكلمة	معناهــا
الخنــس	النجوم التي تخنس أي : ترجع إلى مجراها وتختفي[1]، ومنه: قوله تعالى: ﴿**مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ**﴾ [الناس: ٤]

(١) ومن العلماء من قال : إن النجوم عند طلوعها خنس ، وعند جريانها في أفلاكها جواري ، وفي حال غيبوبتها كنس .

الكلمة	معناهـــا
	أي : الذي يخنس عند ذكر اللَّه، ومنه : قول أبي هريرة (لما لقي الرسول وهو جنب) : فانخنست منه ، ومن العلماء من قال : الخنس : هي بقر الوحش ، ومنهم من قال : هي الظباء[1]
الجـــــوار	أي : التي تجري ، فالنجوم تجري في فلكها
الكُنَّـــــس	التي تستتر في بيوتها ـ الغُيَّب
عسعـــــس	أدبر[2]
تنفـــــس	أقبل وتبين ـ ظهر ـ أضاء
مكيـــــن	له مكانة وجاه ، فيعطي إذا سأل

(١) واختار الطبري العموم ، أي : أن المراد بالخنس النجوم وبقر الوحش والظباء ، بينما ذهب الجمهور إلى أن ذلك خاص بالنجوم ، وجنح إلى ذلك الرازي وأيد ذلك بأمرين :

الأول : أنه تعالى قال بعد ذلك : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ [التكوير: ١٧] ، وهذا بالنجوم أليق منه ببقر الوحش .

الثاني : أن محل قسم اللَّه كلما كان أعظم وأعلى رتبة كان أولى ، ولا شك أن الكواكب أعلى رتبة من بقر الوحش .

(٢) وهذا رأي أكثر العلماء أن معنى عسعس هنا : (أدبر) ، بل قد نقل الفراء الإجماع على ذلك، ولا نوافقه على نقل الإجماع فقد قال بعض أهل العلم : إن معنى عسعس : أقبل بظلامه ، وقال بعضهم : إن (عسعس) من الأضداد (أي : التي تحمل المعنى وضده) ، فمن معانيها : (أدبر) ، ومن معانيها : (أقبل) ، لكن القول الأول عليه الأكثرون ، ويؤيده قوله تعالى : ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ [المدثر: ٣٢ - ٣٤] . واختار الطبري رحمه اللَّه تعالى أن معنى عسعس : (أدبر) .

الكلمة	معناها
ثَـــــــمَّ	هناك ـ أي : في الملإ الأعلى ـ أو في السموات
الأفق المبين	أقطار السموات ونواحيها ـ مكان طلوع الشمس
بضنيـــــــن	بمتهم ـ ببخيل

* * *

س ـ اذكر بعض أقوال أهل العلم في تأويل (لا) من قوله تعالى : ﴿فَلا أُقْسِمُ﴾ [التكوير: ١٥] ؟

ج : من أهل العلم من قال : إن (لا) زائدة كقوله تعالى : ﴿مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٢] يعني : أن تسجد ، وكقوله تعالى : ﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: ٢٩] .

• ومنهم من قال : إنها نفي لكلام قد تقدم ولمعنى قد تقدم كقول القائل : لا واللَّه فقوله : (لا) رد لكلام قد تقدمها ، وعلى كل حال فمعنى ﴿فَلا أُقْسِمُ﴾ [التكوير: ١٥] : أقسم ، وهذا رأي الجمهور [1] من العلماء .

---

(١) بل ادعى بعضهم الإجماع على ذلك ، نقل صديق حسن خان في «فتح البيان» تفسير سورة القيامة عن السمرقندي قوله : أجمع المفسرون أن معنى ﴿لا أُقْسِمُ﴾ [القيامة: ١] : أقسم ، واختلفوا في تفسير (لا) . ثم أورد أوجه اختلافهم في ذلك .

س ـ ما المراد بالقول المذكور في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [التكوير: ١٩] ومن هو الرسول الكريم ؟

ج : المراد بالقول : القرآن ، وقد نقل الإجماع على هذا محمد عطية سالم في تتمته «لأضواء البيان» ـ والرسول الكريم هو : جبريل عليه السلام .

* * *

س ـ ما المراد بقوله تعالى :﴿ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ [التكوير: ٢٠] ؟

ج : المراد ـ والله أعلم ـ : أن جبريل عليه السلام ذو قوة ، كما قال تعالى : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ ... ﴾ [النجم: ٥، ٦] أي : أنه شديد الخلق والبطش والفعل ، فهو قادر بإذن الله على القيام بما يكلفه الله عز وجل به .

أما قوله : ﴿ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ [التكوير: ٢٠] أي : له مكانة عند الله عز وجل .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [التكوير: ٢١] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : أنه مطاع هناك في الملإ الأعلى أو في السماوات يطيعه أهل السماء كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في

«صحيح البخاري»[1] عن النبي ﷺ قال : «**إذا أحب اللَّه عبدًا نادىٰ جبريل إن اللَّه يحب فلانًا فأحبَّه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء إن اللَّه يحب فلانًا فأحبُّوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض**» .

* * *

س ـ من هو الأمين ، وأمين علىٰ ماذا ؟

ج : الأمين : هو جبريل عليه السلام كما قال تعالىٰ : ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ**﴾ [الشعراء: ١٩٣] وهو أمين علىٰ كل ما استؤمن عليه ، وأمين علىٰ الوحي والرسالات ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ من المراد بالصاحب في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢] **؟**

ج : المراد بالصاحب هو محمد ﷺ .

* * *

س ـ قوله تعالىٰ : ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣] **مَن رأىٰ مَن ؟ وما المراد بالأفق المبين ؟**

ج : رأىٰ محمدٌ ﷺ جبريلَ عليه السلام علىٰ صورته التي خلقه اللَّه عليها ، له ستمائة جناح .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٠٤٠) ، وقد أخرج مسلم نحوه من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا أيضًا

قال ابن كثير رحمه اللّه : وهي الرؤية الأولى التي كانت بالبطحاء وهي المذكورة في قوله تعالى : ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ٥ - ١٠] .

أما المراد بالأفق المبين ، فالمراد به : المكان الذي يُبين الأشياء (أي : يظهرها) وتُرى بوضوح في ناحيته ، قال بعض العلماء : وذلك من ناحية المشرق لأن من جهته تُرى الأشياء ، وقيل : الأفق المبين : أقطار السماوات ونواحيها .

* * *

س - إلى ماذا يرجع الضمير في كل مما يأتي :

﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴾ [التكوير: ٢٥] ، ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٧]، ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾ [التكوير: ٢٣]، و ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ [التكوير: ٢٤] ؟

ج : الضمير في قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴾ [التكوير: ٢٥] ، وفي قوله : ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٧] يرجعان إلى القرآن .

والضمير في قوله : ﴿وَلَقَدْ رَآهُ ﴾ [التكوير: ٢٣] : ولقد رأى محمدٌ جبريلَ .

والضمير في قوله : ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ [التكوير: ٢٤]

يرجع إلى رسول الله ﷺ ، والله أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير : ٢٤] ؟

ج : **أما المراد بالغيب فهو هنا القرآن وما فيه من الأنباء والقصص وأخبار الجنة وما يقرب منها وأخبار النار وما يباعد عنها .**

أما قوله : بضنين فله معنيان :

أحدهما : بمتهم ، **والثاني** : ببخيل .

فالمعنى الأول : وما محمد بمتهم فيما ينقله لكم ويبلغه لكم عن الله سبحانه وتعالى وعن جنته وناره وكافة ما يأمره الله به .

وما محمد ببخيل عليكم ولا كاتم عنكم ما علمه الله إياه وأمره بتبليغه لكم من أمر الوحي ، والله أعلم .



س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير : ٢٦] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : إلى أين تذهبون بعقولكم وتفرّون من هذا القرآن وتعدلون عن طاعة ربكم .

وقيل : المعنى: أي الطرق أهدى كي تسلكونها غير هذا الطريق.

سُورَةُ الانفِطَارِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾

س ـ اذكر معنى كلٍ مما يلي :

انفطرت ـ انتثرت ـ فجرت ـ بعثرت ؟

ج :

الكلمة	معناها
انفطرت	تشققت ، ومنه : قوله تعالى : ﴿ **هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ** ﴾ [الملك: ٣]
انتثرت	تساقطت وتفرقت
فُجِّرت	فُجِّر بعضها في بعض فملأت جميعًا ، فجر مالحها في عذبها وعذبها في مالحها وأزيل البرزخ الذي كان بينها (المذكور في قوله تعالى) : ﴿ **بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ** ﴾ [الرحمن: ٢٠] ، ومن العلماء من قال : فجرت

الكلمة	معناهـــا
بُعثـــرت	ذهب ماؤها ، والأول أولى أثيرت وقلبت فاستخرج ما بداخلها ، وقلب ترابها الذي أهيل على الأموات وأخرج الموتى منها

❊ ❊ ❊

س ـ لماذا تنفطر السماء ؟

ج : تنفطر لأمر اللّه عز وجل ، ولهيبة اللّه عز وجل .

وتنفطر لنزول الملائكة منها كما قال تعالى : ﴿**وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً**﴾ [الفرقان : ٢٥] .

❊ ❊ ❊

س ـ لماذا كررت كلمة إذا في قوله : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ . . .﴾ [الانفطار : ١ ، ٢] ؟

ج : **كُررت لتهويل الدواهي المذكورة وتعظيم شأنها .**

❊ ❊ ❊

س ـ ما الذي قدِّم وأخر في قوله تعالى : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار : ٥] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : أن الذي قدّم هو العمل الصالح الذي عملته النفس والذي أخر هو السنة التي تركتها بعد موتها يُعمل بها ويذهب أجرها إليها .

الثاني : أن الذي قُدِّم هو الفرائض التي أُديت والذي أُخِّر هو الفرائض التي ضيعت .

الثالث : (وهو راجع إلى الثاني) أن الذي قدم هو الخير الذي عُمِل والذي أخر هو المعاصي .

واختار ابن جرير القول الأول مؤيدًا له بقوله : وإنما اخترنا القول الذي ذكرناه[1] لأن كل ما عمل العبد من خير أو شر فهو مما قدمه، وأن ما ضيَّع من حق اللَّه عليه وفرط فيه فلم يعمله فهو مما قدَّم من شرٍّ ، وليس ذلك مما أخر من العمل ، لأن العمل هو ما عمله ، فأما ما لم يعمله فإنما هو سيئة قدَّمها ، فلذلك قلنا : ما أخَّر هو ما سنه من سنة حسنة أو سيئة مما إذا عمل به العامل كان له مثل أجر العامل بها أو وزره .



(١) ونص عند ابن جرير : علمت كل نفس ما قدمت لذلك اليوم من عمل صالح ينفعه وأخرت وراءه من شيء سنة فعمل به .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :ـ

غرَّك ـ سواك ـ عدلك ؟

ج :

الكلمة	معناهـا
غـــرَّك	خدعك ـ سوَّل لك حتى أضعت ما وجب عليك ـ أمَّنك من عقابه
ســـوَّاك	جعلك سويًّا سليم الأعضاء تسمع وتبصر
عـــدلك[1]	جعلك معتدلاً معدَّل الخلق مقومًا ـ عدَل أعضاءك فلم تفضل يدٌ على يدٍ ولا رجلٌ على رجل

* * *

(١) وقرئت (عدَّلك) بالتشديد ، ومعناها : أمالك إلى أي صورة ما شاء إما إلى صورة حسنة أو قبيحة، أو إلى صورة العم أو الخال و . . .

س ـ من المراد بالإنسان المذكور في قوله تعالىٰ : ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار : ٦] ؟

ج : قيل : المراد الإنسان الكافر بدليل قوله تعالىٰ : ﴿كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ [الانفطار : ٩] .

وقيل : المراد عموم الإنسان ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ ما الذي غرَّ الإنسان بربه الكريم ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال ، منها :

الأول : أن الذي غره بربه الكريم هو الشيطان ، كما قال تعالىٰ : ﴿وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [فاطر : ٥] .

الثاني : أن الذي غره هو جهله وحمقه .

الثالث [١] : أن الذي غره بربه الكريم هو ستر اللَّه عز وجل عليه وعدم معاجلته بالعقوبة ، كما ورد عن الفضيل بن عياض أنه قال ـ وقد قيل له ـ : لو أقامك اللَّه تعالىٰ يوم القيامة بين يديه فقال لك : ما غرك بربك الكريم ؟ ماذا كنت تقوله له ؟ قال : كنت أقول : غرَّني ستورك المرخاة .

الرابع : غرَّه عفو اللَّه .

---

(١) والثالث والرابع والخامس إنما هي في حق المسلم ، والأول والثاني لا تمتنع عن المسلم أيضًا .

الخامس : غره كرمُ الكريم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ [الانفطار: ٦]؟

ج : **قال السعدي رحمه الله في «تفسيره»** : يقول تعالى معاتبًا الإنسان المقصر في حقه المتجرئ على معاصيه : **﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾** [الانفطار: ٦] أتهاونًا منك في حقوقه ؟!! أم احتقارًا منك لعذابه ؟ أم عدم إيمان منك بجزائه؟ أليس هو **﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ ﴾** [الانفطار: ٧] في أحسن تقويم .

● **وقال الشوكاني في « فتح القدير »** : هذا خطاب للكفار ، أي : ما الذي غرَّك وخدعك حتى كفرت بربك الكريم الذي تفضل عليك في الدنيا بإكمال خلقك وحواسك وجعلك عاقلاً فاهمًا ورزقك وأنعم عليك بنعمه التي لا تقدر على جحد شيء منها .

* * *

س ـ لماذا أُتي بصفة الكريم عقب قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ﴾ [الانفطار: ٦] **مع أن الكرم يقتضي أن يغتر الشخص ؟**

ج : **الإجابة أن الكرم الزائد يستدعي الحياء من المكرم وعدم الإقدام على عصيانه ، فكان من اللائق بك ، وقد أكرمك الله : أن** تستحي منه ولا تغتر به ولا تعصه .

● **وثم جواب آخر** وهو أنه سبحانه وتعالى لكرمه لم يعاجلك

بالعقوبة بل تركك مدة تتذكر فيها إن شئت أن تتذكر فتركت التوبة طيلة دنياك ، وكان الأولى أن تقابل كرم اللَّه بالخوف منه وقبول مدة الإمهال ﴿ أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ ﴾ [فاطر: ٣٧] للتوبة والإنابة ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار: ٨] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

الأول : أنه سبحانه ركبك في الصورة التي يريدها ، فمنهم الطويل ومنهم القصير ، ومنهم الجميل ومنهم الدميم ، ومنهم الذكي ومنهم الغبي، ومنهم النحيف ومنهم السمين ، و . . . .

الثاني : أنه سبحانه قادر على خلقك في صورة قريب لك كعَمٍّ أو خال أو أب أو جد أو أخ . . . ، وقادر على تصويرك في صورة رجل بعيد لا تجمعك به قرابة .

الثالث : أنه سبحانه قادر على تصويرك في أي صورة شاءها فإن شاء صورك في صورة كلب أو خنزير لفعل ، ولا ممانع له سبحانه .

واللَّه سبحانه قادرٌ على كل ما ذُكِرَ .



كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

الدين ـ حافظين ـ كاتبين ـ الأبرار ـ يصلونها ؟

ج :

الكلمة	معناهـا
الديـــن	الجزاء والحساب
حافظيـــن	ملائكة يحفظون الأعمال ويحصونها
كاتبيـــن	ملائكة يكتبون الأعمال
الأبـــرار	المطيعون الذين يؤدون ما فرض اللّه عليهم ويجتنبون معاصيه
يصلونهـا	يلزمونها مقاسين حرها

* * *

س ـ وضح معنىٰ قولـه تعالىٰ : ﴿ كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴾ [الانفطار : ٩] ؟

ج : المعنىٰ ـ والله أعلم ـ : كلا ، أي: ليس الأمر أيها الكافرون كما تقولون من أنكم علىٰ الحق في عبادتكم غير الله ، ولكنكم تكذبون بالثواب والعقاب والجزاء والحساب ، قاله الطبري رحمه الله .

* * *

س ـ ما هو وجه إيراد قوله تعالىٰ : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار : ١٠ - ١٢] ؟

ج : وجه ذلك : الحث علىٰ الحياء والبعد عن المعاصي ، فالمعنىٰ : وإن عليكم لملائكة حفظة كرامًا فلا تقابلوهم بالقبائح فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم . كما قاله ابن كثير رحمه الله .

* * *

س ـ إلىٰ ماذا يرجع الضمير في قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴾ [الانفطار : ١٦] ؟ وما معناه ؟

ج : يرجع إلىٰ النار (الجحيم) ، والمعنىٰ : ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر : ٤٨] ، فلن يغيبوا عن النار لحظة بل هم فيها دائمين .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ [الانفطار: ١٧] ، وما المراد بالاستفهام في قوله : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ . . . ﴾ ؟

ج : الاستفهام المراد به التنبيه على عظمة ذلك اليوم وعلى قدره وقد روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال: قوله : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ [الانفطار: ١٧] تعظيمًا ليوم القيامة يوم تدان فيه الناس بأعمالهم .

وقوله : ﴿ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ [الانفطار: ١٨] يقول : ثم أي شيء أشعرك أي شيء يوم المجازاة والحساب يا محمد تعظيمًا لأمره ، ثم فسَّر جل ثناؤه بعض شأنه فقال : ﴿ يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ﴾ [الانفطار: ١٩] يقول : ذلك اليوم يوم لا تملك نفس ، يقول : يوم لا تغني نفس عن نفس شيئًا فتدفع عنها بلية نزلت بها ولا تنفعها بنافعة وقد كانت في الدنيا تحميها وتدفع عنها من بغاها سوءًا فبطل ذلك يومئذ لأن الأمر صار للَّه الذي لا يغلبه غالب ولا يقهره قاهر واضمحلت هنالك الممالك وذهبت الرياسات وحصل الملك للملك الجبار ، وذلك قوله : ﴿ وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ [الانفطار: ١٩] يقول : والأمر كله يومئذ ـ يعني الدين للَّه دون سائر خلقه ليس لأحد من خلقه معه يومئذ أمر ولا نهي . ذكر ذلك الطبري رحمه اللَّه .

***

س ـ ما فائدة تكرار قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ [الانفطار: ١٨] ؟

ج : كرر يوم الدين تعظيمًا لشأنه وتفخيمًا لقدره وتهويلاً لأمره

كما قال تعالىٰ : ﴿ الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ [القارعة: ١ - ٣] ، وكما قال سبحانه : ﴿ الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ [الحاقة: ١ - ٣] .

* * *

س ـ هل ينفع شخصٌ شخصًا يوم القيامة ؟

ج : ذلك كائن بإذن اللَّه ، فإذا أذن اللَّه لشخص أن يشفع في شخص شفع فيه وانتفع المشفَّع فيه بالشفاعة بإذن اللَّه ، قال تعالىٰ : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٢٨] ، وقال عليه الصلاة والسلام : «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»[1] ، وقال عليه الصلاة والسلام : «**يشفع الشهيد في سبعين من أقاربه**»[2] إلىٰ غير ذلك من الأدلة .

* * *

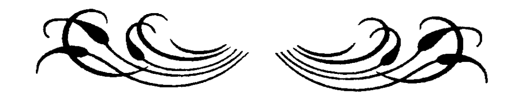
س ـ الأمر في الدنيا وفي الآخرة للَّه ، فلماذا قال تعالىٰ : ﴿ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ [الانفطار: ١٩] في الآخرة مع أنه في الدنيا للَّه أيضًا ؟

---

(١) حديث صحيح بمجموع طرقه ، وقد أخرجه أحمد (٣/ ٢١٣) وأبو داود (٤٧٣٩) من حديث أنس رضي اللَّه عنه مرفوعًا ، وقدمنا بعض الكلام عليه في تفسيرنا لسورة البقرة (من كتاب «التسهيل» جـ١/ ٤٨٢) .

(٢) أخرجه الترمذي وغيره من حديث المقدام بن معديكرب رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «**للشهيد عند اللَّه ست خصال .... ويشفع في سبعين من أقاربه**» وقد قدمناه في البقرة وآل عمران من كتابنا «التسهيل» .

ج : صحيح أن الأمر في الدنيا والآخرة للَّه سبحانه وتعالى لا شك في ذلك ولا ريب ، ولكن في الدنيا قد ينازع ملك فاجر أو سلطان غشوم فيدعي أن الملك له ، أما في الآخرة فلا منازع ينازع ولا مُدَّعٍ يدعي ، فلا إله إلا اللَّه ولا رب سواه ، ولا ملك معه ، ولا مستكبر هناك ، بل كما قال تعالى : ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [غافر: ١٦]، وكما قال تعالى ﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ [الفرقان: ٢٦]، وكما قال تعالى : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤] .



سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

ويلٌ ـ المطففين ـ اكتالوا على الناس ـ يستوفون ـ كالوهم ـ وزنوهم ـ يخسرون ؟

ج :

الكلمة	معناهـا
ويـــــــلٌ	عذابٌ شديد ـ واد في جهنم يسيل إليه من صديد أهل النار
المطففيــــــــن	الذين يبخسون المكيال والميزان
اكتالوا على الناس	اكتالوا من الناس، أي : طلبوا من الناس أن يكيلوا لهم
يستوفـــــــون	يأخذون حقهم وافيًا

الكلمة	معناهـــا
كالوهـــــــم	كالوا لهم
وزنوهـــــــم	وزنوا لهم
يخســــــرون	ينقصون ـ يبخسون

* * *

س ـ ما معنى التطفيف ، ومن هم المطففون ؟

التطفيف هو البخس ، وهو نقص شيء من المكيال والميزان على سبيل الخفية ، وبعض أهل العلم قال : إن التطفيف خاص بالشيء القليل ، أي : نقص شيءٍ قليلٍ من المكيال والميزان على سبيل الخفية، فإن كان الذي يطفف (أي : يبخس شيئًا قليلاً من المكيال والميزان) قد توعده اللَّه عز وجل بالويل فما الظن بالذي يبخس الكثير ؟!!

وما الظن بالذي يأكل أموال الناس بالباطل أصلاً .

أما المطففون فقد وصفهم اللَّه بقوله : ﴿**الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ** ﴿٢﴾ **وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ**﴾ [المطففين: ٢، ٣] إذا اشتروا من الناس فكال لهم الناس استوفوا حقهم (أي : أخذوا حقهم كاملاً مستوفًا بل قد يزيدون عليه) من الناس وإذا كالوا للناس أو وزنوا لهم بخسوا الناس حقوقهم .

قال الطبري رحمه اللَّه : الذين ينقصون الناس ويبخسونهم حقوقهم في مكاييلهم إذا كالوهم ، أو موازينهم إذا وزنوا لهم عن الواجب لهم من الوفاء ، وأصل ذلك : من الشيء الطفيف ، وهو القليل النزر ، والمطفِّف المقلِّل حق صاحب الحق عما له من الوفاء والتمام في كيل أو وزن ، ومنه قيل للقوم الذين يكونون سواء في حسبة أو عدد : هم سواء كطفّ الصاع ، يعني بذلك كقرب الممتلئ منه ناقص عن الملء .

* * *

س - وضح معنى قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: ٢] ؟

ج : تقدم الكلام عليها قريبًا ، ولمزيد قال الطبري رحمه اللَّه : يقول تعالى ذكره : الذين إذا اكتالوا من الناس ما لهم قِبلهم من حق يستوفون لأنفسهم فيكتالونه منهم وافيًا ، و«على» و«مِن» في هذا الموضع يتعاقبان غير أنه إذا قيل : اكتلت منك يُراد به استوفيت منك .

* * *

س - اذكر بعض الآيات الناهية عن التطفيف في المكيال والميزان والمحذرة من ذلك والآمرة بإقامة الكيل والميزان بالقسط ؟

ج : من هذا ما يلي :

- قوله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ

يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ [المطففين: ١ - ٣] ؟

● قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [الشعراء: ١٨١ - ١٨٣] .

● قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٥] .

● وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [الإسراء: ٣٥] .

● وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [الأنعام: ١٥٢] .

وقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن: ٧ - ٩] .

● وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [الحديد: ٢٥] إلى غير ذلك من الآيات .

* * *

س ـ من هو النبي الذي أرسل إلى قومه وهم يطففون المكيال

والميزان ليحذرهم من ذلك ؟

ج : **هو نبي اللَّه شعيب ﷺ** . قال تعالى : **﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا . . . ﴾** [الأعراف: ٨٥] .

وقال تعالى : **﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾** [هود: ٨٤ - ٨٦] .

* * *

س - ما المراد بالظن في قوله تعالى : ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴾ [المطففين: ٤] ؟

ج : المراد بالظن هنا - واللَّه أعلم - : اليقين، فالمعنى: **أفلا يوقن** هؤلاء المطففون بالبعث ، وأنهم موقوفون بين يدي ربهم عز وجل ؟!

● ومجيء الظن بمعنى اليقين في مواطن كثيرة من كتاب اللَّه عز وجل ، ومنه قوله : **﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾** [الحاقة: ٢٠] ، وقوله : **﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾** [البقرة: ٤٦] .

* * *

س ـ اذكر بعض أحوال الناس عند قيامهم لرب العالمين ؟

ج : • من ذلك : ما أخرجه البخاري[1] ومسلم وغيرهما من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما أن النبي ﷺ قال : « ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [المطففين: ٦] **حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه** » .

• ومن ذلك : ما أخرجه البخاري ومسلم[2] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «**يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين ، واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير ، وعشرة على بعير ، وتحشر بقيتهم النار تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا**» .

• ومن ذلك : ما أخرجه البخاري ومسلم[3] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال سمعت رسول اللَّه ﷺ يخطب على المنبر يقول: «**إنكم ملاقو اللَّه حفاة عراة غرلاً**» .

• وفي رواية في «الصحيحين» [4] أيضًا من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : قام فينا رسول اللَّه ﷺ خطيبًا بموعظة فقال : «**يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى اللَّه حفاة عراة غرلاً كما بدأنا أول خلق نعيده**

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٩٣٨) واللفظ له ، ومسلم (حديث ٢٨٦٢) من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [المطففين: ٦] ، قال : «**يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه**» .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٥٢٢) ومسلم (حديث ٢٨٦١) واللفظ له .

(٣) البخاري (حديث ٦٥٢٥) ومسلم (٢٨٦٠) .

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٢٦) ومسلم (ص ٢١٩٥) واللفظ له .

وعدًا علينا إنا كنا فاعلين ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام ، ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : يارب أصحابي فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح : ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٧، ١١٨] قال : **فيقال لي : إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم»** .

● ومن ذلك : ما في «الصحيحين»[١] أيضًا من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه أن رجلاً قال : يا نبي اللَّه كيف يحشر الكافر على وجهه ؟ قال : **«أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة ؟ »** .

● ومن ذلك ما في «الصحيحين» [٢] أيضًا من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال : **«يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعًا ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم»** .

● ومن ذلك : ما أخرجه البخاري ومسلم[٣] من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال : قلنا : يا رسول اللَّه هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال : **«هل تضارُّون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صَحوًا ؟»**

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٥٢٣) ومسلم (حديث ٢٨٠٦) .

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٣٢) ومسلم (٢٨٦٣) .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣) .

قلنا: لا . قال : «فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما» ثم قال : «يُنادي مُناد : ليذهب كل قوم إلىٰ ما كانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحابُ كل آلهة مع آلهتهم حتىٰ يبقىٰ من كان يعبد اللَّه من برٍّ أو فاجر وغُبّرات من أهلِ الكتابِ ثم يُؤتىٰ بجهنَّم تعرضُ كأنها سَرابٌ فيقالُ لليهود : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبدُ عزيرًا ابن اللَّه فيقال : كذبتم لم يكن للَّه صاحبةٌ ولا ولدٌ فما تريدون ؟ قالوا : نريد أن تسقينا فيقال : اشربوا فيتساقطون في جهنم ثم يقال للنّصارىٰ : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبد المسيحَ ابن اللَّه فيقال : كذبتم لم يكن للَّه صاحبةٌ ولا ولدٌ فما تريدون ؟ فيقولون : نريد أن تسقينا فيقال : اشربوا فيتساقطون حتىٰ يبقىٰ من كان يعبد اللَّه من برٍّ أو فاجرٍ فيقال لهم : ما يحبسكم وقد ذهب الناس فيقولون : فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم ، وإنا سمعنا مناديًا يُنادي ليلحق كلُّ قومٍ بما كانوا يعبدون ، وإنما ننتظر ربَّنا قال : فيأتيهم الجبارُ في صورة غير صورته التي رأوه فيها أوَّل مرة فيقول : أنا ربكم فيقولون : أنت ربنا فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول : هل بينكم وبينه آيةٌ تعرفونه ؟ فيقولون : الساق ، فيكشفُ عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ، ويبقىٰ من كان يسجد للَّه رياءً وسمعةً فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا ، ثم يؤتىٰ بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم» . قلنا : يا رسول اللَّه وما الجسر ؟ قال : «مدحَضَةٌ مَزِلةٌ عليه خطاطيف وكلاليبُ وحسكة مُفلطَحَةٌ لها شوكة عُقيفاء تكون بنجدٍ يُقال لها : السعدانُ ، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل

والرِّكاب فناجٍ مُسَلَّم وناج مخدُوشٌ ومكدوسٌ في نارِ جهنَّم حتى يمر آخرهم يُسحب سحبًا فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحقِّ قد تبينَ لكم من المؤمن يومئذٍ للجبار وإذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانِهم يقولون : ربَّنا إخواننا الذين كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا فيقول اللَّه تعالى : اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأَخْرِجُوه ويحرِّم اللَّه صورَهم على النار فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه فيخرجون من عرفوا ، ثم يعودون فيقول : اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه ، فيخرجون من عرفوا ، ثم يعودون فيقول : اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأَخْرِجوه فيُخْرِجون من عرفوا» قال أبو سعيد : فإن لم تصدقوني فاقرءوا : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠] «فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون فيقول الجبارُ : بقيت شفاعتي ، فيقبض قبضته من النار فيخرج أقوامًا قد امتحشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له : ماء الحياة فينبتون في حافتيه كما تنبت الحِبَّةُ في حميل السيل قد رأيتموها إلى جانب الصخرة وإلى جانب الشجرة فما كان إلى الشمس منها كان أخضر ، وما كان منها إلى الظل كان أبيض ، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ فيجعل في رقابهم الخواتيم فيدخلون الجنة فيقول أهل الجنة : هؤلاء عتقاءُ الرحمن أدْخَلَهم الجنةَ بغير عملٍ عَمِلوه ولا خير قدَّموه فيقال لهم : لكم ما رأيتم ومثله معه» .

● ومن ذلك أيضًا : ما أخرجه البخاري ومسلم [(١)] من حديث

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٨) ومسلم (٢٢٢) .

أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«يقولُ اللَّه تعالى[1]: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك والخيرُ في يديك فيقول: أَخْرِجْ بعثَ النارِ قال: وما بعثُ النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فعنده يشيبُ الصغير، ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾** [الحج: ٢] قالوا: يا رسول اللَّه وأيُّنا ذلك الواحد؟ قال: **«أبشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألف»** ثم قال: **«والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا رُبُعَ أهل الجنة»**، فكبَّرنا، فقال: **«أرجو أن تكونوا ثُلُثَ أهل الجنة»**، فكبرنا، فقال: **«أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة»**، فكبرنا، فقال: **«ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء في جلد ثورٍ أَسْود»**.

● وما أخرجه أحمد[2] من حديث أنس رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«يؤتى بأشد الناس كان بلاء في الدنيا من أهل الجنة فيقول: اصبغوه صبغة في الجنة فيصبغونه فيها صبغة فيقول اللَّه عز وجل: يا ابن آدم هل رأيتَ بؤسًا قط أو شيئًا تكرهه؟ فيقولُ: لا وعزتك ما رأيتُ شيئًا أكرهه قط ثم يؤتى بأنعم الناس كان في الدنيا من أهل النار فيقول: اصبغوه فيها صبغة فيقول: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط قرة عين قط فيقول: لا وعزَّتك ما رأيتُ خيراً قط ولا قُرَّةَ عين قط»**.

---

(١) ورد في بعض الروايات أن ذلك يوم القيامة وهو صحيح.

(٢) أخرجه الإمام أحمد رحمه اللَّه «المسند» ٣/٢٥٣) ومسلم في «صحيحه» (٧ - ٢٨).

● ومن ذلك: ما أخرجه مسلم[١] أيضًا من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قالوا: يا رسول اللَّه هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «**هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟**» قالوا: لا قال: «**فهل تُضَارُّون في رؤيةِ القمرِ ليلةَ البَدْرِ ليس في سَحَابة؟**» قالوا: لا قال: «**فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما**» قال: «**فَيَلْقى العبدَ فيقول: أي فل[٢] ألم أُكْرِمْكَ وأُسَوِّدْكَ[٣] وأزوِّجكَ وأُسخِّر لك الخيلَ والإبلَ وأذَرْكَ ترأسُ[٤] وتَرْبَعُ[٥] فيقول: بلى**» قال: «**فيقول: أفظننت أنك ملاقيَّ؟ فيقول: لا فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يَلْقَى الثاني فيقول: أي فُلَ ألم أكرِمْكَ وأُسوِّدْك وأُزَوِّجك وأسخر لك الخيلَ والإبلَ وأَذَرْك ترأسُ وتربَعُ؟ فيقول: بلى أي رب! فيقول: أفظننت أنك ملاقيَّ؟ فيقول: لا فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول: يا رب آمنتُ بك وبكتابك وبرسلك وصليتُ وصمتُ وتصدقتُ ويثني بخير ما استطاع فيقول ههنا إذًا**»[٦] قال: «**ثم يقالُ له: الآن نبعثُ شاهدَنا عليك ويتفكَّر في نفسهِ من ذا الذي يشهد**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٨).

(٢) معناه: يا فلان وهو ترخيم على خلاف القياس

(٣) أسودك أي: أجعلك سيدًا على غيرك.

(٤) ترأس أي: تكون رئيسًا للقوم.

(٥) تربع بفتح التاء والباء الموحدة تأخذ المرباع الذي كانت ملوك الجاهلية تأخذه من الغنيمة وهو ربعها يقال: ربعتهم، أي: أخذت ربع أموالهم، ومعناه: ألم أجعلك رئيسًا مطاعًا، وفيها أقوال أخر.

(٦) معناه: قف ههنا حتى يشهد عليك جوارحك إذ قد صرت منكرًا.

عليَّ فيُختم على فيه ويُقالُ لفَخذه ولحمه وعظامه : انطقي ، فتنطق فَخذُهُ ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليُعْذَرَ من نفسه . وذلك المنافق وذلك الذي يَسْخَطُ اللَّه عَلَيه» .

● وما أخرجه مسلم أيضًا[(١)] من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال : كنا عند رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فضحك فقال: «**هل تدرون مما أضحك ؟** » قال : قلنا : اللَّه ورسوله أعلم قال : «**من مُخاطبة العبد ربَّه يقول : يا رب ألم تُجِرْني من الظُّلم ؟**» قال : «**يقول : بلى**» قال : «**فيقول : فإني لا أجيزُ على نفسي إلا شاهدًا مني**» قال : «**فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودًا**» قال : «**فيُخْتَمُ على فيه فيقالُ لأركانه : انطقي**» قال : «**فتنطق بأعماله**» قال : «**ثم يُخلَّى بينه وبين الكلام**» قال : «**فيقول : بُعدًا لكُنَّ وسحقًا فعنكن كنت أُناضل**» .

● ومن ذلك: ما أخرجه الترمذي[(٢)] من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي اللَّه عنهما قالا : قال رسول اللَّه ﷺ : «**يُؤتَى بالعبد يومَ القيامة فيقولُ اللَّه له : أَلَمْ أَجْعَلْ لك سمعًا وبصرًا ومالاً وولدًا وسخَّرتُ لك الأنعامَ والحرثَ وتركتُك تَرْأَسُ[(٣)] وتَرْبَعُ[(٤)] فكنتَ تظنُّ أنك مُلاقي يومكَ هذا ؟**»

---

(١) مسلم (حديث ٢٩٦٩) .

(٢) الترمذي (٢٤٢٨) وإسناده حسن .

(٣) قال المباركفوري في شرحه للترمذي «تحفة الأحوذي» (٧/ ١١٥) : قوله ترأس: بوزن تفتح : رأس القوم يرأسهم إذا صار رئيسهم ومقدمهم .

(٤) تربع : أي : تأخذ ربع الغنيمة ، يقال : ربعت القوم إذا أخذت ربع أموالهم أي : ألم أجعلك رئيسًا مطاعًا لأن الملك كان يأخذ ربع الغنيمة في الجاهلية دون أصحابه ، ويسمى ذلك الربع : المرباع .

قال : «فيقول لا فيقول له : اليوم أنساكَ كما نسيتني»[1] .

قال الترمذي : هذا حديث صحيح غريب ، ومعنى قوله اليوم أنساك يقول : اليوم أتركك في العذاب هكذا فسروه .

قال أبو عيسى : وقد فسر بعض أهل العلم هذه الآية : ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ﴾ [الاعراف: ٥١] قالوا : إنما معناه : اليوم نتركهم في العذاب .

❊ ❊ ❊

حكم القيام للقادم :

س ـ وضح حكم القيام للشخص القادم مع بيان الأدلة الصحيحة

(٥) وتفسير من فسر النسيان بأنه الترك له وجه قوي وهو أحد أقوال أهل التفسير ، فاللَّه عز وجل لا ينسى كما قال سبحانه: ﴿فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢] ، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤] ، أما النسيان الوارد في هذا الحديث وفي قوله تعالى : ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ [الأعراف: ٥١] ، وقوله تعالى ﴿كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾ [طه: ١٢٦] فهو محمول على أحد محامل :

الأول : الترك كما نقل الترمذي عن بعض أهل العلم .

الثاني : نسيهم اللَّه من الخير ولم ينسهم من الشر وهي كقول من قال : نتركهم من الرحمة كما تركوا أن يعملوا للقاء يومهم .

الثالث : يعاملهم معاملة من نسيهم لأنه تعالى لا يشذ عن علمه شيء ولا ينساه .

فالنسيان في حق الرب لابد وأن يصرف عن ظاهره لاستحالته في حق اللَّه تبارك وتعالى .

وكذلك النسيان في حق بني آدم مصروف عن ظاهره لأن اللَّه عز وجل تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان كما قال المعصوم صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم واللَّه تعالى أعلم .

الواردة في ذلك وطرفًا من أقوال أهل العلم في هذا الباب ؟

ج : **في هذه المسألة بعض التفصيل :ـ**

● فإذا كان القيام للقادم لعلة من العلل كقدومه من سفر أو الترحيب به لطول عهدٍ به ، أو لإكرامه حيث يحتاج المقام إلى إكرام ، إما لكبر سنه ، أو لإمضاء حكمه في الناس ونحو ذلك ففي هذه الحالة فالقيام مستحب .

وذلك لقول النبي ﷺ : «**قوموا إلى سيدكم**»[(١)] ، وقد قام طلحة ابن عبيد الله يهرول فصافح كعب بن مالك وهنأه بتوبة الله عز وجل عليه[(٢)] ، وكان النبي ﷺ إذا ذهب إلى فاطمة رضي الله عنها قامت إليه

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٠٤٣) ومسلم (١٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : لما نزلت بنو قريظة على حكم سعد ـ هو ابن معاذ ـ بعث رسول الله ﷺ ، وكان قريبًا منه فجاء على حمار فلما دنا قال رسول الله ﷺ : «**قوموا إلى سيدكم**» فجاء فجلس إلى رسول الله ﷺ فقال : «**إن هؤلاء نزلوا على حكمك**» ، قال : فإني أحكم أن تقتل المقاتلة وأن تسبى الذُّرية ، قال : «**لقد حكمت فيهم بحكم الملك**» .

(٢) أخرج البخاري (٤٤١٨) ومسلم (٢٧٦٩) وغيرهما من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال : لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك غير أني كنت تخلّفت في غزوة بدر . . . فذكر الحديث وفيه : وانطلقت إلى رسول الله ﷺ فيتلقاني الناس فوجًا فوجًا يهنؤني بالتوبة يقولون : لتهنك توبة الله عليك ، قال كعب حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس فقام إليَّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني ، والله ما قام إليَّ رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة .

فقبلته وأجلسته ، وإذا ذهبت إليه قام إليها فقبلها وأجلسها [١] .

وللعمومات الواردة في خفض الجناح للمؤمنين ، وفي إنزال الناس منازلهم ، وفي توقير الكبير .

● أما قيام الناس للشخص كلما دخل عليهم فهذا مكروه ، فقد روىٰ البخاري في «الأدب المفرد» وأحمد في «مسنده» والترمذي في «السنن» وفي «الشمائل» وابن أبي شيبة في «المصنف» وغيرهم من طريق حميد عن أنس قال : ما كان شخص أحب إليهم رؤية من النبي ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا إليه لما يعلمون من كراهيته لذلك[٢].

---

(١) أخرج البخاري في «الأدب المفرد» (حديث ٩٤٧) وأبو داود (٥٢١٧) والترمذي (٣٨٧٢) والنسائي في «فضائل الصحابة» (٢٦٤) وغيرهم من حديث أم المؤمنين عائشة رضي اللّٰه عنها قالت : ما رأيت أحدًا من الناس كان أشبه بالنبي ﷺ كلامًا ولا حديثًا ولا جلسة من فاطمة قالت : وكان النبي ﷺ إذا رآها قد أقبلت رحب بها ثم قام إليها فقبلها ثم أخذ بيدها فجاء بها حتى يجلسها في مكانه وكانت إذا أتاها النبي ﷺ رحبت به ثم قامت إليه فقبلته . . . الحديث . ، وهو صحيح .

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (حديث ٩٤٦) وأحمد في «مسنده» (٣/ ١٣٢ ـ ١٣٤ ـ ١٥١ ـ ٢٥٠) والترمذي (٧٥٤) و«الشمائل» (٣٣٦) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/ ٣٩٨) وغيرهم من طرق عن حماد بن سلمة عن حميد عن أنس رضي اللّٰه عنه به .

وهذا هو الصحيح عن حماد بن سلمة فقد رواه الجمهور عنه على هذا الوجه ، وهذا إسناد نظيف لا يشوبه شيء سوى عنعنة حميد عند من اعتبرها من العلماء .

وقد روي الحديث من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ، كما عند أحمد (٣/ ١٣٤) ، وروي من طريق حماد بن سلمة كما عند أحمد (٣/ ١٣٢) عن أنس مباشرة ، والصحيح : حماد عن حميد عن أنس كما قدمناه إذ هي رواية الجمهور عن حماد ، واللّٰه أعلم .

وأيضًا فإن هذا القيام المستمر للشخص كلما دخل قد يقذف في قلبه العجب ، وقد يتبرم ويتضايق إذا لم يقم له الناس فيقع في المحظور ، فإن النبي ﷺ قد ثبت عنه أنه قال : **«من سره أن يَمْثُل[١] له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار»**[٢] .

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك :

قال البغوي رحمه الله في «شرح السنة» (١٢/ ٢٩٥) :

(بعد ذكره لحديث معاوية) .

قال : وهذا فيمن سلك فيه طريق التكبر فأما القيام على وجه الاحترام فغير مكروه ، فقد قال النبي ﷺ لبني قريظة حين أقبل سعد : **«قوموا إلى سيدكم»** .

وقال ابن العربي رحمه الله «أحكام القرآن» (٣/ ١١٠٦) عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ [يوسف: ١٠٠] :

---

(١) يمثل أي : يقوم وينتصب .

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٧٧) وأحمد (٤/ ٩١ و ٩٣ و ١٠٠) وأبو داود (٥٢٢٩) والترمذي (٢٧٥٥) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/ ٣٩٨) وعبد بن حميد (٤١٣) وغيرهم بإسناد صحيح من طريق أبي مجلز قال : إن معاوية خرج وعبد الله بن عامر وعبد الله بن الزبير قعود فقام ابن عامر وقعد ابن الزبير وكان أوزنهما ، فقال معاوية : قال النبي ﷺ : **«من سره أن يمثل له عباد الله قيامًا فليتبوأ بيتًا من النار»** .

وانظر : «مشكل الآثار» للطحاوي (٢/ ٣٨) .

وفي رواية عند الحاكم بإسناد صحيح «المستدرك» (١/ ٩٤) : **«ما من رجل يكون على الناس فيقوم على رأسه الرجال يحب أن تكثر الخصوم عنده فيدخل الجنة»** .

يجوز القيام للرجل الكبير بداءة إذا لم يؤثر ذلك في نفسه كما قال النبي ﷺ لجلسائه حين جاء سعد : **«قوموا إلىٰ سيدكم»** فإن أثر فيه لم يَجُزْ عونه علىٰ ذلك لما روي : **«من سره أن يمثل له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار»** .

وقال النووي رحمه اللَّه «شرح مسلم» (٤/ ٣٨٣) طبعة الشعب :

قوله ﷺ : «قوموا إلىٰ سيدكم أو خيركم» فيه : إكرام أهل الفضل وتلقيهم بالقيام لهم إذا أقبلوا ، هكذا احتج به جماهير العلماء لاستحباب القيام . قال القاضي : وليس هذا من القيام المنهي عنه ، وإنما ذلك فيمن يقومون عليه وهو جالس ، ويمثلون قيامًا طول جلوسه، قلت (القائل النووي) : القيام للقادم من أهل الفضل مستحب ، وقد جاء فيه أحاديث ولم يصح في النهي عنه شيء صريح وقد جمعت كل ذلك مع كلام العلماء عليه في جزءٍ وأجبت فيه عما توهم النهي عنه ، واللَّه أعلم .

● وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه كما في «مجموع الفتاوىٰ» (١/ ٣٧٤) :

عن النهوض والقيام الذي يعتاده الناس ، من الإكرام عند قدوم شخص معين معتبر ، هل يجوز أم لا ؟ وإذا كان يغلب علىٰ ظن المتقاعد عن ذلك أن القادم يخجل ، أو يتأذىٰ باطنًا ، وربما أدىٰ ذلك إلىٰ بغض وعداوة ومقت ، وأيضًا المصادفات في المحافل وغيرها ، وتحريك الرقاب إلىٰ جهة الأرض والانخفاض ، هل يجوز ذلك أم

يحرم ؟ فإن فعل ذلك الرجل عادة وطبعًا ليس فيه له قصد ، هل يحرم عليه أم لا يجوز ذلك في حق الأشراف والعلماء ، وفيمن يرى مطمئنًا بذلك دائمًا هل يأثم على ذلك أم لا ؟ وإذا قال : سجدت للَّه هل يصح ذلك أم لا ؟

فأجاب : ـ

الحمد للَّه رب العالمين . لم تكن عادة السلف على عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين : أن يعتادوا القيام كلما يرونه عليه السلام ، كما يفعله كثير من الناس ، بل قد قال أنس بن مالك : لم يكن شخص أحب إليهم من النبي ﷺ ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له ، لما يعلمون من كراهته لذلك ، ولكن ربما قاموا للقادم من مغيبه تلقيًا له ، كما روي عن النبي ﷺ أنه قام لعكرمة ، وقال للأنصار لما قدم سعد بن معاذ : «قوموا إلى سيدكم» ، وكان قد قدم ليحكم في بني قريظة لأنهم نزلوا على حكمه .

والذي ينبغي للناس : أن يعتادوا اتباع السلف على ما كانوا عليه على عهد رسول اللَّه ﷺ ، فإنهم خير القرون ، وخير الكلام كلام اللَّه ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، فلا يعدل أحد عن هدي خير الورى ، وهدي خير القرون إلى ما هو دونه . وينبغي للمطاع أن لا يقر ذلك مع أصحابه ، بحيث إذا رأوه لم يقوموا له إلا في اللقاء المعتاد . وأما القيام لمن يقدم من سفر ونحوه تلقيًا له فحسن .

وإذا كان من عادة الناس إكرام الجائي بالقيام ولو ترك لاعتقد أن

ذلك لترك حقه أو قصد خفضه ولم يعلم العادة الموافقة للسنة فالأصلح أن يقام له ، لأن ذلك أصلح لذات البين وإزالة التباغض والشحناء ، وأما من عرف عادة القوم الموافقة للسنة : فليس في ترك ذلك إيذاء له، وليس هذا القيام المذكور في قوله ﷺ : «**من سره أن يتمثل له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار**» فإن ذلك أن يقوموا له وهو قاعد ، ليس هو أن يقوموا لمجيئه إذا جاء ؛ ولهذا فرقوا بين أن يقال قمت إليه وقمت له، والقائم للقادم ساواه في القيام ، بخلاف القائم للقاعد .

وقد ثبت في «صحيح مسلم» : أن النبي ﷺ لما صلى بهم قاعدًا في مرضه صلوا قيامًا أمرهم بالقعود : وقال : «**لا تعظموني كما يعظم الأعاجم بعضها بعضًا**» ، وقد نهاهم عن القيام في الصلاة وهو قاعد ، لئلا يتشبه بالأعاجم الذين يقومون لعظمائهم وهم قعود .

وجماع ذلك كله الذي يصلح : اتباع عادات السلف وأخلاقهم ، والاجتهاد عليه بحسب الإمكان . فمن لم يعتقد ذلك ولم يعرف أنه العادة وكان في ترك معاملته بما اعتاد من الناس من الاحترام مفسدة راجحة فإنه يدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما ، كما يجب فعل أعظم الصلاحين بتفويت أدناهما .

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١١/ ٤٩) [1] **في تعليقه على قول النبي ﷺ : «قوموا إلى سيدكم» :**

---

(١) ولمزيد بحث انظر : ما كتبه الحافظ ابن حجر في الموطن المشار إليه فقد أفاد وأجاد رحمه الله .

قال ابن بطال : ـ

في هذا الحديث أمر الإمام الأعظم بإكرام الكبير من المسلمين ومشروعية إكرام أهل الفضل في مجلس الإمام الأعظم والقيام فيه لغيره من أصحابه وإلزام الناس كافة بالقيام إلى الكبير منهم . باختصار من «الفتح» .

قال المباركفوري في «تحفة الأحوذي» (٨/ ٣٢) :

أما قيام الرجل لإنزال المريض عن مركوبه أو القادم من سفر أو للتهنئة لمن حدثت له نعمة أو لتوسيع المجلس فهو جائز بالاتفاق .

* * *

س ـ الإيمان بالبعث يحمل على العمل الصالح ، وضح ذلك ؟

ج : نعم يُفترض أن الإيمان بالبعث يحمل على العمل الصالح ، فلو أيقن هؤلاء المطففون أنهم موقوفون بين يدي رب العالمين ، ومحاسبون عما قدموه من عمل وعما طففوه من كيل أو وزن لما طففوا المكيال والميزان ، والله أعلم .

وكذلك الاعتقاد الفاسد يحمل على العمل الفاسد ، فاليهود لما اعتقدوا أن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودات ، وهي الأيام التي عبدوا فيها العجل ـ سواء عملوا صالحًا أم لم يعملوا ، وسواء أكثروا من الفساد أم لم يُكثروا ـ جرأهم هذا الاعتقاد الفاسد على قتل الأنبياء بغير حق ، وأعرضوا عن التحاكم إلى كتاب الله ، كما قال سبحانه : ﴿أَلَمْ

تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُم مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣، ٢٤] .

وقد قدمنا مزيدًا من ذلك في آل عمران .



كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾

س ـ اذكر معاني هذه الكلمات :

كتاب الفجار ـ سجين ـ مرقوم ـ أساطير الأولين ـ ران ـ صالوا الجحيم ؟

ج :

الكلمة	معناهـا
كتاب الفجار	كتاب أعمالهم (الكتاب الذي كتبت فيه أعمالهم)
سجيـــــن	الأرض السابعة السفلى ـ سجن في الأرض السفلى
مرقـــــوم	مكتوب
أساطير الأولين	ما كتبه الأولون وسطروه

الكلمة	معناهـــا
ران	غطى
صالوا الجحيم	داخلوا النار وذائقوها ومصْلِيِّين بحرها

* * *

س ـ ما المراد بـ ﴿ كَلاَّ ﴾ في قوله تعالىٰ : ﴿ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾ [المطففين: ٧] ؟

ج : تقدم أن ﴿ كَلاَّ ﴾ تطلق للردع والزجر ، ولنفي شيء متقدم ، فالمعنىٰ هنا : ليس الأمر كما يظن هؤلاء المطففون من أنهم غير مبعوثين ولا معذبين .

* * *

س ـ وضح معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ۝٧ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴾ [المطففين: ٧ - ٩] ؟

ج : المعنىٰ ـ والله أعلم ـ : إن كتاب الأعمال الذي كتبت فيه أعمال الفجار موضوع في سجين في الأرض السابعة .

وثمَّ وجه آخر ، وهو : أن كتاب بمعنىٰ مكتوب ، والمعنىٰ : مكتوب كقوله : ﴿ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ [الطارق: ٦] أي : مدفوق ، فالمعنىٰ : مكتوب علىٰ الفجار أنهم في سجين .

وليس قوله : ﴿ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴾ تفسير لقوله: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴾ .

بل قوله : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾[1] جملة اعتراضية ، فالمعنى : كلا إن كتاب الفجار - وهو كتاب مرقوم ، أي : مكتوب - في سجين وما أدراك ما سجين .

وقد أخرج أحمد في «مسنده»، والطبري في «تفسيره» حديث البراء في الاحتضار بإسناد صحيح ، وفيه أن رسول اللّه ﷺ قال : «... وذكر **نفس الفاجر وأنه يُصعد بها إلى السماء ، قال : فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملإٍ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ قال : فيقولون : فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فلا يفتح له»** ثم قرأ رسول اللّه ﷺ: « ﴿**لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ**﴾ [الأعراف: ٤٠] **فيقول اللّه : اكتبوا كتابه في أسفل الأرض في سجين في الأرض السفلى»** . لفظ الطبري .

* * *

س - اذكر حديثًا يفسر قوله تعالى : ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] ؟ اذكر مزيدًا من الإيضاح للآية الكريمة ؟

ج : هو ما أخرجه أحمد والطبري[2] وغيرهما بإسناد حسن عن

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه اللّه : وقوله تعالى : ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين: ٩] ليس تفسيرًا لقوله : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ [المطففين: ٨] ، وإنما هو تفسير لما كتب لهم من المصير إلى سجين ، أي : مرقوم مكتوب مفروغ منه لا يزاد فيه أحد ولا ينقص منه أحد .

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٧) والطبري (٣٠٤) وغيرهما .

أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «**إذا أذنب العبد نُكت في قلبه نكتة سوداء فإن تاب صقل منها فإن عاد عادت حتى تعظُم في قلبه فذلك الران الذي قال اللَّه : ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾** [المطففين: ١٤] » .

● ولمزيد إيضاح فقد أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة قوله : **﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾** [المطففين: ١٤] أعمال السوء، إي واللَّه ذنب على ذنب ، وذنب على ذنب حتى مات قلبه واسودَّ .

● **وقال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه : ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾** [المطففين:١٤] أي: ليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا: إن هذا القرآن أساطير الأولين ، بل هو كلام اللَّه ووحيه وتنزيله على رسوله ﷺ ، وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الرين الذي قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا ، ولهذا قال تعالى : **﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾** [المطففين: ١٤] ، والرين يعتري قلوب الكافرين ، والغيم للأبرار ، والغين للمقربين .

وقال ابن القيم في «التفسير القيم» :

قول اللَّه تعالى ذكره : **﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾** [المطففين: ١٤] .

قال : هو الذنب بعد الذنب . وقال الحسن : هو الذنب على الذنب ، حتى يعمى القلب .

وقال غيره : لما كثرت ذنوبهم ومعاصيهم أحاطت بقلوبهم .

وأصل هذا : أن القلب يصدأ عن المعصية ، فإذا زادت غلب عليه الصدأ حتى يصير رانًا ، ثم يغلب حتى يصير طبقًا وقفلاً وختْما . فيصير القلب في غشاوة وغلاف ، فإذا حصل له ذلك بعد الهدى والبصيرة انتُكِسَ ، فصار أعلاه أسفله ، فحينئذ يتولاه عدوه ، ويسوقه حيث أراد، والمعافى من عافاه اللّه .

وقال في «شفاء العليل» :

وأما الران : فقد قال اللّه تعالى : ﴿ **كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ [المطففين: ١٤] قال أبو عبيدة : غلب عليها . والخمر ترين على عقل السكران ، والموت يرين على الميت ، فيذهب به ، ومن هذا حديث أسيفع جهينة وقول عمر : «**فأصبح قد رِينَ به**» أي : غُلب عليه ، وأحاط به الرَّين .

وقال أبو معاذ النحوي : الرين أن يسود القلب من الذنوب ، والطبع : أن يطبع على القلب . وهو أشد من الرين . والأقفال أشد من الطبع . وهو أن يقفل على القلب .

وقال الفراء : كثرت الذنوب والمعاصي منهم ، فأحاطت بقلوبهم، فذلك الرين عليها .

وقال أبو إسحاق : ران غَطّى ، يقال : ران على قلبه الذنب يرين رينًا : أي : غشيه . قال : والرين كالغشاء يغشى القلب. ومثله الغين.

قلت : أخطأ أبو إسحاق . فالغين ألطف شيء وأرقه . قال رسول اللَّه ﷺ : «**وإنه ليغان على قلبي ، وإني لأستغفر اللَّه في اليوم مائة مرة**» وأما الرين والران : فهو من أغلظ الحجب على القلب وأكثفها .

وقال مجاهد : هو الذنب على الذنب ، حتى تحيط الذنوب بالقلب وتغشاه ، فيموت القلب .

وقال مقاتل: غمرت القلوب أعمالهم الخبيثة، وفي «سنن النسائي» والترمذي من حديث أبي هريرة عن رسول اللَّه ﷺ قال : «**إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء . فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه . وإن زاد زيد فيها حتى تعلو قلبه . وهو الران الذي ذكر اللَّه ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** » قال الترمذي : هذا حديث صحيح .

وقال عبد اللَّه بن مسعود : «كلما أذنب نكتت في قلبه نكتة سوداء ، حتى يسود القلب كله» فأخبر سبحانه أن ذنوبهم التي اكتسبوها أوجبت لهم رينًا على قلوبهم ، فكان سبب الران منهم . وهو خلق اللَّه فيهم ، فهو خالق السبب ومسببه ، لكن السبب باختيار العبد ، والمسبب خارج عن قدرته واختياره .

* * *

رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الآخرة :

س ـ هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة ، وهل يرى الكفار ربهم ؟ اذكر أدلة على ذلك ؟

ج : نعم يرى المؤمنون ربهم عز وجل ، قال الله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] ، وقال النبي ﷺ : «إنكم سترون ربكم عز وجل كما ترون هذا القمر» (١) .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٤٣٤) ومسلم (حديث ٦٣٣) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : كنا جلوسًا عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال : «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته» .

● وأخرج البخاري (حديث ٧٤٣٥) هذا الحديث بلفظ آخر أيضًا وهو : «إنكم سترون ربكم عيانًا» .

● وأخرج البخاري (حديث ٧٤٣٧) ومسلم (حديث ١٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن ناسًا قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟» قالوا : لا يا رسول الله ، قال : «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟» قالوا : لا يا رسول الله . قال : «فإنكم ترونه كذلك ...» .

● وأخرج البخاري (حديث ٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسًا في زمن رسول الله ﷺ قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ : «نعم» قال : «هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوًا ليس معها سحاب ؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوًا ليس فيها سحاب ؟ » قالوا : لا يارسول الله . قال : «ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما ...» وذكر النبي ﷺ الحديث مطولاً وفيه : «حتى لا يبقى إلا من كان يعبد الله تعالى من بر أو فاجر أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من الصورة التي رأوه فيها قال : فما تنتظرون ؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا : يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئًا (مرتين أو ثلاثًا) حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب ، فيقول : هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها فيقولون : نعم ، فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ، ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياءً إلا جعل ظهره طبقة واحدةً كلما أراد أن يسجد خرّ على قفاه ثم يرفعون رءوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول : أنا =

أما الكفار فلا يرون ربهم عز وجل ، قال تعالى : ﴿ كَلَّاۤ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥] .



ربكم ، فيقولون أنت ربنا...» الحديث .

- وأخرج مسلم (١٨١) من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب عن النبي ﷺ قال : **«إذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تبارك تعالى : تريدون شيئًا أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عزَّ وجل»** .

وفي زيادة عن مسلم . . . ثم تلا هذه الآية ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] .
وقد انتقد الدارقطني هذا الحديث على الإمام مسلم رحمه الله .
وحاصل الانتقاد : أن حماد بن زيد ومعمر بن راشد وحماد بن واقد وسليمان بن المغيرة رووه عن ثابت عن ابن أبي ليلى قوله لم يبلغ به صهيبًا ولا النبي ﷺ .
انظر «التتبعات» للدارقطني .

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ۝٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾

س ـ وضح معنى ما يلي :

كلا ـ كتاب الأبرار ـ عليين ـ المقربون ؟

ج :

الكلمة	معناهـــا
كـــــــلا	كلا هنا بمعنى حقًّا
كتاب الأبرار	الكتاب الذي كتبت فيه أعمال الأبرار
عليـيــــــن	السماء السابعة[1]
المقربـــون	الملائكة المقربون

* * *

---

(١) قال الطبري رحمه اللَّه: والصواب أن يقال في ذلك كما قال جل ثناؤه: إن كتاب أعمال الأبرار لفي ارتفاع إلى حدٍّ قد علم اللَّه جل وعز منتهاه ، ولا علم عندنا بغايته غير أن ذلك لا يقصر عن السماء السابعة لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك .

قلت : وفي حديث البراء الذي أخرجه أحمد بإسناد صحيح أن النبي ﷺ قال . . . فذكر «روح العبـد المؤمن فقال : فيصعدون بها فـلا يمرون بها على ملإٍ من الملائكة إلا قالوا : مـا هذا =

لفتة طيبة في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ :

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففين : ٢١]؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : يشهد ذلك الكتاب بأمان الله للبرِّ من عباده من النار وفوزه بالجنة المقربون من ملائكة كل سماء من السماوات السبع . قاله الطبري .

قلت (مصطفى) : وهنا نلفت النظر إلى فائدة طيبة وقيمة تتعلق بهذه الآية الكريمة ولتقريب هذه الفائدة أقول ، وبالله التوفيق :

إن أهل الدنيا إذا كان لأحدهم ابن أو بنت تدرس في المدارس أو الجامعات وكان الولد متفوقًا وكانت البنت كذلك متفوقة ، ثم نجحا في الامتحان وحصلا على أعلى الدرجات فإن الأب يفتخر بذلك غاية الفخر ويحمل شهادة ابنه أو ابنته ويطوف بها على الأصدقاء والجيران قائلاً : انظروا إلى درجات ولدي وابنتي في الاختبار ، فهذه مادة الرياضيات قد أتى فيها بمائة من مائة ، وهذه مادة اللغة العربية كذلك أتى فيها بمائة من مائة ، وهذه اللغة الإنجليزية أتى فيها بالامتياز و . . . وهكذا سائر المواد ، فتجد الأب يطير فرحًا بذلك ويعمد إلى هذه

= الروح الطيب فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهى به إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين ...» الحديث .

الشهادة فيضعها معلقة في غرفة استقبال الأضياف !

●● فما ظنك بكتاب الأبرار ، ذلك الكتاب الذي كتبت فيه أعمال الأبرار وأثبتت فيه أقوالهم وكتبت فيه خطاهم وآثارهم ، ترى من يُباهي به ، يباهي به رب العزة سبحانه وتعالى ملائكته المقربين ، فيشهد المقربون هذا الكتاب ويطلعون على ما فيه ، فينظروا إلى ما فيه من صلوات خشع فيها العبد وأحسن فيها القيام وأتم الركوع والسجود .

● وينظروا إلى ما فيها من صيام كيف صام العبد ، ويتعجبون من حفظه لصومه وعدم خوضه في القيل والقال واغتياب المؤمنين والمؤمنات وتركه الرفث والفسوق والصخب ، وكيف كان يصوم الفرض ثم يتبعه بالنفل ، وكيف لا تمر عليه الأيام إلا وإذا شئت أن تراه صائمًا رأيته .

● وينظروا إلى ليل هذا الصيام كيف عُزِّز بالقيام ومُلئ به فينظرون إلى ترتيل العبد واستغفاره بالأسحار وسؤاله ودعائه !!!

● وينظروا إلى ما سُجِّل من دمعات العين حينما ذكر العبد ربَّه خاليًا ففاضت عيناه .

● ينظروا إلى فريضة الحج فيجدون العبد قد أدى الفرض ، بل والنفل كذلك قد تنفَّل !!! وليس الحج فحسب بل والاعتمار كذلك أكثر العبد منه .

● يشهد المقربون ما كتب من آثار الخطا إلى المساجد والإصلاح

بين الناس واتباع الجنائز وصلة الأرحام وعيادة المرضى والمشي في حوائج المسلمين .

● يشهد المقربون مجالس العلم التي حضرها العبد ، ودروس العلم التي بثها ، ومجالس الذكر التي ذكر العبد فيها ربه عز وجل ، وثواب الآيات التي تليت وأحاديث النبي ﷺ التي بُثت .

● يشهد المقربون آثار الخطا إلى الجهاد في سبيل اللَّه لإعلاء كلمة اللَّه والثواب الذي أثبت لهذه الأقدام التي اغبرت .

● يشهد المقربون كظمًا للغيظ وعفوًا عن الناس ، بل والإحسان إليهم .

يشهد المقربون كل هذا الخير فيحمدوا اللَّه عز وجل على ما وفق وهدى وعلى ما امتن به وأسدى وعلى ما تفضَّل به وأكرم .

هؤلاء أيها المقربون من ذرية من قلتم : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠] !!!

ألم تجدوا أيها المقربون الكرام في صحف هؤلاء المؤمنين الأبرار من يسبح بحمد اللَّه ويُقدِّس له ؟ !!!

ألم تجدوا أيها المقربون الكرام أقوامًا لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ؟ !!

ألم تجدوا أيها المقربون الكرام مقربين أمثالكم لم يستنكفوا عن عبادة ربهم والسجود له والخضوع ؟ !!

ألم تجدوا قومًا أيها المقربون لاحت في جباههم آثار السجود ؟!!

ألم تروا الغرَّة والتحجيل بادية على الأيدي والأرجل والجباه من آثار الوضوء ؟ !!

ها هي أيها المقربون دماء شهداء قد سالت في سبيل اللَّه لإعلاء كلمته ونشر دينه ونصرة رسله !!!

ها هي أيها المقربون أموالٌ قد أنفقت في سبيلي وابتغاء مرضاتي!!!

انظروا واشهدوا أيها المقربون إلى ما أُثبت في هذه الصحف والكتب من التحميد والتسبيح والتهليل والتكبير وتلاوة آي الذكر الحكيم!!

يشهد المقربون كل هذا في كتب الأبرار الموضوعة في عليين فيحمد المقربون ربهم عز وجل على ما من به على أوليائهم من المؤمنين فيدعون بهم بتمام النعمة قائلين : ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [غافر : ٨ - ٩] .

لا يكاد يجد الملائكة المقربون شيئًا يُشين صحف الأبرار ، وإن وجدوا بادروا بالاستغفار طلبًا لمحوه وإزالته حتى تبقى الكتب ـ كتب الأبرار ـ ناصعة بيضاء إلى يوم التلاق ، إن وجدوا ذنبًا زلت فيه قدم البر المتقي قالوا كما ذكر اللَّه سبحانه : ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ

يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [غافر: ٧] ، وكما أخبر سبحانه بقوله : ﴿ .. وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الشورى: ٥] .

- فياله من فضل ! وياله من أجر ! وياله من خير ! ويالها من سعادة ! وياله من نعيم !
- ما أجمل العمل الصالح الذي يرضي اللَّه عن صاحبه !
- ما أفضل التواضع الذي يزيد صاحبه رفعة !
- ما أسعد العبد إذا مات موحدًا للَّه رب العالمين ، قد اجتنب الرجس من الأوثان واجتنب قول الزور .

هنيئًا ثم هنيئًا لمن أسلم وحسنت سريرته ومات على الإسلام محبًّا لأهل الإسلام ولدين الإسلام وللنبي محمد ﷺ وسائر الأنبياء والمرسلين .

نسأل اللَّه أن لا يحرمنا الأجر ، ونسأله أن لا يحملنا الوزر ونسأله سبحانه أن يقبل كتبنا في عليين وأن يلحقنا بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

* * *

س ـ لماذا خصَّ كتاب الأبرار بشهود المقربين ؟

ج : قال ابن القيم رحمه الله [1] :

أخبر تعالى أن كتابهم كتاب مرقوم ، تحقيقًا لكونه مكتوبًا كتابة حقيقية . وخص تعالى كتاب الأبرار : أنه يكتب ويوقع لهم به بمشهد المقربين من الملائكة والنبيين سادات المؤمنين . ولم يذكر شهادة هؤلاء لكتاب الفجار ، تنويهًا بكتاب الأبرار وما وقع لهم به ، وإشهارًا له وإظهارًا لمكانتهم بين خواص خلقه ، كما يكتب الملوك تواقيع يعظمون بين الأمراء وخواص أهل المملكة ، تنويهًا باسم المكتوب له ، وإشهارًا بذكره . وهذا نوع من صلاة الله سبحانه وتعالى وملائكته على عبده .



---

(١) «التفسير القيم» .

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (٢٨)﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

الأرائك ـ نضرة النعيم ـ رحيق ـ مختوم ـ مزاجه ـ تسنيم ـ يشرب بها ؟

ج :

الكلمة	معناهـا
الأرائك	الأريكة هي السرير الموضوع في الحجلة، والأرائك الأسرة في الحجال ، والحجلة بالتحريك بيت مربع من الثياب الفاخرة يسمى في عرف الناس بالناموسية
نضرة النعيم	حسن النعيم ـ بريقه وتلألؤه ـ النور ـ الحسن ـ البياض ـ البهجة ـ أثر النعيم
رحيق	الرحيق المراد به الخمر، وقيل: هي الخمر البيضاء، لقوله تعالى : ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ (٤٥) بَيْضَاءَ﴾ [الصافات: ٤٥، ٤٦] .

الكلمة	معناهــا
مختـــــوم	ممزوج ـ مغلق عليه خاتم (يعني : مغلق تمامًا لم يقربه أحد) ـ آخره مختوم بالمسك
مزاجـــــه	خليطه
تسنيــــــم	عين يأتي منها شراب هو أفضل الشراب الذي يشربه المقربون
يشرب بهـا	يشرب منها

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿رَحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ [المطففين: ٢٥، ٢٦] **بشيء من التفصيل .**

ج : إيضاحه : أن الرحيق وهو الخمر مختوم ، وفي مختوم جملة أقوال :

أحدها : أنه مخلوط ، خليطه مسك ، أي : أنهم يشربون من الخمر المخلوط برائحة المسك لا خمر كريه الرائحة .

الثاني : أنه مختوم مغلق فيؤتى إليهم بكئوس الخمر وزجاجات الخمر مغلقة لم يقربها أحد غلقها بمسك .

لكن يرد على هذا الوجه قوله تعالى : **﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ**

لِّلشَّارِبِينَ﴾ [محمد: ١٥] والأنهار لا تخلق ولا تختم ، لكن وجه الإجابة على ذلك : أنهم يشربون الخمر أنواعًا فمنه خمر في زجاجات مختومة ومنه خمر من أنهار .

الثالث : أنه مختوم ، أي : نهايته مختومة برائحة المسك ، أي : أن شاربه بعد أن ينتهي من شربه تبقى فيه رائحة المسك تصاحبه .

الرابع : أنه مختوم غير مخلوط بشيء يفسده إنما فقط ختم بالمسك والله أعلم .

*** * ***

س ـ وضح بمزيد من التفصيل قوله تعالى : ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ﴾ [المطففين: ٢٧] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : أن هذا الرحيق الذي يشربه الأبرار مزاجه أي : خليطه ، من تسنيم ، أي : أن خمر الأبرار يخلط لهم بشيء من تلك العين التي هي التسنيم ، وهي عين خاصة بالمقربين فيشرب منها المقربون صرفًا (أي : صافية خالصة غير ممزوجة) ، كما قال تعالى : ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٨] وتمزج لأصحاب اليمين (الذين هم الأبرار) مزجًا أي : تمزج بغيرها لأصحاب اليمين ، وهي إنما تُمزج بالرحيق لقوله تعالى في الرحيق المختوم : ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ﴾ [المطففين: ٢٧] ، والآية كقوله تعالى : ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٥، ٦] ، فالأبرار يشربون من كأس

خليطها من الكافور ، والكافور عين يشرب بها عباد اللَّه (الذين هم المقربون) صرفًا أي خالصة ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦] ؟

ج : الآية في معنى قوله تعالى : ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١] ، أي : ليجتهد المجتهدون ويسعى الساعون في عمل القربات والطاعات التي تقربهم من اللَّه تعالى وليحذورا من التطفيف الذي يبعدهم عن مثل هذا الفضل والنعيم ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ هل هناك تعلق بين قوله تعالى : ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦] وبين أول السورة ؟

ج : قال عطية سالم حفظه اللَّه في تتمته لأضواء البيان :

وفي هذه الآية الكريمة لفت لأول السورة إذا كان أولئك يسعون لجمع المال بالتطفيف فلهم الويل يوم القيامة ، وإذا كان الأبرار لفي نعيم يوم القيامة، وهذا شرابهم فهذا هو محل المنافسة لا في التطفيف من الحب أو أي مكيل أو موزون .



﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

س ـ وضح معاني هذه الكلمات :

يتغامزون ـ انقلبوا ـ فكهين ـ ثوِّب ؟

ج :

الكلمة	معناهـا
يتغامزون	يشيرون بالجفن والحاجب استهزاءً بهم ـ يعيرونهم بالإسلام ويعيبونهم به
انقلبـوا	رجعوا
فكهيـن	معجبين بما هم فيه من الشرك والمعصية ونعيم الدنيا يتفكهون بذكر أهل الإيمان والطعن فيهم والاستهزاء بهم والسخرية منهم
ثـوِّب	جُوزي

❊ ❊ ❊

س ـ عادة أهل الكفر والنفاق السخرية من أهل الإيمان وإيذاؤهم دلّل على ذلك ببعض الأدلة من الكتاب والسنة ؟

ج : من ذلك : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴾ [المطففين: ٢٩ - ٣٢] .

● وقوله تعالى في شأن قوم نوح : ﴿ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ [هود: ٣٨] .

● وكذلك قولهم : ﴿ وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ [هود: ٢٧] .

● وقول أهل الكفر في شأن أهل الإيمان : ﴿ أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا ﴾ [الأنعام: ٥٣] .

● وقوله تعالى في شأن أهل النفاق : ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ .. ﴾ [التوبة: ٧٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾ [البقرة: ٢١٢] .

● وقول أهل الكفر : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الحجر: ٦] .

• ويقول تعالى للكفار يوم القيامة : ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٨ - ١١٠] .

• وقال تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ [البقرة: ١٣] .

• وقال تعالى : ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ١٤] .

• وقال تعالى : ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنبياء: ٤١] .

ومن ذلك أيضًا :

• ما أخرجه البخاري [١] ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال بينا النبي ﷺ ساجد وحوله ناس من قريش ، جاء عقبة بن أبي معيط بسلي جزور[٢] فقذفه على ظهر النبي ﷺ ، فلم يرفع رأسه ، فجاءت فاطمة عليها السلام فأخذته من ظهره ودعت على من صنع ، فقال النبي ﷺ : «اللهم عليك الملأ من قريش : أبا جهل بن

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٥٤) ومسلم (١٧٩٤) والنسائي (١/ ١٦٢) .

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (١/ ٣٥٠) : «والجَزور من الإبل ما يجزر أي : يقطع ، وهو بفتح الجيم ، والسَّلى مقصور بفتح المهملة ، هي الجلدة التي يكون فيها الولد ، يقال لها ذلك من البهائم ، وأما من الآدميات فالمشيمة . وحكى صاحب «المحكم» أنه يقال فيهن أيضًا سلى» .

هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأمية بن خلف - أو أبي بن خلف» - شعبة الشاك [١] - فرأيتهم قتلوا يوم بدر ، فألقوا في بئرٍ غير أمية بن خلف أو أُبي تقطعت أوصاله فلم يلق في البئر .

● وأخرج البخاري[٢] أيضًا من طريق عروة بن الزبير قال : سألت ابن عمرو بن العاص : أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي ﷺ، قال : بينا النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط ، فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا ، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ ، وقال : ﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ**﴾ [غافر: ٢٨] ؟! .

● وأخرج البخاري[٣] من طريق عروة أن عائشة زوج النبي ﷺ حدثته أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال : **«لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب [٤]، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني، فقال : إن اللَّه قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث اللَّه إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فناداني ملك الجبال ، فسلم عليَّ ، ثم**

---

(١) شعبة هو أحد رواه الحديث .

(٢) البخاري حديث (٣٨٥٦) وأشار البخاري عقب إخراجه إلى بعض الوجوه في سند الحديث .

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٣١) .

(٤) هو مكان ، وهو ميقات أهل نجد .

قال: يا محمد ذلك فيما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين [١]» فقال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يُخرج اللَّه من أصلابهم من يعبد اللَّه وحده لا يشرك به شيئًا» .

❊ ❊ ❊

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴾ [المطففين: ٣٢] ؟

ج : **المعنى ـ واللَّه أعلم ـ** : أن الكفار إذا رأوا أهل الإيمان وما هم عليه من الإيمان باللَّه والتصديق برسول اللَّه ﷺ وإيثارهم الآخرة على العاجلة وصفوهم بأنهم ضُلاَّل في تركهم الشرك وتركهم نعيم الدنيا ورغبتهم فيما عند اللَّه .

❊ ❊ ❊

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴾ [المطففين: ٣٣] ؟

---

(١) **قال الحافظ «فتح الباري» (٦/ ٣١٦)** : قوله : (الأخشبين) بالمعجمتين هما جبلا مكة : أبو قبيس والذي يقابله ، وكأنه قعيقعان ، وقال الصغاني : بل هو الجبل الأحمر الذي يشرف على قعيقعان ، ووهم من قال : هو ثور كالكرماني ، وسميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما ، والمراد بإطباقهما أن يلتقيا على من بمكة ، ويحتمل أن يراد أنهما يصيران طبقًا واحدًا .

قلت : وفي الحديث أن الابتلاء النفسي أشق على الإنسان من الابتلاء البدني ، فالنبي ﷺ شج رأسه يوم أحد وكسرت رباعيته ، ومع ذلك فما لقيه من ابن عبد ياليل بن عبد كلال من عدم إجابته إياه أشق مما حل به يوم أحد ، صلوات اللَّه وسلامه عليه .

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: أن هؤلاء المجرمين كانوا إذا رأوا أهل الإيمان وصفوهم بالضلال فقالوا : ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ [المطففين: ٣٢] فنقم الله عليهم هذه المقولة وقال: ﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ أي : إنكم معشر المجرمين ما أرسلتم رقباء على عبادي ولا حفظة لأعمالهم ولا كتبة لهم ، إنما كلفتم الإيمان بي والعمل بطاعتي وليس لكم شيء وراء ذلك ، فلماذا شغلتم أنفسكم بعبادي وجعلتموهم نصب أعينكم تحكمون عليهم بما شئتم وتصفونهم بما أردتم !! ، والله أعلم .

* * *

س ـ قوله تعالى : ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٣٥] ينظرون إلى ماذا ؟

ج : ينظرون إلى الكفار وهم يعذبون في النار فيضحكون منهم ، كما قال تعالى : ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥١ - ٥٥] .

* * *

س ـ في الآيات الكريمة ما يفيد أن الجزاء من جنس العمل ؛ وضح ذلك واذكر عدة أدلة توضح أن الجزاء من جنس العمل ؟

ج : إيضاحه: أن المجرمين لما سخروا من أهل الإيمان في الدنيا وضحكوا منهم ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا

يَضْحَكُونَ ﴾ [المطففين: ٢٩] ، كانت العقوبة في الآخرة أن أهل الإيمان وهم في الجنة يضحكون يوم القيامة من أهل الكفر وهم يعذبون في النار، كما قال تعالى: ﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ .. ﴾ [المطففين: ٣٤].

- **ومن الأدلة على أن الجزاء من جنس العمل :**

- قول نوح عليه السلام : ﴿ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ [هود: ٣٨] .

- وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧٩] .

- وقوله تعالى : ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [النور: ٢٢] .

- وقوله تعالى : ﴿ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التغابن: ١٤] .

- وقوله : ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [سبأ: ٣٩] .

- وقوله عليه الصلاة والسلام : «**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر**»[1] .

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ١٧٩) والترمذي (٢٤٩٢) بإسناد حسن ، وقد تقدم بطوله انظر تفسير سورة البقرة (٣/ ٥٣٤) .

• وقوله عليه السلام : «من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا و الآخرة»[1].

• وقوله تعالى في الحديث القدسي : «أنفق يا ابن آدم أُنفق عليك»[2].

❊ ❊ ❊

س ـ ما هو وجه الاستفهام في قوله تعالى : ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ٣٦] ؟

ج : هو استفهام تقريري .

❊ ❊ ❊

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ٣٦] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : هل جوزي الكفار وحوسبوا على ما كانوا يفعلونه ويسخرون به من المؤمنين ويقابلونهم به من الاستهزاء

---

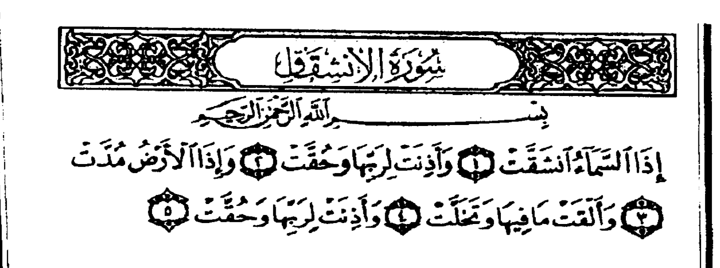
(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة..» الحديث .

(٢) أخرجه البخاري مع «الفتح» (٩/ ٤٩٧) ومسلم (٩٩٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «قال الله : ....» فذكره.

والتنقيص أم لا ؟ فالمعنى أنهم قد جوزوا أوفر الجزاء وأتم الجزاء وأكمل الجزاء .

والمعنى بتعبير آخر: هل رأيتم يا أهل الإيمان بعد أن أسكنكم اللَّه الجنان وأضحككم من الكفار أن الكفار قد جوزوا بما يستحقوه أم لم يُجازوا ؟ !





س ـ اذكر معاني هذه الكلمات :

انشقت ـ أذنت ـ حقت ـ مدت ؟

ج :

الكلمة	معناهـــا
انشقـــت	تصدعت ـ تقطعت فكانت أبوابًا [1]
أذنـــت	سمعت وأطاعت ، والأذن بمعنى الاستماع ، ومنه : قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ .. ﴾ [التوبة: ٦١] أي : سمّاع لما يقال له ، ومنه قول النبي ﷺ : « ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يجهر بالقرآن » ، وقول الشاعر : صُمٌّ إذا سمعوا خيرًا ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

(١) قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً ﴾ [الفرقان: ٢٥] .

الكلمة	معناهـا
حقـت	حقق اللَّه عليها الاستماع ـ حقيق بها أن تستمع ، أي : جدير بها أن لا تمتنع مما أراده اللَّه بها
مـدت	بسطت وزيد في سعتها ودكت جبالها ودك كلُّ أمت عليها فأصبحت كما قال تعالى : ﴿لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه : ١٠٧]

❊ ❊ ❊

س ـ ما معنى قوله تعالى : ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق : ٤] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : أن الأرض لما مدت وبسطت ألقت أثقالها وما فيها من الموتى على ظهرها وتخلت عنهم ، فألقت الأموات الذين دفنوا فيها على ظهرها كما قال تعالى : ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ [ق : ٤٤] .

● وتلقي أيضًا ما بداخلها من المعادن وغيرها كما في «صحيح مسلم» (١) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : **«تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول : في هذا قتلت ، ويجيء القاطع فيقول : في هذا قطعت**

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٠١٣) .

رحمي ، ويجيء السارق فيقول : في هذا قُطعت يدي ، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئًا» .

فتخلت الأرض عنهم بعد أن كانت لهم كفاتًا أحياء وأمواتًا ، وبعد أن كانت لهم مهادًا لفظتهم وتخلت عنهم ، وهذا ـ كما قال بعض العلماء ـ مما يزيد في رهبة الموقف وشدته والتضييق على العباد ، وأن لا ملجأ لهم ولا منجى إلا إلى اللَّه ، كما قال تعالى : ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴾ [القيامة: ١١، ١٢] .

* * *

س ـ ما هو جواب قوله تعالى: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ [الانشقاق: ١] ؟

ج : قال بعض العلماء : إن قوله : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ [الانشقاق: ١] مؤخر ، والمعنى : ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ... ﴾ [الانشقاق: ٦] ، إذا السماء انشقت ، أي : عند انشقاق السماء .

● ومن أهل العلم من قال : إن الجواب محذوف ، وقد فهم من آيات أخر ، فالمعنى : إذا السماء انشقت رأى الإنسان ما قدم وأخر من خيرٍ أو شر .



يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

كادح ـ كدحًا ـ ينقلب ـ يدعو ثبورًا ـ يحور ؟

ج :

الكلمة	معناها
كادح	عامل
كدحًا	عملاً
ينقلب	يرجع
يدعو ثبورًا	يدعو على نفسه بالثبور وهو الهلاك
يحور	يرجع

* * *

س ـ ما المراد بالكتاب في قوله تعالى : ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه . .﴾ [الانشقاق: ٧] ؟

ج : المراد بالكتاب كتاب الأعمال .

* * *

س ـ ما المراد بالحساب اليسير في قوله تعالى : ﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ [الانشقاق: ٨] ؟

ج : **المراد بالحساب اليسير : العرض ؛ فقد أخرج البخاري** ومسلم من حديث عائشة [١] رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : **«ليس أحد يحاسب إلا هلك»** ، قالت : قلت : يا رسول الله جعلني الله فداءك أليس يقول الله عز وجل : ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ** ۝٧ **فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا**﴾ [الانشقاق: ٧، ٨] قال : **«ذاك العرض ، يعرضون ، ومن نوقش الحساب هلك»** .

وللعلماء في تفسير العرض أقوال منها : أن المراد بالعرض : عرض الناس على الميزان . ومنها : أن ينظر في أعماله فيغفر له سيئها ويجازي على حسنها .

وأصحها : عرض أعمال العبد عليه بين يدي الله ثم مغفرتها له ، ودل على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم [٢] من حديث ابن عمر

---

(١) وأخرجه البخاري (حديث ٤٩٣٩) ومسلم (حديث ٢٨٧٦) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٢٤٤١) ومسلم (حديث ٢٧٦٨) .

رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول : «**يُدنى المؤمن يوم القيامة من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول هل تعرف ؟ أي رب أعرف ، قال : فإني قد سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم فيعطى صحيفة حسناته ، وأما الكفار والمنافقون فيُنادي بهم على رءوس الخلائق : الذين[1] كذبوا على ربهم**» .

* * *

س - من المراد بالأهل في قوله تعالى : ﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾ [الانشقاق : ٩] ؟

ج : هم أهله الذين أعدهم الله له في الجنان من الحور العين وأهله من أهل الصلاح الذين كانوا معه في الدنيا وسبقوه إلى الجنة من زوجات وأولاد وآباء وأمهات وعشيرة وأصدقاء .

* * *

س - كيف يجمع بين قوله تعالى في شأن الكافر : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ﴾ [الحاقة : ٢٥] ، وقوله تعالى أيضًا : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ [الانشقاق : ١٠] ؟

ج : لا تعارض فالكافر يؤتى كتابه بشماله ويده وراء ظهره .

قال الطبري رحمه الله : وأما من أعطي كتابه منكم أيها الناس يومئذ وراء ظهره ، ولذلك وصفهم جل ثناؤه أحيانًا أنهم يؤتون كتبهم

(١) في مسلم ترتيب محمد فؤاد (هؤلاء الذي . . .) والصواب ما أثبتناه .

بشمائلهم وأحيانًا أنهم يؤتونها من وراء ظهورهم .

* * *

س ـ ما المراد بقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾ [الانشقاق: ١٣] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : أن هذا الكافر كان في دنياه وسط أهله مسرورًا بكفره وضلاله وخلافه لأمر الله وارتكاب المعاصي .

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ بَلَىٰ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴾ [الانشقاق: ١٥] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : بلى ليحورن وليرجعن إلى ربه وليبعثن .



﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩ ٢١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ٢٢ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ٢٣ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ٢٥﴾

س - وضح معنى ما يأتي :

الشفق - وسق - اتسق - طبقًا عن طبق - يوعون - ممنون ؟

ج :

الكلمة	معناهـــا
الشفق	الحُمرة التي تبقى في السماء بعد غروب الشمس من ناحية غروب الشمس إلى وقت العشاء[1]

(١) ويؤيد ذلك حديث رسول الله ﷺ : « **وقت صلاة المغرب ما لم يغب الشفق** » أخرجه مسلم (ص ٤٢٧) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعًا .

وقال الطبري رحمه الله : وقال آخرون : هو النهار .. ثم قال : والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إن الله أقسم بالنهار مدبرًا والليل مقبلاً ، وأما الشفق الذي تحل به صلاة العشاء فإنه للحمرة عندنا .

الكلمة	معناهـا
وســـق	جمع وحوى ـ ضم ـ لف ـ آوى
اتســـق	اكتمل ـ تمَّ واستوى ـ تكامل نوره ، ويكون ذلك ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة وست عشرة
طبقًا عن طبق	حالاً بعد حال
يوعـــون	يكتمون ـ يُسرون
ممنـــون	مقطوع

* * *

س ـ وضح المراد بقـوله تعالى : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ [الانشقاق: ١٩] ؟

ج : أولاً وباختصار فمعنى قوله تعالى : ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ أي : حالاً بعد حال ، ولكن ما المراد بالحال الأولى وما المراد بالحال الثانية فلأهل العلم في ذلك أقوال مبنية على القراءة في قوله تعالى ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ فمن القراء من قرأها بفتح التاء (المثناة الفوقانية) وفتح الباء (الموحدة التحتانية) لتَركبَن ، والذين قرأوها على هذا النحو لهم فيها تأويلات :

● أحدها : أن هذا خطاب لرسول اللَّه ﷺ ، والمعنى على هذا له وجوه :

الوجه الأول : لتركبن يا محمد حالاً بعد حال[1]، أي: أن الأحوال ستمر بك يا محمد من حال فقرٍ إلى حال غنى ، ومن حال ضعف إلى حال قوة وظفرٍ وغلبةٍ على المشركين المكذبين بالبعث ، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ...﴾ [الضحى: ٦ - ٨] .

الوجه الثاني : أن المراد لتركبن يا محمد سماء بعد سماء ، وقد فعل اللَّه ذلك به ليلة المعراج ، وقد قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [نوح: ١٥] .

الوجه الثالث : لتركبن يا محمد درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القرب إلى اللَّه عز وجل ..

● التأويل الثاني : أن المراد بقوله : لتركبن : هي السماء ، فالمعنى : أن السماء تتغير أحوالها فمرة تكون كالدهان ، كما قال تعالى : ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧] ، ومرة تَشَقَّقُ بالغمام ، كما قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥] ، ومرة تنفطر ، كما قال تعالى : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ...﴾ [الانفطار: ١] ، وتتغير السماء من لونٍ إلى لون .

---

(١) أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن عباس أنه كان يقرأ ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ . يعني نبيكم ﷺ حالاً بعد حال . وبإسناد صحيح عنه أيضًا ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩] قال : محمد ﷺ .

• وقرأ فريق آخر من العلماء لتركبُن بفتح التاء (المثناه الفوقانية) وضم الباء (الموحدة التحتانية) وهذا الخطاب في قوله : ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ للناس ، والمعنى الإجمالي أولاً : لتمرن بك أيها الإنسان وأيها الناس جملة أمور وأحوال ، وفي بيان هذه الأمور والأحوال جملة أقوال :

• القول الأول : لتمرن بك أيها الإنسان شدائد وأهوال الموت والبعث والعرض والميزان والصراط والجنة أو النار .

• القول الثاني : أن الإنسان يمر بجملة أطوار نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم يكسى عظمه لحمًا ثم ينشأ خلقًا آخر ويخرج من بطن أمه ضعيفًا ثم يتقوى ثم يضعف ويشيب ثم يموت ، كما قال تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤] .

• القول الثالث : أن المراد أن أحوال الإنسان تتغير بين الدنيا والآخرة فقد يكون وضيعًا في الدنيا ويرفعه اللَّه في الآخرة وقد يكون مرتفعًا في الدنيا ويخفضه اللَّه عز وجل في الآخرة كما قال تعالى في شأن الآخرة : ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ [الواقعة: ٣] ، وقد يكون مرتفعًا في الدنيا ويزداد رفعة كما قال تعالى في شأن عيسى عليه السلام : ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ٤٥] ، وقد يكون وضيعًا في الدنيا ويزداد إذلالاً في الآخرة .

• القول الرابع : أن أحوال الإنسان تتغير في الدنيا من صحة إلى مرض، ومن مرض إلى صحة، ومن غنى إلى فقر ، ومن فقر إلى غنى،

كما قال تعالى : ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] .

● **القول الخامس** : أن المراد بقوله : **لتركبن طبقًا عن طبق** : أي: لتتبعن أحوال اليهود والنصارى حالاً من أحوالهم بعد حال ، كما جاء عن رسول اللَّه ﷺ : «**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب دخلتموه وراءهم**» ، والمعنى أيضًا : لتركبن سنة الأولين ممن كان قبلكم في التكذيب بالنبوة والقيامة .

● **قال الطبري رحمه اللَّه** : وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ بالتاء وبفتح الباء ، لأن تأويل أهل التأويل من جميعهم بذلك ورد ، وإن كان للقراءات الأخر وجوه مفهومة ، وإذا كان الصواب من القراءة في ذلك ما ذكرنا ، فالصواب من التأويل قول من قال: (لتركَبَن) أنت يا محمد حالاً بعد حال ، وأمرًا بعد أمرٍ من الشدائد والمراد بذلك، وإن كان الخطاب إلى رسول اللَّه ﷺ موجهًا ، جميع الناس أنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأهواله أهوالاً .

وقال ابن القيم رحمه اللَّه «التفسير القيم» :

قول اللَّه تعالى ذكره : ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩] .

أي حالاً بعد حال . فأول أطباقه : كونه نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم جنينًا ، ثم مولودًا ، ثم رضيعًا ، ثم فطيمًا ، ثم صحيحًا أو مريضًا ، غنيًّا أو فقيرًا ، معافًى أو مبتلًى - إلى جميع أحوال الإنسان المختلفة عليه إلى أن يموت ، ثم يبعث ، ثم يوقف بين يدي اللَّه ، ثم يصير إلى الجنة أو النار .

فالمعنى: لتركبن حالاً بعد حال، ومنزلاً بعد منزل، وأمرًا بعد أمر.

قال سعيد بن جبير وابن زيد : لتكونن في الآخرة بعد الأولى ، ولتصيرنَّ أغنياء بعد الفقر ، وفقراء بعد الغنى .

وقال عطاء : شدة بعد شدة .

والطبق والطبقة: الحال. ولهذا يقال: كان فلان على طبقات شتَّى. قال عمرو بن العاص: «لقد كنت على طبقات ثلاث» أي: أحوال .

قال ابن الأعرابي : الطبق الحال على اختلافها .

وقد ذكرنا بعض أطباق الجنين في البطن من حين كونه نطفة إلى وقت ميلاده . ثم نذكر الطبقات بعد ولادته إلى آخرها .

* * *

س ـ ما هو نوع الاستثناء في قوله تعالى : ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [الانشقاق: ٢٥] ؟

ج : هو استثناء منقطع ، وإلا بمعنى لكن ، فالمعنى : لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون .

* * *

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله : ﴿فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الانشقاق: ٢٠] ؟

ج : يقول الطبري رحمه الله : يقول تعالى ذكره : فما لهؤلاء

المشركين لا يصدقون بتوحيد اللَّه ولا يقرون بالبعث بعد الموت ، وقد أقسم لهم ربهم بأنهم راكبون طبقًا عن طبق مع ما قد عاينوا من حججه بحقيقة توحيده .

● والاستفهام في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الانشقاق: ٢٠] استفهام إنكاري كما هو واضح .

* * *

س ـ ما هي السجدات التي ثبت بالسند الصحيح أن النبي ﷺ سجد فيها ، اذكر الأدلة في ذلك ؟

ج : الذي وقفت عليه بإسناد صحيح إلى رسول اللَّه ﷺ في ذلك ما يلي :

● **سجدة الانشقاق** ، فقد أخرج البخاري ومسلم [١] من حديث أبي رافع قال: صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ فسجد فقلت : فقال : سجدت بها خلف أبي القاسم ﷺ فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه .

● **سجدة النجم** ، فقد أخرج البخاري ومسلم [٢] من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال : قرأ النبي ﷺ النجم بمكة فسجد فيها وسجد من معه غير شيخ أخذ كفًّا من حصىً أو تراب ، وقال : يكفيني هذا ، فرأيته بعد ذلك قتل كافرًا .

---

(١) أخرجه البخاري مع الفتح ٢/ ٢٥٠) ومسلم (٥/ ٧٨ مع النووي) .

(٢) أخرجه البخاري مع «الفتح» (٢/ ٥٥١) ومسلم (٥/ ٧٤ مع النووي) .

● سجدة ص . فقد أخرج البخاري(١) من طريق العوام قال سألت مجاهدًا عن سجدة (ص) فقال : سألت ابن عباس من أين سجدت ؟ فقال أو تقرأ : ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الانعام: ٨٤ - ٩٠] .

فكان داود ممن أمر نبيكم ﷺ أن يقتدي به فسجدها داود فسجدها رسول الله ﷺ .

● سجدة العلق ، فقد أخرج مسلم (٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سجدنا مع النبي ﷺ في ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ و ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ .



(١) أخرجه البخاري مع «الفتح» (٨/ ٥٤٤) وأبو داود (٢/ ١٢٢) والنسائي (٢/ ١٥٩)

(٢) أخرجه مسلم (ص ٤٠٦) .

سورة البروج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

البروج ـ اليوم الموعود ـ قُتِلَ ـ الأخدود ـ شهود ؟

ج :

الكلمة	معناها
البـروج	الكواكب العظيمة [١] ـ القصور ـ النجوم ـ منازل الشمس والقمر [٢]

(١) سميت بروجا لظهورها .

(٢) **قال الطبري رحمه الله** : وأولى الأقوال في ذلك الصواب أن يُقال : معنى ذلك والسماء ذات منازل الشمس والقمر ، وذلك أن البروج جمع برج ، وهي منازل تتخذ عالية عن الأرض =

الكلمة	معناهـا
اليوم الموعود	يوم القيامة[1]
قتـــل	لُعِن
الأخـــدود	حفرة مستطيلة تحفر في الأرض
شهـــود	حضور مشاهدين

* * *

س ـ ما المراد بالشاهد والمشهود ؟

ج : لأهل العلم في ذلك ما يقارب أربعة وعشرين قولاً ذكرها ابن الجوزي في « زاد المسير » وذكرها غيره أيضًا ، ومبني كثير منها على حقيقة الشاهد ما هو هل هو الشاهد الذي تثبت به الدعاوي والحقوق أم أن الشاهد بمعنى الحاضر والرائي والمُبصر ؟ .

= مرتفعة ومن ذلك : قول اللَّه : ﴿ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨] وهي منازل مرتفعة عالية في السماء وهي اثنا عشر برجًا ، فمسير القمر في كل برج منها يومان وثلث ، فذلك ثمانية وعشرون منزلاً ثم يستتر ليلتين ، ومسير الشمس في كل برج منها شهر .

(١) نقل عدد من العلماء الإجماع على أن المراد باليوم الموعود يوم القيامة .
هذا واليوم الموعود هو الذي وعده اللَّه عز وجل عباده لفصل القضاء وذلك يوم القيامة ، وقد كانوا يوعدونه في الدنيا مؤمنهم وكافرهم قال تعالى في شأن أهل الإيمان : ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] .
وكذلك الكفار قال تعالى : ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾ [المعارج: ٤٢] .
وقال تعالى : ﴿ ... هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس: ٥٢] .

● فمن العلماء من بنى تفسيره على أن الشاهد بمعنى الحاضر والمُبصر والرائي ، وجاءت تفاسيرهم على هذا المنوال وها هي بعض أقوالهم في ذلك :

الأول : الشاهد هم الخلائق الذي يشهدون [1] يوم القيامة (أي : يحضرون) ، والمشهود يوم القيامة .

الثاني : الشاهد : المصلون الذين يصلون الجمعة ، والمشهود : يوم الجمعة[2] .

الثالث : الشاهد: هم الحجيج الذين يشهدون الحج، والمشهود: يوم عرفة .

---

(١) واستدل لهذا القول بأنه لا حضور أعظم من ذلك الحضور ؛ فإن الله يجمع فيه الأولين والآخرين من الملائكة والأنبياء والجن والإنس وسائر الخلائق .

● ويدل عليه أيضًا قوله تعالى في شأن يوم القيامة : ﴿ **ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ** ﴾ [هود : ١٠٣] ، وقال تعالى : ﴿ **إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ** ﴾ [يس: ٥٣] ، وقال تعالى : ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾ [مريم: ٣٧] .

● ويؤيده أيضًا أن الله عز وجل ذكر ﴿ **الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ** ﴾ ثم عقبه بقوله : ﴿ **وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ** ﴾ [البروج: ٣] ، قال الرازي : وهذا يناسب أن يكون المراد بالشاهد من يحضر ذلك اليوم من الخلائق ، وبالمشهود ما في ذلك اليوم من العجائب .

(٢) وهذا يتأيد بأن الملائكة تشهد الجمعة ، وذلك كما في البخاري (٩٢٩) ومسلم (٨٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول ...**» الحديث وفيه : «**فإذا خرج الإمام طووا صحفهم وجاءوا يستمعون الذكر**» .

الرابع : الشاهد : هم الحجيج ، والمشهود : هو يوم النحر .

الخامس : أن الشاهد : يوم عرفة ، والمشهود : القيامة .

السادس : أن الشاهد : يوم الجمعة ، والمشهود : يوم عرفة .

وثمّ أقوال أخر :

● أما الذين قالوا : إن الشاهد من الشهادة التي تثبت بها الحقوق والدعاوىٰ فلهم في التفسير ضروب منها :

● الأول : الشاهد : هو اللّٰه سبحانه وتعالىٰ [1] ، والمشهود : هو التوحيد والنبوة[2].

● الثاني : الشاهد : محمد ﷺ [3]، والمشهود عليه : أمته وسائر الأنبياء والأمم .

---

(١) استدل له بقوله تعالىٰ : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٩] ، وبقوله تعالىٰ : ﴿ وكفى باللّٰه شهيدا ﴾ ، وقوله : ﴿ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣] .

(٢) وذلك لقوله تعالىٰ : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨] .

(٣) ويشهد له قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الفتح: ٨] ، وقوله تعالىٰ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١] ، وقوله عليه الصلاة والسلام : «يُدعي نوح يوم القيامة فيقول : لبيك وسعديك يارب ، فيقول : هل بلغت فيقول : نعم ...» الحديث وفيه : «فيقول : من يشهد لك فيقول محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلّغ ويكون الرسول عليكم شهيدًا » . أخرجه البخاري حديث (٤٤٨٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللّٰه عنه مرفوعًا .

- الثالث : أن الشاهد : الأنبياء ، والمشهود عليه : الأمم[(١)].
- الرابع : أن الشاهد: هم الملائكة ، والمشهود عليه: الأنفس[(٢)].
- الخامس : الشاهد: هي الجوارح، والمشهود عليه: الإنسان[(٣)].

هذا وثمَّ أقوال أخر ، وثمَّ أيضًا أقوال ملفقة من القولين معًا .

منها: أن الشاهد: هو اللَّه سبحانه وتعالى، والمشهود: يوم القيامة.

ومنها : أن الشاهد : محمد ﷺ ، والمشهود : القيامة ، وثم أقوال أُخر.

- لكن اختار عدد كبير من أهل العلم التعميم منهم الطبري والقاسمي والرازي والسعدي وغيرهم .

قال الطبري رحمه اللَّه : والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال إن اللَّه أقسم بشاهد شَهِدَ ومشهود شُهِدَ ، ولم يخبرنا مع إقسامه بذلك أي شاهد وأي مشهود أراد ، وكل الذي ذكرنا أن العلماء قالوا هذا المعنى مما يستحق أن يقال له شاهد ومشهود .

- **وقال القاسمي في «محاسن التأويل»** : وشاهد وهو كل ما له حس يشهد به ومشهود وهو كل مُحسٍّ يشهد بالحس ، فيدخل فيه العوالم المشهودة كلها ، وتخصيص بعض المفسرين بعضًا مما يتناوله

---

(١) يشهد له ايضًا قوله تعالى : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] .

(٢) دليله: قوله تعالى : ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١] .

(٣) دليله : ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ..﴾ [فصلت: ٢١] .

لفظهما لعله لأنه الأهم أو الأولى أو الأعرف والأظهر لقرينة عنده وإلا فاللفظ على عمومه حتى يقوم برهان على تخصيصه .

* * *

س ـ ما هو جواب القسم في قوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ... ﴾ [البروج: ١] ؟

ج : من أهل العلم من قال : إن جواب القسم مذكور في نفس السورة ، ومنهم من قال : محذوف ويفهم من السياق .

● أما الذين قالوا : إنه مذكور في السورة ، فلهم في تحديده وجوه :

أحدها : أنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ [البروج: ١٢] .

الثاني : هو قوله : ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴾ [البروج: ٤] .

الثالث : هو قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾ [البروج: ١٠] .

● أما الذين قالوا : إنه محذوف فلهم فيه تقديرات :

أحدها : هو أن كفار قريش ملعونون كما لعن أصحاب الأخدود .

الثاني : أن الأمر حق وأنه لابد من الجزاء على الأعمال .

الثالث : لتبلون بأنواع من الابتلاءات كما ابتلي أصحاب الأخدود ولينتقمن اللَّه ممن فتنكم أيها المؤمنون ، كما انتقم من الذين فتنوا

المؤمنين والمؤمنات وخدوا لهم الأخاديد .

* * *

س ـ من هم أصحاب الأخدود ؟

ج : هم قوم مجرمون كفار خدوا الأخاديد، أي: حفروا الحفر لأهل الإيمان، وأشعلوا فيها النيران، وألقوا فيها المؤمنين، وقد ورد حديث في هذا المعنى أخرجه مسلم [١] من حديث صهيب رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه قال : «كان ملكٌ فيمن كان قبلكم . وكان لهُ ساحرٌ . فلما كبر قال للملك : إني قد كبرتُ . فابعث إليَّ غلامًا أعلمهُ السحرَ . فبعث إليه غلامًا يعلمهُ . فكان في طريقه ، إذا سلكَ ، راهبٌ . فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه . فكان إذا أتى الساحر مرَّ بالراهب وقعد إليه . فإذا أتى الساحر ضربهُ. فشكا ذلك إلى الراهب . فقال : إذا خشيت الساحرَ فقلْ : حبسني أهلي . وإذا خشيت أهلك فقلْ : حبسني الساحرُ . فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس . فقال : اليوم أعلمُ الساحرُ أفضلُ أم الراهبُ أفضلُ؟ فأخذ حجرًا فقال: اللهم ! إن كان أمر الراهب أحبَّ إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة . حتى يمضي الناس . فرماها فقتلها . ومضى الناسُ. فأتى الراهب فأخبره . فقال لهُ الراهبُ : أي بُنيَّ ! أنت اليوم أفضل منيِّ . قد بلغ من أمركَ ما أرى . وإنك ستبتلى . فإن ابتليت فلا تدلَّ عليَّ . وكان الغلامُ يبرئْ الأكمه والأبرص ويداوي الناس منْ سائر الأدواءِ . فسمع

(١) أخرجه مسلم (حديث ٣٠٠٥) .

(٢) الأكمه الذي وُلد أعمى .

جليسٌ للملك كان قد عمي . فأتاهُ بهدايا كثيرة . فقال : ما ههنا لك أجمع ، إن أنت شفيتني . فقال : إني لا أشفي أحدًا . إنما يشفي اللَّه . فإن أنت آمنت باللَّه دعوتُ اللَّه فشفاكَ . فآمن باللَّه . فشفاهُ اللَّهُ . فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلسُ . فقال له الملكُ : من ردَّ عليك بصركَ ؟ قال : ربِّي . قال : ولك ربٌّ غيري ؟ قال : ربي وربك اللَّهُ . فأخذهُ فلم يزل يعذبهُ حتى دل على الغلام . فجيءَ بالغلام. فقال لهُ الملكُ : أي بنيَّ ! قد بلغ من سحرك ما تُبرئُ الأكمه والأبرص وتفعلُ وتفعلُ . فقال : إنِّي لا أشفي أحدًا . إنَّما يشفي اللَّهُ . فأخذه فلم يزل يعذبهُ حتى دلَّ على الراهب . فجيءَ بالراهبِ . فقيل لهُ : ارجعْ عن دينك . فأبى . فدعا بالمئشار[1]. فوضع المئشار في مفرق رأسه . فشقهُ حتى وقع شقاهُ . ثم جيءَ بجليس الملك فقيل له : ارجع عن دينك . فأبى . فوضع المئشار في مفرق رأسه . فشقهُ به حتى وقع شقاهُ . ثم جيءَ بالغلام فقيل له : ارجع عن دينك . فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا . فاصعدوا به الجبل . فإذا بلغتم ذروته [2]، فإن رجع عن دينه ، وإلا فاطرحوهُ . فذهبوا به فصعدُوا به الجبل . فقال : اللهمَّ ! اكفينهمْ بما شئت . فرجفَ بهم الجبلُ [3] فسقطوا . وجاء يمشي إلى الملك . فقال لهُ الملكُ : ما فعل أصحابك ؟ قال : كفانيهم اللَّهُ . فدفعهُ إلى نفر من أصحابه

---

(١) (بالمئشار) مهموز في رواية الأكثرين : ويجوز تخفيف الهمزة بقلبها ياء . وروي : المنشار ، بالنون . وهما لغتان صحيحتان .

(٢) (ذروته) : ذروة الجبل أعلاه ، وهي بضم الذال وكسرها .

(٣) (فرجف بهم الجبل) : أي : اضطرب وتحرك حركة شديدة .

فقال : اذهبُوا به فاحملوهُ في قرقور [١]، فتوسطوا به البحر . فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه . فذهبوا به . فقال : اللهمَّ ! اكفنيهم بما شئت . فانكفأتْ بهم السفينة [٢] فغرقوا . وجاء يمشي إلى الملك . فقال له الملكُ : ما فعل أصحابك ؟ قال : كفانيهمُ اللَّهُ . فقال للملكِ : إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به . قال : وما هو ؟ قال : تجمعُ الناسَ في صعيد[٣] واحدٍ . وتصلبُني على جذعٍ . ثم خذْ سهمًا من كنانتي . ثم ضع السهم في كبدِ القوس[٤]. ثم قل: باسْمِ اللَّهِ ، رب الغلام . ثم ارمني . فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني . فجمعَ الناسَ في صعيدٍ واحدٍ . وصلبه على جذعٍ . ثمَّ أخذ سهمًا من كنانته . ثمَّ وضع السهمَ في كبدِ القوسِ ثُمَّ قالَ : باسْمِ اللَّهِ ، ربِّ الغلامِ . ثمَّ رماهُ فوقع السهم في صدغه . فوضع يده في صدغه في موضع السهمِ . فماتَ . فقال الناسُ : آمنَّا بربِّ الغلامِ . آمنَّا بربِّ الغلامِ . آمنَّا بربِّ الغلامِ . فأتي الملكُ فقيل لهُ : أرأيْت ما كنتَ تحذرُ ؟ قدْ واللَّه نزل بك حذرك [٥].قدْ آمن الناسُ فأمر بالأخدود[٦] في أفواه السكك[٧] فخدَّتْ . وأضرم النيران. وقال : من لم

---

(١) (قرقور) : القرقور : السفينة الصغيرة . وقيل : الكبيرة . واختار القاضي الصغيرة ، بعد حكايته خلافًا كثيرًا .

(٢) (فانكفأت بهم السفينة) : أي : انقلبت .

(٣) (صعيد) : الصعيد هنا : الأرض البارزة .

(٤) (كبد القوس) : مقبضها عند الرمي .

(٥) (نزل بك حذرك) : أي : ما كنت تحذر وتخاف .

(٦) (بالأخدود) الأخدود : هو الشق العظيم في الأرض ، وجمعه أخاديد .

(٧) (أفواه السكك) : أي : أبواب الطرق .

يرجع عن دينه فأحموه فيها [١]. أو قيل له : اقتحم . ففعلوا حتى جاءت امرأةٌ ومعها صبي لها فتقاعستْ [٢] أن تقع فيها . فقال لها الغلام: يا أمَّه ! اصبري . فإنَّك على الحقِّ» .

فوائد متعلقة بهذا الحديث :

ذكر هذا الحديث في «تتمة أضواء البيان» (٩/ ١٤١) وقال صاحب التتمة ما نصُّه :

وقد سقنا هذه القصة وهي من أمثل ما جاء في هذا المعنى ، والتي يمكن أن يستفاد منها بعض الأحكام حيث إن ابن كثير عزاها للإمام أحمد بن حنبل ومسلم ، أي لصحة سندها مرفوعة إلى النبي ﷺ، من ذلك الآتي :

- الأول : أن السحر بالتعلم ، كما جاء في قصة الملكين ببابل هاروت وماروت يعلمان الناس السحر .
- الثاني : إمكان اجتماع الخير مع الشر إذا كان الشخص جاهلاً بحال الشر كاجتماع الإيمان مع الراهب مع تعلم السحر من الساحر .

---

(١) (فاحموه فيها) هكذا هو في عامة النسخ : فأحموه ، بهمزة قطع بعدها حاء ساكنة . ونقل القاضي اتفاق النسخ على هذا . ووقع في بعض نسخ بلادنا . فاقحموه ، بالقاف . وهذا ظاهر. ومعناه اطرحوه فيها كرهًا . ومعنى الرواية الأولى : ارموه فيها . من قولهم : أحميت الحديدة وغيرها ، إذا أدخلتها النار لتحمى .

(فتقاعست) : أي : توقفت ولزمت موضعها ، وكرهت الدخول في النار .

• الثالث : إجراء خوارق العادات على أيدي دعاة الخير لبيان الحق والتثبت في الأمر ، كما قال الغلام : اليوم أعلم أمر الراهب أحبّ إلى اللَّه أم أمر الساحر ؟

• الرابع : أنه كان أميل بقلبه إلى أمر الراهب ، إذ قال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك ، فسأل عن أمر الراهب ولم يسل عن أمر الساحر .

• الخامس : اعتراف العالم بالفضل لمن هو أفضل منه كاعتراف الراهب للغلام .

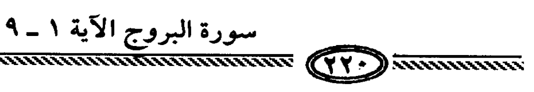
• السادس : ابتلاء الدعاة إلى اللَّه ، ووجوب الصبر على ذلك ، وتفاوت درجات الناس في ذلك .

• السابع : إسناد الفعل كله للَّه ، إنما يشفي اللَّه .

• الثامن : رفض الداعي إلى اللَّه الأجر على عمله وهدايته ﴿ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [الشورى: ٢٣] .

• التاسع : بيان ركن أصيل في قضية التوسل ، وهو أن مبناه على الإيمان باللَّه ، ثم الدعاء وسؤال اللَّه .

• العاشر : غباوة الملك المشرك المغلق قلبه بظلام الشرك حيث ظن في نفسه أنه الذي شفى جليسه ، وهو لم يفعل له شيئًا ، وكيف يكون وهو لا يعلم ؟ .



● الحادي عشر : اللجوء إلى العنف والبطش عند العجز عن الإقناع والإفهام أسلوب الجهلة والجبابرة[1].

● الثاني عشر : منتهى القسوة والغلظة في نشر الإنسان بدون هوادة.

● الثالث عشر : منتهى الصبر وعدم الرجوع عن الدين ، وهكذا كان في الأمم الأولى ، وبيان فضل اللَّه على هذه الأمة إذ جاز لها التلفظ بما يخالف عقيدتها وقلبها مطمئن بالإيمان .

وقد جاء عن الفخر الرازي قوله : الآية تدل على أن المكره على الكفر بالإهلاك العظيم الأولى به أن يصبر على ما خوف منه ، وأن إظهار كلمة الكفر كالرخصة في ذلك ، وقال : وروى الحسن أن

---

(١) ومن ذلك : مناقشة فرعون مع موسى أول الأمر بقوله : ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣ - ٢٩] .

فلما لم يات بحجة على موسى عليه السلام بدأ في التهديد بالسجن .

ولما فشل فرعون فيما أتى به من سحر ، وألقي السحرة سجدًا ، قال فرعون : ﴿آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [الشعراء: ٤٩] .

وهؤلاء قوم نوح لما عجزوا عن إثنائه عن رأيه وأفحمهم بالحجة ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦] .

وكذلك قوم لوط : ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٧] .

مسيلمة أخذ رجلين من أصحاب النبي ﷺ ، فقال لأحدهما : تشهد أني رسول اللّٰه ؟ فقال : نعم ، فتركه ، وقال للآخر مثله ، فقال : لا ، بل أنت كذاب ، فقتله ، فقال النبي ﷺ : **«أما الذي ترك فأخذ بالرخصة فلا تبعة عليه ، وأما الذي قتل فأخذ بالأفضل فهنيئًا له»**[١] .

وتقدم بحث هذه المسألة للشيخ رحمة اللّٰه تعالىٰ علينا وعليه .

● **الرابع عشر** : إجابة دعوة الغلام ونصرة اللّٰه لعباده المؤمنين : اللهم اكفنيهم بما شئت .

● **الخامس عشر** : التضحية بالنفس في سبيل نشر الدعوة حيث دل الغلام الملك علىٰ الطريقة التي يتمكن الغلام بها من إقناع الناس بالإيمان باللّٰه ، ولو كان الوصول لذلك علىٰ حياته هو .

● **السادس عشر** : إبقاء جسمه حتىٰ زمن عمر رضي اللّٰه عنه[٢] إكرامًا لأولياء الله والدعاة من أن تأكل الأرض أجسامهم .

● **السابع عشر** : إثبات دلالة القدرة علىٰ البعث .

● **الثامن عشر** : حياة الشهداء لوجود الدم وعودة اليد مكانها بحركة مقصودة .

● **التاسع عشر** : معرفة تلك القصة عند أهل مكة حيث حُدِّثوا بها

(١) هذا الحديث مرسل، ومواسيل الحسن من أضعف المراسيل.

(٢) ولم نقف على مستند صحيح لذلك.

تخويفًا من عواقب أفعالهم بضعفة المؤمنين كما هو موضح في تمام القصة .

● العشرون : نطق الصبي الرضيع بالحق .

❊ ❊ ❊

س ـ وضح معنى قولـه تعالى : ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ﴾ [البروج: ٤] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : لُعن أصحاب الأخدود الذين ألقوا المؤمنين والمؤمنات في الأخاديد التي أشعلوا فيها النار .

❊ ❊ ❊

س ـ لماذا وصفت النار بأنها ذات الوقود ؟

ج : وصفت تعظيمًا لشأنها وبيان لشدة وقودها وقوته ، كما قال تعالى : ﴿ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [البقرة: ٢٤] .

❊ ❊ ❊

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴾ [البروج: ٦] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : أن الكفار قعود على حافة الأخاديد ينظرون ويشاهدون ما يحدث من عذاب للمؤمنين ويستمتعون بالنظر إليهم وهم يُعذبون .

❊ ❊ ❊

س ـ ما هو الذنب الذي اقترفه أهل الإيمان حتى أُلقي بهم في النار؟

ج : ليس لهم ذنب إلا أنهم آمنوا باللّه العزيز الحميد . كما قال تعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [البروج: ٨] .

وهذا شيء مطرد ، يُعذب أهل الإيمان وليس لهم ذنب إلا الإيمان.

• قال اللّه سبحانه : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ [إبراهيم: ١٣] .

• وقال قوم شعيب لشعيب عليه السلام : ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ...﴾ [الأعراف: ٨٨] .

• وقال سحرة فرعون لفرعون : ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا﴾ [الأعراف: ١٢٦] .

• وقال تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ ...﴾ [المائدة: ٥٩] .

• وقال قول لوط : ﴿ أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [النمل: ٥٦] .

• وقال قوم نوح لنوح عليه السلام : ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦] .

وقال قوم لوط للوط عليه السلام : ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٧] .

وقال ورقة بن نوفل لرسول اللَّه ﷺ [1] : يا ليتني فيها جَذَعًا ليتني أكون حيًّا إذ يُخرجك قومك ، فقال رسول اللَّه ﷺ : « أو مُخرجي هم؟ » قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي . .

❋ ❋ ❋

س ـ اذكر بعض صور الابتلاءات والفتن التي ابتلي بها من كان قبلنا ؟

ج : من ذلك ما يلي :

النشر بالمياشير والتمشيط بأمشاط الحديد .

أخرج البخاري [2] من حديث خباب بن الأرت رضي اللَّه عنه قال: شكونا إلى رسول اللَّه ﷺ ـ وهو مُتوسد بَردة له في ظلِ الكعبة ـ قلنا له : ألا تستنصر لنا ، ألا تدعو اللَّه لنا ؟ قال : **«كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيُجعل فيه فيجاء بالميشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه**

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣) ومسلم (حديث ١٦٠) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها .

(٢) البخاري حديث (٣٦١٢) وأبو داود (٢٦٤٩) .

من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه ، واللَّه ليتمن هذا الأمر[١] حتى يسيرَ الراكبُ من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا اللَّه أو[٢] الذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون» .

● ومن ذلك : الإلقاء في النار والتعذيب النفسي بإلقاء الأولاد في النار أمام أعين آبائهم وأمهاتهم .

فقد أخرج الإمام أحمد رحمه اللَّه بسند صحيح لغيره [٣] من

---

(١)الأمر ، المراد به الإسلام .

(٢)في رواية : والذئب على غنمه .

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٧/ ١٦٧) : «تنبيه : قوله : «والذئب» هو بالنصب عطفًا على المستثنى منه لا المستثنى ، كذا جزم به الكرماني ، ولا يمتنع أن يكون عطفًا على المستثنى ، والتقدير : ولا يخاف إلا الذئب على غنمه ؛ لأن مساق الحديث إنما هو للأمن من عدوان بعض الناس على بعض كما كانوا في الجاهلية ، لا للأمن من عدوان الذئب ، فإن ذلك إنما يكون في آخر الزمان عند نزول عيسى» .

(٣) فله شاهد عند ابن ماجه (٤٠٣٠) من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، عن رسول اللَّه ﷺ ببعض معناه .

● هذا ، وقد ذكر عدد من أهل العلم أن حماد بن سلمة قد سمع من عطاء بن السائب قبل الاختلاط انظر : «الكواكب النيرات في معرفة المختلطين من الرواة الثقات» لابن الكيال . وعلى هذا فلا تعويل على ما ذكره الشيخ ناصر الدين الألباني ـ حفظه اللَّه ـ في «سلسلة الأحاديث الضعيفة » تحت رقم (٨٨٠) جـ ٢ ص ٢٧٣ حيث قال : «وقد علمت مما سبق ـ كذا قال ـ أن حماد بن سلمة سمع منه في اختلاطه أيضًا ولا يمكن تمييز ما سمعه في هذا الحال عن ما سمعه قبلها فلذا يتوقف عن تصحيح روايته عنه» . كذا قال . وقد علمت مما أوردناه أن كثيرًا من أهل العلم ذكروا أن حمادًا سمع من عطاء قبل الاختلاط .

حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «لما كانت الليلة التي أسري بي فيها ، أتت عليَّ رائحة طيبة ، فقلت : يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة ؟ فقال : هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها ، قال : قلت : وما شأنها ؟ قال : بينا هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقطت المدرىٰ من يديها ، فقالت : بسم اللَّه ، فقالت لها ابنة فرعون : أبي ؟! قالت : لا ، ولكن ربي ورب أبيك اللَّه . قالت : أُخبره بذلك ؟ قالت : نعم ، فأخبرته ، فدعاها ، فقال : يا فلانة ، وإن لك ربًّا غيري ؟ قالت : نعم ، ربي وربك اللَّه ، فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ، ثم أمر بها أن تلقي هي وأولادها فيها . قالت له : إن لي إليك حاجة . قال : وما حاجتك ؟ قالت : أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد وتدفننا . قال : ذلك لك علينا من الحق ، قال : فأمر بأولادها فألقوا بين يديها واحدًا واحدًا إلىٰ أن انتهىٰ ذلك إلىٰ صبي لها مرضع، وكأنها تقاعست من أجله . قال : يا أمه ، اقتحمي فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، فاقتحمت» .

● وأُلقي الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام في النار فأنجاه اللَّه منها قال تعالىٰ : ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ﴾ [العنكبوت: ٢٤] .

وقال سبحانه : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩] .

ومن ذلك : الطرد من البلاد ، والإخراج من الدُّور :

قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا**﴾ [إبراهيم: ١٣] .

وذكر سبحانه وتعالى مقولة قوم لوط إذ قالوا : ﴿**أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ**﴾ [النمل: ٥٦] .

وقال سبحانه في شأن قوم شعيب : ﴿**قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا**﴾ [الأعراف: ٨٨] .

وقد أُخْرِجَ النبي ﷺ مع أصحابه من مكة ، قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿**الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ**﴾ [الحج: ٤٠] .

وأخرج الإمام أحمد[١] بإسناد صحيح من حديث عبد اللَّه بن عدي ابن الحمراء رضي اللَّه عنه أنه سمع النبي ﷺ وهو واقف بالحزورة في سوق مكة يقول : «**واللَّه إنك لخير أرض اللَّه ، وأحب أرض اللَّه إلى اللَّه عز وجل ، ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت**» .

ومن ذلك : فتنة أصحاب الأخدود :

وقول اللَّه عز وجل : ﴿**قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ**

---

(١) أحمد «المسند» (٤/ ٣٠٥) والترمذي (٥/ ٧٢٢) وابن ماجة (٣١٠٨) والدارمي (ص ٢٣٩) ، وانظر «المنتخب» لعبد بن حميد بتحقيقي (رقم ٤٩٠) .

الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾ [البروج: ٤ - ١٠] .

أقوال أهل العلم في الآية :

قال الحافظ ابن كثير (٤/ ٤٩٢) : وقوله تعالى : ﴿ **قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ** ﴾ [البروج: ٤] أي: لعن أصحاب الأخدود، وجمعه أخاديد وهي الحفر في الأرض ، وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله عز وجل فقهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم فأبوا عليهم ، فحفروا لهم في الأرض أخدودًا وأججوا فيه نارًا وأعدوا لها وقودًا يسعرونها به ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم فقذفوهم فيها، ولهذا قال تعالى : ﴿ **قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ** ﴾ [البروج: ٤ - ٧] أي : مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين ، قال الله تعالى : ﴿ **وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** ﴾ [البروج: ٨] ، أي: وما كان لهم عندهم من ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز الذي لا يضام من لاذ بجنابه المنيع ، الحميد في جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره ، وإن كان قدر على عباده هؤلاء الذي وقع بهم بأيدي الكفار به فهو العزيز الحميد وإن خفي سبب ذلك على كثير من الناس. ثم قال تعالى:

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البروج: ٩] من تمام الصفة أنه المالك لجميع السموات والأرض وما فيهما وما بينهما ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٩] أي : لا يغيب عنه شيء في جميع السموات والأرض ولا تخفى عليه خافية .

ثم أورد ابن كثير اختلاف المفسرين في أهل هذه القصة ، وهذا الاختلاف في أصحابها لا يضر فالعبرة قائمة على كل حال .

● **وفي «أضواء البيان» (٩/ ١٣٧) :**

قال أبو حيان : وجواب القسم في قوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١] قيل : محذوف ، فقيل : لتبعثن ونحوه ، وقيل : مذكور ، فقيل : إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ونحوه ، وقيل : قتل ، وهذا نختاره ، وحذفت اللام ، أي : لقتل ، وحسن حذفها كما حسن في قوله : ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس: ١] ، ثم قال : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩] أي : لقد أفلح ، ويكون الجواب دليلاً على لعنة اللَّه على من فعل ذلك ، وتنبيهًا لكفار قريش الذين يؤذون المؤمنين ليفتنوهم عن دينهم .

وإذا كان (قتل) هي الجواب فهي جملة خبرية ، وإذا كان الجواب غيرها فهي جملة إنشائية دعاء عليهم .

وقرئ: قتّل بالتشديد، قرأها الحسن وابن مقسم، وقرأها الجمهور بالتخفيف. (والأخدود) جمع خد: وهو الشق في الأرض طويلاً. وقوله: ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ [البروج: ٥] الوقود بالضم وبالفتح، والقراءة بالفتح

كالسحور والوضوء فبالفتح ما توقد به كصبور والماء المتوضأ به والطعام المتسحر به ، وبالضم المصدر ، والفعل الوقود بالضم ما توقد به .

ذكر صاحب «القاموس» ، والنار ذات الوقود بدل من الأخدود . وقيل : معناها عدة أقوال ، حتى قال أبو حيان : كسلت عن نقلها » .

● **ومن ذلك : التجويع والتخويف والتهديد :**

قال اللّه سبحانه : ﴿**هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا**﴾ [المنافقون: ٧] وهذا بالمدينة من فعل أهل النفاق بها ، وقد حُوصر النبي ﷺ بمكة في شعب أبي طالب .

وأخرج أحمد من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول اللّه ﷺ : «**لقد أُوذيتُ في اللّه عز وجل وما يُؤذىٰ أحدٌ ، وأُخفتُ في اللّه وما يخافُ أحد ، ولقد أتَتْ عليَّ ثلاثةٌ من بين يومٍ وليلةٍ ومالي ولعيالي طعام يأكُلُهُ ذُو كبدٍ ، إلا ما يُواري إبطُ بلال**» .

● **ومن ذلك : إذلال العباد وذبح أبنائهم واستحياء نسائهم :**

● قال اللّه سبحانه : ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [القصص: ٤] .

وثمَّ أنواع وصُور أخر من الفتن والابتلاءات قدمناها في مواطنها .

* * *

س ـ وضح وجه ختام الآية بصفتي العزيز الحميد في قوله تعالى :

﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [البروج: ٨] ؟

ج : أما الختام بصفة العزيز فلبيان أنه سبحانه قادر على الانتقام ممن ظلم أولياءه المؤمنين إذ هو عزيز لا يغالب ، وإنما أمهل اللَّه سبحانه أهل الظلم استدراجًا لهم من حيث لا يعلمون واتخاذ شهداء من عباده المؤمنين كما قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٤، ٥] ، وكما قال تعالى : ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ... ﴾ [آل عمران: ١٤١] .

أما ختام الآية بالحميد فإشارة إلى أن اللَّه سبحانه يحمد للمؤمنين أفعالهم ويحمد لهم ثباتهم ، وإشارة أيضًا إلى الكفار كي لا ييأسوا من سعة رحمته سبحانه وتعالى كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ﴾ [البروج: ١٠] فقد أعطاهم المهلة وهذا من صفة الحميد سبحانه وتعالى .

* * *

س - اذكر بعض الأمثلة للمدح الذي يأتي بما يشبه الذم ؟

ج : من ذلك : قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [البروج: ٨] .

ولذلك أيضًا شواهد من أقوال الشعراء .

منها قول الشاعر :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ∴ لهن فُلول من قراع الكتائب

وقول الآخر :

مـا نقمــوا من بني أميــة إلا ∴ أنهــم يحلمـون إن غضبــوا

وقول الثالث :

ولا عيب فيها غير شكلة عينها ∴ كذاك عناق الطير شكلاً عيونها

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴿٢٢﴾﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

فتنوا المؤمنين والمؤمنات ـ بطش ـ يُبدئ ـ الودود ـ المجيد ؟

ج :

الكلمة	معناهــا
فتنوا المؤمنين والمؤمنات	ابتلوا المؤمنين والمؤمنات بأن عذبوهم بالنار ليصرفوهم عن دينهم ـ عذّبوا ـ حرّقوا
بطــــــــش	انتقام ـ الأخذ بالعذاب بشدة وعنف [1] ـ

(١) كما قال تعالى : ﴿إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] .

الكلمة	معناهـــا
يُبـــــدئ	يبتدئ
الـــودود	ذو المحبة للتائبين والمطيعين
المجيـــد	الكريم

* * *

س ـ باب التوبة مفتوح لكل من أسرف على نفسه ولكل من أذى العباد وقتل منهم وشرد ، اذكر بعض الأدلة على ذلك ؟

ج : من هذه الأدلة ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠] فمفهوم الآية الكريمة أنهم إذا تابوا لم يُعذبوا (١).

● وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾

---

(١) قال الرازي في تفسيره : قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ [البروج: ١٠] يدل على أنهم لو تابوا لخرجوا عن هذا الوعيد ، وذلك يدل على القطع بأن الله تعالى يقبل التوبة ، ويدل على أن توبة القاتل عمدًا مقبولة خلاف ما يروى عن ابن عباس .

● ونقل الحافظ ابن كثير رحمه الله عن الحسن البصري قوله : انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة .

يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧١] .

● وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ ﴾ [الزمر: ٥٣، ٥٤] .

● وقوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ [مريم: ٥٩، ٦٠] .

● وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٣، ٣٤] .

● وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ٤، ٥] ففتح لهم باب التوبة بقوله : والله غفور رحيم .

• وحديث قاتل التسعة والتسعين نفسًا [١] وفيه : «كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُل على راهب فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا فهل له من توبة ؟ فقال : لا . فقتله فكمل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة ! انطلق إلى أرض كذا وكذا ..» الحديث وفيه : «فغفر له» .

• وأخرج البخاري ومسلم [٢] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : سمعت النبي ﷺ قال : «إن عبدًا أصابَ ذنبًا ـ وربما قال : أذنب ذنبًا ـ فقال: ربِّ أذنبتُ ذنبًا ـ وربما قال أصبت ـ فاغفر فقال ربُّه : أعلمَ عبدي أنَّ له ربًّا يغفرُ الذَّنبَ ويأخُذُ به ؟ [٣] غفرتُ لعبدي . ثم مكث ما شاء اللَّه ، ثم أصاب ذنبًا ـ أو أذنب ذنبًا ـ فقال : رب أذنبتُ ـ أو أصبتُ ـ آخرَ فاغفره فقال: أعلمَ عبدي أن له ربًّا يغفرُ الذَّنب ويأخذُ به ؟ غفرتُ لعبدي ثم مكث ما شاء اللَّه ثم أذنب ذنبًا ـ وربما قال : أصاب ذنبًا ـ فقال: رب أصبت ـ أو أذنبت ـ آخر فاغفره لي فقال : أعلمَ عبدي أن له ربًّا يغفرُ الذَّنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدي ثلاثًا فليعمل ما شاء»[٤] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٧٠) ومسلم (٢٧٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه مرفوعًا ، وقد تقدم في البقرة (٢/٣٨٨) .

(٢) البخاري حديث (٧٥٠٧) ومسلم (٢٧٥٨) .

(٣) يأخذ به : أي : يعاقب به .

(٤) قال الحافظ في «الفتح» (١٣/٤٧٢) : معناه ما دمت تذنب فتتوب غفرت لك .

قلت : وليس هذا فيمن يجاهر ربه بالمعاصي ويقول : سيغفر لي ، بل في حق التائب الوجل الخائف من ربه .

● وقد ورد في هذا الباب جملة أحاديث أخر منها حديث أبي أيوب الأنصاري رضي اللَّه عنه قال سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « **لولا أنكم تذنبون لخلق اللَّه خلقًا يذنبون فيغفر لهم** » أخرجه مسلم (١) ونحوه عنده مسلم أيضًا (٢) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .

● وأخرجه مسلم أيضًا (٣) من حديث أبي موسى رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : «**إن اللَّه عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**» .

● وأخرج البخاري ومسلم(٤) من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : «**اللَّه أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة** » ، وفي لفظ لمسلم: «**اللَّه أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته ، فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك . أخطأ من شدة الفرح**» . ونحوه عند مسلم أيضًا من حديث البراء بن عازب رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

---

(١) مسلم (حديث ٢٧٤٨) .
(٢) مسلم (حديث ٢٧٤٩) .
(٣) مسلم (حديث ٢٧٥٩) .
(٤) البخاري (حديث ٦٣٠٩) ومسلم (٢٧٤٧) .

ونحوه عند البخاري ومسلم[١] من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه وعند مسلم[٢] من حديث النعمان بن بشير وله طرق أخرى عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم .

وفي «الصحيحين» ـ وسيأتي تخريجه في هذا الكتاب ـ قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : «**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل فيقول : هل من مستغفر فأغفر له ...**» الحديث .

● وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح[٣] من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : «**إن إبليس قال لربه : بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم ، فقال اللَّه : فبعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني**» .

* * *

س ـ وضح المراد بعذاب جهنم وعذاب الحريق المذكورين في قوله تعالى : ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠] ؟

ج : ذهب جمهور العلماء إلى أن عذاب جهنم وعذاب الحريق كلاهما في الآخرة ، وعذاب جهنم حل بالكفار لكفرهم ، وعذاب الحريق حلَّ بهم لتحريقهم المؤمنين والمؤمنات، فهناك عذاب للكفر (وهو عذاب جهنم) وعذاب على إيذاء العباد (وهو عذاب الحريق) ، كما قال تعالى : **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ**

(١) البخاري (حديث ٦٣٠٨) ومسلم (٢٧٤٤) .
(٢) مسلم (حديث ٢٧٤٥) .
(٣) «المسند» (٣/ ٢٩) .

بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل:٨٨] فهناك عذاب للكفر ، وعذاب للصد عن سبيل اللَّه ، وكما قال تعالىٰ : ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾** [العنكبوت: ١٢، ١٣] .

● **وقال بعض العلماء** : وقيل : إن الحريق اسم من أسماء النار كالسعير ، وقيل : إنهم يعذبون في جهنم بالزمهرير ، ثم يعذبون بعذاب الحريق ، فالأول عذاب ببردها ، والثاني عذاب بحرِّها .

● بينما ذهب فريق من العلماء إلىٰ أن عذاب جهنم في الآخرة وعذاب الحريق إنما حلَّ بهؤلاء الكفار في الدنيا ، وذلك أنهم ـ علىٰ حد قول أصحاب هذا الرأي ـ بعد أن حرقوا المؤمنين والمؤمنات في النار التي أوقدوها وأشعلوها في الأخاديد تطايرت النار إليهم (أي : إلىٰ هؤلاء االكفار الذين كانوا قعودًا يستمتعون بلذة النظر إلىٰ المؤمنين وهم يعذبون) فأحرقتهم ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ المكره علىٰ التلفظ بكلمة الكفر هل الأولىٰ له أن يصبر ولو أدىٰ الصبر إلىٰ القتل أم الأولىٰ أن يتكلم بكلمة الكفر ؟

ج : من العلماء من قال : إن الصبر أولىٰ وإن أدىٰ بالشخص إلىٰ القتل، وذلك لأن أهل الإيمان من المؤمنين والمؤمنات صبروا حتىٰ أُلقوا

في النار ولكن يبقى واردًا على هذا القول سؤال وهو هل كان مرخصًا لمن قبلنا في التلفظ بكلمة الكفر عند الإكراه أم أن هذا خاص بأمة محمد ﷺ أعني قوله: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦] .

وعلى كل فمن العلماء من قال أيضًا : إن الصبر أولى لأن بلالاً صبر ولم يطاوعهم . وإن كان التلفظ بكلمة الكفر عند الإكراه جائزا ، والله أعلم .

* * *

س ـ ما المراد من الخبر في قوله تعالى : ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢] ؟

ج :هو بمثابة التسلية لرسول الله ﷺ وللمؤمنين ، وكذلك فهو تحذير لأهل الكفر والعناد والفساد . والله أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج: ١٣] ؟

ج **الجمهور من العلماء** على أن معنى ﴿يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ هو أن الله سبحانه وتعالى يخلق الخلق في الدنيا ثم يُعيدهم أحياء بعد الموت .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] .

وقال سبحانه : ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [يونس: ٣٤] .

وقال سبحانه : ﴿ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ [العنكبوت: ١٩] .

● ومن العلماء من قال في قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج: ١٣] : أي : يبدأ العذاب ثم يكرره عليهم ، وفي هذا وجهان :

الأول : أن ذلك في الآخرة ، كما قال تعالى : ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦] ، وكما قال عليه الصلاة والسلام : «**ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس**»[1] .

الثاني : أنهم يعذبون في الدنيا ثم يكرر عليهم العذاب في الآخرة وهذا اختيار الطبري رحمه اللَّه ، **فقال الطبري رحمه اللَّه** : وأولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب وأشبههما بظاهر ما دل عليه التنزيل القول الذي ذكرناه عن ابن عباس[2]، وهو أنه يُبدئ العذاب أهل الكفر به ويعيد ، كما قال جل ثناؤه : ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠] في الدنيا فأبدأ ذلك لهم في الدنيا وهو يعيده لهم في الآخرة .

وإنما قلت : هذا أولى التأويلين بالصواب لأن اللَّه أتبع ذلك قوله : ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢] ، فكان للبيان عن معنى شدة بطشه

---

(١) اخرجه مسلم (حديث ٩٩٠) من حديث ابي ذر رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

(٢) قلت : الأثر الذي ذكره عن ابن عباس إسناد واهٍ .

الذي قد ذكره قبله أشبه به بالبيان عما لم يجر له ذكر ، ومما يؤيد ما قلنا من ذلك وضوحًا وصحة قوله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج:١٤] فبين ذلك عن أن الذي قبله من ذكره خبره عن عذابه وشده عقابه .

* * *

س ـ قوله تعالىٰ : ﴿الْمَجِيدُ﴾ هل هي صفة للَّه سبحانه أم صفة للعرش ، وذلك في قوله تعالىٰ : ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥] ؟

ج : من العلماء من ضبط المجيد بالرفع على أنها صفة للَّه سبحانه وتعالىٰ ، كما قال تعالىٰ : ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣] ، ومن العلماء من ضبطها بالكسر علىٰ أنها صفة للعرش ، وهما قراءتان معروفتان فبأيهما قرأ القارئ فمصيب .

* * *

س ـ من هم الجنود المذكورين في قوله تعالىٰ : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ [البروج: ١٧] ؟

ج : هم فرعون وثمود ، والمراد بفرعون : هو وجنوده ، والمراد بثمود : قوم صالح المعروفون ، والمراد بحديثهم : ما وقع منهم من كفرٍ وعناد وضلال وظلمٍ وما وقع بهم من العذاب والنكال .

* * *

س ـ لماذا مُثل بفرعون وثمود دون غيرهما في هذا المقام ؟

ج : قال عطية سالم رحمه اللَّه في «تتمته لأضواء البيان» : قوله

تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴾ [البروج: ١٧، ١٨].

بعد عرض قصة أصحاب الأخدود تسلية للمؤمنين وتثبيتًا لهم ، وزجرًا للمشركين وردعًا لهم ، جاء بأخبار لبعض من سبق من الأمم وفرعون وثمود بدل من الجنود ، وهم جمع جند ، وهم الكثرة وأصحاب القوة ، وحديثه ما قص اللَّه من خبره مع موسىٰ وبني إسرائيل.

وفي اختيار فرعون هنا بعد أصحاب الأخدود لما بينهما من المشاكلة والمشابهة ، إذ فرعون طغىٰ وادَّعىٰ الربوبية ، كملك أصحاب الأخدود الذي قال لجليسه : ألك رب غيري ؟ ولتعذيبه بني إسرائيل بتقتيل الأولاد واستحياء النساء ، وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم ، ولتقديم الآيات والبراهين علىٰ صدق الداعية ، إذ موسى عليه السلام قدَّم لفرعون من آيات ربه الكبرىٰ فكذَّب وعصىٰ ، والغلام قدَّم لهذا الملك الآيات الكبرىٰ : إبراء الأكمه والأبرص بإذن اللَّه ، وعجز فرعون عن موسىٰ وإدراكه ، وعجز الملك عن قتل الغلام إذ نجاه اللَّه من الإغراق والدهدهة من قمة الجبل ، فكان لهذا أن يرعوي عن ذلك ويتفطن للحقيقة ، ولكن سلطانه أعماه كما أعمىٰ فرعون .

وكذلك آمن السحرة لما رأوا آية موسىٰ وخروا للَّه سجدًا .

وهكذا هنا آمن الناس برب الغلام ، فوقع الملك فيما وقع فيه فرعون . إذ جمع فرعون السحرة ليشهد الناس عجز موسىٰ وقدرته ، فانقلب الموقف عليه ، وكان أول الناس إيمانًا هم أعوان فرعون علىٰ

موسى ، وهكذا هنا كان أسرع الناس إيمانًا الذي جمعهم الملك ليشهدوا قتله للغلام .

فظهر تناسب ذكر فرعون دون غيره من الأمم الطاغية السابقة ، وإن كان في الكل عظة وعبرة ، ولكن هذا منتهى الإعجاز في قصص القرآن وأسلوبه ، والله تعالى أعلم .

وكذلك ثمود لما كان منهم من مظاهر القوة والطغيان ، وقد جمعهما الله أيضًا معًا في سورة الفجر في قوله : ﴿**وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ**﴾ [الفجر: ٩، ١٠] ، وهكذا جمعهما هنا ﴿**فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ**﴾ [البروج: ١٨] .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ [البروج: ١٩] **؟ وما وجه الاستفادة للرسول ﷺ من إطلاعه على حديث الجنود ؟**

ج : المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ : ولا يظن ظان أن هؤلاء الكفار لم يأتهم حديث الجنود وما أحله الله بهؤلاء الجنود من العذاب ، وما أنزل بهم من النكال ، بل قد جاءتهم أخبار الجنود وغير الجنود أيضًا ، كما قال تعالى : ﴿**وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾ [الصافات: ١٣٧، ١٣٨] ، وكما قال تعالى : ﴿**وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ**﴾ [الحجر: ٧٩] : أي : بطريق واضح للمارة الذين يمرون عليه ،

فقد جاءت هذه الأخبار وبلغت الذين كفروا ، ولكنهم مع ذلك كله في تكذيب مستمر وعناد دائم ومخالفة ظاهرة ، كما قال تعالى: ﴿ **بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ** ﴾ [الانشقاق: ٢٢] ، وكما قال تعالى : ﴿ **بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ** ﴾ [ص: ٢] ، فهذا شأنهم وذاك دينهم منذ زمن بعيد .

● **ووجه الاستفادة لرسول الله ﷺ من حديث الجنود أن فيه** تسلية لرسول الله ﷺ وجهها أن يُقال : فإن كنت يا محمد قد كذبت من هؤلاء الكفار ، فهذا شأن الكفار مع غيرك أيضًا فهم في تكذيب دائم للرسل : ﴿ **وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا** ﴾ [الأنعام: ٣٤] ، والأمر الذي يلزمك إذن أن تصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، والله أعلم .

❊ ❊ ❊

س ـ وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴾ [البروج: ٢٠] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : والله من ورائهم محيط بأعمالهم محصي لها لا يخفى عليه منها شيء وهو مجازيهم على جميعها ، وهذا قول الطبري رحمه الله .

الثاني : أن المراد أن الله سبحانه وتعالى قادر عليهم قاهر لا يفوتونه ولا يُعجزونه ؛ وهذا قول ابن كثير رحمه الله .

الثالث والله من ورائهم محيط ، أي : أنه سبحانه مهلكهم ومعذبهم ، كما قال تعالى : ﴿**وأُحيطَ بِثَمَرِهِ فأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا**﴾ [الكهف: ٤٢] ، والله أعلم .

❊ ❊ ❊

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿**بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ**﴾ [البروج: ٢١] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : أن القرآن الذي تتلوه يا محمد ليس بشعر ولابسجع ولا بكهانة كما وصفوا وزعموا بل هو قرآن مجيد، أي: كريم ، كما قال تعالى : ﴿**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ...**﴾ [الواقعة: ٧٧، ٧٨] ، والله أعلم .

❊ ❊ ❊

س ـ في قوله تعالى : ﴿**فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ**﴾ [البروج: ٢٢] محفوظ من ماذا ؟ وما المراد باللوح ؟

ج : أما اللوح فمن العلماء من قال : هو أم الكتاب ، كما قال تعالى : ﴿**وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾ [الزخرف: ٤] ، ومنهم من قال : إنه الكتاب المكنون ، لقوله تعالى : ﴿**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ**﴾ [الواقعة: ٧٧، ٧٨] ، وهو راجع إلى الأول أما كونه محفوظ ، فمحفوظ من الزيادة والنقصان .

وقيل : محفوظ ، أي : مثبت في اللوح .

وقيل : محفوظ من الشياطين ، كما قال تعالى : ﴿**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ**

مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢] .

● وقيل : محفوظ في جبهة إسرافيل ، وقد ورد في ذلك أثر عن أنس رضي اللَّه عنه عند الطبري . واللَّه أعلم .



سُورَةُ الطَّارِقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

س ـ اذكر معنى كل مما يلي : ـ

الطارق ـ الثاقب ـ لما عليها ـ دافق ـ الصلب ـ الترائب ـ تبلى السرائر ـ الرجع ـ الصدع ـ فصل ـ بالهزل ـ يكيدون كيدًا ـ أمهلهم ـ رويدًا ؟

ج :

الكلمة	معناهـا
الطـــارق	النجم [(١)]

(١) هذا هو المراد بالطارق هنا ، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾ =

الكلمة	معناهــا
الثاقــب	المضيء [١]
لَمَّا عليها	إلا وعليها
دافــق	مدفوق (أي : مصبوب في الرحم)
الصلـب	المراد صلب الرجل وهو فقرات الظهر (ويسميه الناس سلسلة الظهر)
الترائــب	صدر المرأة ، وقيل موضع القلادة من صدرها [٢]

= [الطارق: ٢ - ٣] والغالب في إطلاق الطارق أنه يطلق على الآتي ليلاً ، وأطلق على النجم أنه طارق لأنه يطرق السماء ليلاً (أي : يظهر فيها ليلاً) ، ومن ذلك : قول النبي ﷺ الذي أخرجه البخاري (٥٢٤٤) من حديث جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلاً» .

أما ما ورد عن رسول الله ﷺ وفيه : «أعوذ بك من طوارق الليل والنهار إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن» فهو من باب المجاز عند فريق من أهل العلم .

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٩/ ٣٤٠) : قال أهل اللغة : الطروق بالضم المجيء بالليل من سفرٍ أو من غيره على غفلة ، ويقال لكل آتٍ بالليل : طارق ، ولا يقال بالنهار إلا مجازًا. . . ثم قال : وسُمي الآتي بالليل طارقًا لأنه يحتاج غالبًا إلى دق الباب ، وقيل : أصل الطروق السكون ، ومنه : أطرق رأسه ، فلما كان الليل يسكن فيه سمي الآتي فيه طارقًا .

● وهل المراد بالنجم نجم واحد معلوم أم جنس النجوم التي تظهر في السماء ليلاً ، للعلماء في ذلك قولان .

(١) قال بعض أهل العلم : وأطلق عليه الثاقب لأنه يثقب ظلمة الليل فينفذ فيها ، وقيل : لأنه يثقب الشياطين إذا أُرسل عليها .

(٢) قال ابن القيم رحمه الله («التفسير القيم» ص ٥١٠) :

قال الزجاج : قال أهل اللغة أجمعون: التربة، موقع القلادة من الصدر، والجمع : ترائب. =

الكلمة	معناهــا
تبلى السرائر	تظهر الأمور التي كان صاحبها يُسر بها في الدنيا ، وتبدو واضحة فيعلن السر ويشتهر المكنون
الرجـــع	السحاب فيه المطر ـ المطر وذلك لأن السماء كل عام تأتي بالسحاب فيه ، والمراد بالرجع الرجوع ، والمعني بالرجوع : رجوع السماء كل عام بالسحاب فيه المطر
الصـــدع	التشقق ، والمعنى : أن الأرض تتشقق بالنبات
فصـــل	حق
بالهـــزل	الهزل اللعب واللهو والباطل

= وقال أبو عبيدة : الترائب معلق الحلق من الصدر ، وهو قول جميع أهل اللغة ، وقال عطاء عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما : يريد صلب الرجل وترائب المرأة . وهو موضع قلادتها ، وهو قول الكلبي ومقاتل وسفيان وجمهور أهل التفسير وهو المطابق لهذه الأحاديث ، وبذلك أجرى اللَّه العادة في إيجاد ما يوجده من أصلين ، كالحيوان والنبات وغيرهما من المخلوقات. فالحيوان ينعقد من ماء الذكر وماء الأنثى ، كما ينعقد النبات من الماء والتراب والهواء . ولهذا قال تعالى : ﴿بَدِيعُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١] ، فإن الولد لا يكون إلا من بين الذكر وصاحبته .
ولا ينقض هذا بآدم وحواء أبوينا ، ولا بالمسيح ، فإن اللَّه سبحانه خلط تراب آدم بالماء حتى صار طينًا ، ثم أرسل اللَّه الهواء والشمس عليه حتى صار كالفخار ، ثم نفخ فيه الروح ، وكانت حواء مُستَلة منه ، وجزءًا من أجزائه . والمسيح خلق من ماء مريم ، ونفخ الملك . فكانت النفخة له كالأب لغيره .

الكلمة	معناها
يكيدون كيدا	يمكرون مكرًا
أمهلهم	أنظرهم واصبر عليهم
رويدًا	قليلاً

* * *

س ـ لماذا أقسم اللَّه سبحانه وتعالى بالسماء والطارق ؟

ج : أقسم بهما سبحانه ـ والعلم عند اللَّه ـ لِكِبَرِ حجمهما وعِظَم أمرهما .

* * *

س ـ هل هناك فرق بين قوله تعالى : ﴿وما أدراك﴾ ، وبين قوله تعالى : ﴿ومايدريك﴾ ؟

ج : نقل القرطبي عن سفيان قوله: كل ما في القرآن «وما أدراك» فقد أخبره به ، وكل شيء قال فيه : «وما يدريك» لم يخبره به .

ونقل عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» هذا الكلام ثم قال : والواقع أنه الغالب ، فقد جاءت : وما أدراك ثلاث عشرة مرة ، كلها أخبره بها إلا واحدة ، وهي في الحاقة ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة : ٣] وما عداها ، فقد أخبره بها ؛ وهي : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لا تُبْقِي

وَلا تَذَرُ ﴾ [المدثر: ٢٧، ٢٨] .

وفي المرسلات : ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ** ﴾ [المرسلات: ١٤] .

وفي الانفطار : ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا** ﴾ [الانفطار: ١٧ - ١٩] .

وفي المطففين : ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ** ﴾ [المطففين: ٨، ٩] .

وفي البلد : ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ** ﴾ [البلد: ١٢، ١٣].

وفي القدر : ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ** ﴾ [القدر: ٢، ٣] .

وفي القارعة : ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ** ﴾ [القارعة: ٣] .

وأيضًا : ﴿ **فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ** ﴾ [القارعة: ٩ - ١١] .

وفي هذه السورة : ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ** ﴾ [الطارق: ٢، ٣] ، فكلها أخبره عنها إلا في الحاقة .

وقال رحمه اللَّه أيضًا :

تنبيـــه :

يلاحظ أنها كلها في قصار السور من الحاقة وما بعدها ، أما ما يدريك ، فقد جاءت ثلاث مرات فقط : ﴿ **وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ**

قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣] ، ﴿**وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ**﴾ [الشورى: ١٧] ، ﴿**وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ**﴾ [عبس: ٣] ، فلم يخبره فيها صراحة، إلا أنه في الثالثة قد يكون أخبره لأنه قال : ﴿**لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ**﴾ فهو وإن لم يصرح هل هو تزكى أم لا ، إلا أن لعل من اللَّه تعالى للتحقيق ، كما هو معلوم.

* * *

س – ما المراد بالحافظ في قوله تعالى : ﴿**إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ**﴾ [الطارق: ٤] ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك أقوال :**

أحدها : أن الحافظ هو اللَّه سبحانه وتعالى .

الثاني : أن الحافظ ملك من الملائكة ، ولأهل العلم في ذلك أيضًا قولان :

أولهما : أن هذا الحافظ ملك يحفظ على العباد أعمالهم ويسجلها عليهم ويكتبها لهم ، كما قال تعالى : ﴿**مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ [ق: ١٨] .

ثانيهما : أن الحافظ ملائكة يحفظونه من أمر اللَّه كما قال تعالى : ﴿**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**﴾ [الرعد: ١١] .

وهم أيضًا يحفظون على العبد عمله ورزقه وأجله فإذا استوفاه قُبض، واللَّه تعالى أعلم .

* * *

س ـ من المراد بالإنسان في قوله تعالىٰ : ﴿فلينظر الإنسان مم خلق﴾ [الطارق: ٥] ولماذا وجه إليه الأمر بالنظر إلىٰ أصل خلقة ؟

ج : من العلماء من قال : إن المراد بالإنسان : الإنسان الكافر ، ووجه الأمر إليه بالنظر في خلقه ليتعرف علىٰ قدرة اللَّه سبحانه وتعالىٰ في الخلق والبعث والإحياء .

● ومن العلماء من قال : إن المراد بالإنسان عموم بني آدم .

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه : وقوله تعالىٰ : ﴿**فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ**﴾ [الطارق: ٥] تنبيه للإنسان علىٰ ضعف أصله الذي خلق منه ، وإرشاد له إلىٰ الاعتراف بالمعاد ، لأن من قدر علىٰ البداءة فهو قادر علىٰ الإعادة بطريق الأولىٰ ، كما قال تعالىٰ : ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ**﴾ [الروم: ٢٧] .

* * *

س ـ الضمير في قوله تعالىٰ : ﴿رَجْعِهِ﴾ راجع إلىٰ ماذا ؟

ج : الجمهور[1] من العلماء علىٰ أن المراد بقوله : ﴿**إِنَّهُ عَلَىٰ**

---

(١) **قال الشيخ محمد عطية سالم في تتمته «لأضواء البيان» :**

قوله تعالىٰ : ﴿**إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ**﴾ [الطارق: ٨] .

إنه هنا أي : إن اللَّه علىٰ رجعه ، الضمير فيه ، قيل : راجع للماء الدافق ، أي : أنه سبحانه قادر علىٰ رجع هذا الماء من حيث خرج ، كرد اللبن إلىٰ الضرع مثلاً ، ورد الطفل إلىٰ الرحم ، وهذا مروي عن عكرمة ومجاهد .

وقيل : علىٰ رجع الإنسان بعد الموت ، وهذا وإن كان في الأول دلالة علىٰ القدرة ، ولا يقدر عليه إلا اللَّه ، إلا أن في السياق ما يدل علىٰ أن المراد ، هو الثاني لعدة أمور : =

رَجْعِهِ﴾ [الطارق: ٨] أن اللَّه سبحانه وتعالى قادر على إرجاع الإنسان حيًّا بعد إماتته ، بدليل قوله تعالى : **﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾** [الطارق: ٩] .

● ومن العلماء من قال : الضمير راجع إلى الإنسان أيضًا لكن المراد : إرجاعه من حال الكبر إلى الشباب ، ومن حال الشباب إلى حال ، الصبا ، ومن حال الصبا إلى النطفة .

● ومن أهل العلم من قال : إن الضمير راجع إلى المني (الماء الدافق) والمعنى : أن اللَّه عز وجل قادر على إرجاع المني إلى الإحليل

= **الأول** : أن رد الماء لم يتعلق به حكم ولا أمر آخر سوى إثبات القدرة بخلاف رجع الإنسان بعد الموت ، فهو قضية الإيمان بالبعث ، ويتعلق به أحكام يوم القيامة .

الثاني : مجيء القرآن بالخلق الأول ، دليل على الإعادة بعد الموت ، كقوله تعالى في يس : **﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾** - أي : من ماء دافق - **﴿قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾** [يس: ٧٨، ٧٩] ، أي : من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب .

الثالث : أن الأول يحتاج معه إلى تقدير عامل ليوم تبلى السرائر ، نحو اذكر مثلاً ، بخلاف الثاني ، فإن العامل فيه : هو لقادر ، أي : لقادر على رجعه يوم تبلى السرائر .

ونقل أبو حيان عن ابن عطية قوله : وكل من خالف ذلك إنما فر من أن يكون (لقادر) هو العامل في الظرف ، لأنه يوهم أن قدرته على رجعه مقيدة بذلك .

ولكن بتأمل أسلوب العرب يعلم جوازه ، لأنه قال : إنه على رجعه لقادر على الإطلاق أولا وآخرًا ، وفي كل وقت ثم ذكر تعالى : وخصص من الأوقات الوقت الأهم على الكفار ، لأنه وقت الجزاء والوصول إلى العذاب للتحذير منه اهـ .

فظهر بذلك أن الضمير في رجعه عائد للإنسان أي: بعد موته بالبعث ، وأن العامل هو لقادر.

وقال الطبري رحمه اللَّه : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك أن اللَّه على ردِّ الإنسان المخلوق من ماء دافق من بعد مماته حيًّا كهيئته قبل مماته لقادر ، وإنما قلت هذا أولى الأقوال في ذلك بالصواب لقوله : **﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾** [الطارق: ٩] فكان في =

(الذكر) وقادر على إرجاعه إلى الصلب والترائب أيضًا .

ويشهد لهذا القول ما تقدمته من آيات .

***

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٩] ؟

ج : تقدم شيء من ذلك **وقال الطبري رحمه الله :**

وعنى بقوله : ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ يوم تختبر سرائر العباد فيظهر منها يومئذٍ ما كان في الدنيا مستخفيًا عن أعين العباد من الفرائض التي كان اللَّه ألزمه إياها وكلفه العمل بها .

قلت: ومن العلماء من قال: السرائر هي ما في القلوب يجزي اللَّه بها العباد ، ومنهم من قال : من السرائر الصيام والصلاة والوضوء والحيض والنفاس ونحو ذلك ، فإذا أظهر الشخص شيئًا وأسرّ غيره أو على العكس من ذلك ظهر ذلك يوم القيامة ، ويظهر على الوجوه زينًا في الوجوه إن كان خيرًا ، وشينًا في الوجوه إن كان شرًّا ، واللَّه أعلم .

***

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: ١٠] ؟

= اتباعه قوله إنه على رجعه لقادر نبأ من أنباء القيامة دلالة على أن السابق قبلها أيضًا منه ، ومنه : ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٩] يقول تعالى ذكره : إنه على إحيائه بعد مماته يوم تبلى السرائر لقادر .

ج : المعنى - والله أعلم - : ليس له قوة في نفسه يمتنع بها من عذاب الله عز وجل وأليم عقابه ، ولا ناصر ينصره .

● **قال القاسمي في «محاسن التأويل»** : يعني أنه فقد ما كان يعهده في الدنيا إذ يرجع إلى قوة بنفسه أو بعشيرته يمتنع بهم ممن أراده بسوء . وناصر حليف ينصره على من ظلمه واضطهده ، ولم يبق له إلا انتظار الجزاء على ما تقدم .

* * *

س - وضح المراد بكيد الكفار للمسلمين وكيد الله عز وجل لهم ؟

ج : **من ذلك** : ما ذكره عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» حيث قال : وهكذا الكيد هنا ، أنهم يكيدون للإسلام والمسلمين يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله يكيد لهم بالاستدراج حتى يأتي موعد إهلاكهم ، وقد وقع تحقيقه في بدر ، إذ خرجوا محادة لله ولرسوله ، وفي خيلائهم ومفاخرتهم وكيد الله لهم أن قلل المؤمنين في أعينهم ، حتى طمعوا في القتال ، وأمطر أرض المعركة ، وهم في أرض سبخة ، والمسلمون في أرض رملية فكان زلقًا عليهم وثباتًا للمؤمنين ، ثم أنزل ملائكته لقتالهم . والله تعالى أعلم .

قلت : ومن ذلك كيدهم بإلقاء الشبهات والشكوك وإنكار الحقائق كقولهم : ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩] ، وقولهم : ﴿مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨] ، وطعنهم في رسول الله ﷺ بقولهم : ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً

وأصيلاً ﴾ [الفرقان: ٥] ، ووصفهم لرسول اللَّه ﷺ بأنه شاعر وكاهن ومجنون ، وتآمرهم على رسول اللَّه ﷺ لقتله ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠] .

● ومن كيد اللَّه لهم : أن اللَّه يمهلهم ليزدادوا إثمًا ثم يأخذهم بشدة ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢] ، وهو سبحانه يخادعهم كما قال : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ [النساء: ١٤٢] ونحو ذلك .



سُورَةُ الأَعْلَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

سبِّح ـ سوَّىٰ ـ المرعىٰ ـ غثاءً ـ أحوىٰ ـ نيسرك لليسرىٰ ـ فذكِّر ـ سيذكَّر ؟

ج :

الكلمة	معناهـا
سبِّـح	عظِّم ـ نزِّه ـ مجِّد
سـوَّىٰ	سوَّىٰ الخلق وعدله[1]

(١) قال عطية سالم في « تتمته لأضواء البيان » (٩/١٧٦) : والتسوية التقويم والتعديل ، وقد =

الكلمة	معناهــا
المرعــــى	النبات الذي تأكل منه الأنعام
غثـــــاءً	هو ما جفَّ من النبات ويَبُس فطارت به الريح
أحــــوى	أحوى من الحوَّة وهي السواد بعد البياض وبعد الأخضرار من شدة اليبس
نيسرك لليسرى	نسهلك لعمل الخير
فذكــــر	فعظ
سيذكــــر	سيتعظ ويعتبر

＊ ＊ ＊

خلق الله كل مخلوق مستوٍ على أحسن ما يتناسب لخلقته وما خلق له فخلق السموات فسواها في أقوى بناء ، وأعلى سمك ، وأشد تماسك ، لا نرى فيها من تشقق ولا فطور ، وزيَّنها بالنجوم ، وخلق الأرض ودحاها ، وأخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبال أرساها وجعلها فراشًا ومهادًا ، وخلق الأشجار فسوَّاها على ما تصلح له من ذوات الثمار ووقود النار وغير ذلك .

وهذه الحيوانات في خلقتها وتسويتها آية ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠] .

أما الإنسان فهو في أحسن تقويم ، كل ذلك مما يستوجب حقًّا له سبحانه أن يسبح اسمه في ذاته ، وجميع صفاته ، حيث جمع بين الخلق والتسوية ، فلكمال القدرة والتنزيه عن كل نقص .

س ـ ما هي الصلوات التي كان النبي ﷺ يكثر فيها من قراءة سبح اسم ربك الأعلى ؟

ج : كان النبي ﷺ يقرأ سبح اسم ربك الأعلى في الجمعة والعيدين في كثير من الأحيان ، وفي الركعة الأولى من ركعتي الوتر ، وكان يحث أصحابه على القراءة بها أحيانًا في صلاة العشاء ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث النعمان بن بشير قال : كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية قال : وإذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرأ بهما أيضًا في الصلاتين .

وفي «الصحيحين»[2] أن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه ـ لما صلى معاذ بالناس صلاة العشاء وأطال فيها ـ واللفظ لمسلم : **«أتريدُ أن تكون فتانًا يا معاذ إذا أممت الناس فاقرأ بالشمس وضحاها ، وسبح اسم ربك الأعلى ، واقرأ باسم ربك ، والليل إذا يغشى»** .

● وأخرج أحمد[3] في مسنده من حديث ابن عبد الرحمن بن أبزى

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٨٧٨) .

هذا وقد كان النبي ﷺ يقرأ بغيرها أيضًا ففي «صحيح مسلم» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين .

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥) ومسلم حديث (٤٦٥) ص ٣٤٠ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، واللفظ المذكور تفرد به مسلم ، أما لفظ البخاري ففيه . . . **«فلولا صليت بسبح اسم ربك والشمس وضحاها والليل إذا يغشى»** .

(٣) أحمد في «المسند» (٣/ ٤٠٦) بإسناد صحيح ، ورواه أبو داود (٢/ ١٣٧ و ١٣٣) وابن ماجة مختصرًا (١١٧١) والنسائي (٣/ ٢٣٦) من حديث عبد الرحمن بن أبزى عن أبي بن كعب .

عن أبيه عن النبي ﷺ أنه كان يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الأعلى ، وقل يا أيها الكافرون ، وقل هو اللَّه أحد ، فإذا سلَّم قال : «**سبحان الملك القدوس ، سبحان الملك القدوس ، سبحان الملك القدوس**» ورفع بها صوته .

* * *

س ـ هل ورد عن أحدٍ من السلف أنه كان يُسبح إذا قرأ : (سبحان ربي الأعلى) ؟

ج : نعم ورد ذلك بإسناد صحيح عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما فأخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما أنه كان يقرأ سبح اسم ربك الأعلى سبحان ربي الأعلى الذي خلق فسوَّى ، قال:[1] وهي في قراءة أبي بن كعب كذلك .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٣] بمزيد من التفصيل ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : قدَّر أقدارًا ثم هدى الخلائق إليها .

● فمن ذلك : أنه سبحانه وتعالى قدر الشقاوة على أقوام والسعادة لأقوام ، ثم هدى أهل السعادة إلى عمل السعداء ، وهدى أهل الشقاوة إلى عمل الشقاوة ، فهدى المؤمنين للإيمان والرشاد ، وهدى الكافرين

---

(١) هذا إسناد الطبري : حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرني أبو بشر عن سعيد ابن جبير عن ابن عمر . . .

إلى الكفر والضلال .

● ومن ذلك : أنه سبحانه قدَّر أرزاقًا وهدى الخلائق إلى أسباب طلب تلك الأرزاق والحصول عليها .

● ومن ذلك : أنه قدَّر العباد ذكرانًا وإناثًا ، ثم هدى الذكر إلى إتيان الأنثى (أي : علمه كيف يجامع أهله) إلى غير ذلك .

والقول بالتعميم أولى .

● **قال الطبري رحمه الله:** والصواب من القول في ذلك عندنا: أن الله عمَّ بقوله (فهدى) الخبر عن هدايته خلقه ولم يخصص من ذلك معنى دون معنى، وقد هداهم السبيل الخير والشر، وهدى الذكور لمأتى الإناث ، فالخبر على عمومه حتى يأتي خبر تقوم به الحجة دال على خصوصه .

● **وقال الشنقيطي «في أضواء البيان»** [1] في تفسير سورة طه عند تفسير قوله تعالى : ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٥٠]:

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠] فيه للعلماء أوجه لا يكذب بعضها بعضًا ، وكلها حق ، ولا مانع من شمول الآية لجميعها . منها : أن معنى ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠] : أنه أعطى كل شيء نظير خلقه في الصورة والهيئة ، كالذكور من بني آدم أعطاهم نظير خلقهم من الإناث أزواجًا . وكالذكور من البهائم أعطاها نظير خلقها في صورتها وهيئتها من الإناث أزواجًا ؛ فلم يعط الإنسان خلاف خلقه

---

(١) «أضواء البيان» (٤/٤١٧ ـ ٤١٨ ـ ٤١٩) .

فيزوجه بالإناث من البهائم ، ولا البهائم بالإناث من الإنس ، ثم هدىٰ الجميع لطريق المنكح الذي منه النسل والنماء ، كيف يأتيه ، وهدىٰ الجميع لسائر منافعهم من المطاعم والمشارب وغير ذلك .

وهذا القول مروي عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما من طريق علي ابن أبي طلحة ، وعن السدي وسعيد بن جبير ، وعن ابن عباس أيضًا ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ أي : هداه إلىٰ الألفة والاجتماع والمناكحة .

وقال بعض أهل العلم: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]: أي : أعطىٰ كل شيء صلاحه ثم هداه إلىٰ ما يصلحه ، وهذا مروي عن الحسن وقتادة .

وقال بعض أهل العلم: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]: أي : أعطىٰ كل شيء صورته المناسبة له ؛ فلم يجعل الإنسان في صورة البهيمة ، ولا البهيمة في صورة الإنسان ، ولكنه خلق كل شيء علىٰ الشكل المناسب له فقدره تقديرًا ، كما قال الشاعر :

وله في كل شيء خلقة ∴ وكذاك اللَّه ما شاء فعل

يعني بالخلقة : الصورة ، وهذا القول مروي عن مجاهد ومقاتل وعطية وسعيد بن جبير ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ كل صنف إلىٰ رزقه وإلىٰ زوجه .

وقال بعض أهل العلم: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]: أي أعطىٰ كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به ، كما أعطىٰ العين الهيئة التي تطابق الإبصار، والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع . وكذلك الأنف والرجل واللسان وغيرها ، كل واحد منها

مطابق لما علق به من المنفعة غير نابٍ عنه . وهذا القول روي عن الضحاك . وعلى جميع هذه الأقوال المذكورة فقوله تعالى : ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ هو المفعول الأول لـ «أعطى» و «خلقه» هو المفعول الثاني .

وقال بعض أهل العلم : إن «خلقه» هو المفعول الأول ، و«كل شيء» هو المفعول الثاني . وعلى هذا القول ، فالمعنى : أنه تعالى أعطى الخلائق كل شيء يحتاجون إليه ، ثم هداهم إلى طريق استعماله. ومعلوم أن المفعول من مفعولي باب كسا ، ومنه «أعطى» في الآية لا مانع من تأخيره وتقديم المفعول الأخير إن أمن اللبس ، ولم يحصل ما يوجب الجري على الأصل كما هو معلوم في علم النحو ؛ وأشار له في «الخلاصة» بقوله :

ويلزم الأصل لموجب عرا .. وترك ذاك الأصل حتمًا قد يرى

قال مقيده عفا اللَّه عنه : ولا مانع من شمول الآية الكريمة لجميع الأقوال المذكورة ؛ لأنه لا شك أن اللَّه أعطى الخلائق كل شيء يحتاجون إليه في الدنيا ، ثم هداهم إلى طريق الانتفاع به . ولا شك أنه أعطى كل صنف شكله وصورته المناسبة له ، وأعطى كل ذكر وأنثى الشكل المناسب له من جنسه في المناكحة والألفة والاجتماع . وأعطى كل عضو شكله الملائم للمنفعة المنوطة به . فسبحانه جل وعلا ! ما أعظم شأنه وأكمل قدرته ؟!

وفي هذه الأشياء المذكورة في معنى هذه الآية الكريمة براهين قاطعة على أنه جل وعلا رب كل شيء ، وهو المعبود وحده جل وعلا : ﴿لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨] .

وقد حرر العلامة الشيخ تقي الدين أبو العباس بن تيمية رحمه اللَّه في رسالته في علوم القرآن : أن مثل هذا الاختلاف من اختلاف السلف في معاني الآيات ليس اختلافًا حقيقيًّا متضادًّا يكذب بعضه بعضًا ، ولكنه اختلاف تنوعي لا يكذب بعضه بعضًا ، والآيات تشمل جميعه ، فينبغي حملها على شمول ذلك كله ، وأوضح أن ذلك هو الجاري على أصول الأئمة الأربعة رضي اللَّه عنهم ، وعزاه لجماعة من خيار أهل المذاهب الأربعة . والعلم عند اللَّه تعالى .

* * *

س ـ اذكر بمزيد من التفصيل معنى قوله تعالى : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ [الأعلى: ١] ؟

ج : للخوض في تأويل ذلك نورد تساؤلاً آخر ثم نبين بمشيئة اللَّه أقوال العلماء في الإجابة عليه ، ألا وهو : هل المراد سبح اسم ربك الأعلى ؟ أو سبح ربك الأعلى (بدون ذكر اسم) ؟ .

فالآية الكريمة فيها سبح اسم ربك الأعلى ، أي : أن الذي يُسبح هو (اسم ربنا) في هذه الآية الكريمة ، والمعنى: **نزه اسم ربك** يا محمد عن أن تسمى به شيئًا من الأشياء سواه ، ولا تفعل كما يفعل أهل الشرك إذ يشتقون لأسمائهم أسماءً من أسماء اللَّه سبحانه وتعالى فيقولون : اللات ، ويقولون : العزى ، وكما يقول كذاب اليمامة مسيلمةُ عن نفسه : إنه رحمن اليمامة .

ويلتحق بذلك تنزيه اسم اللَّه عن اللهو والباطل كمن يعبث

بأسماء اللَّه ويلهو بها ، أو كمن ينقش أسماء اللَّه على نعال أو على ثياب ممتهنة أو يلقي الأوراق التي فيها ذكر اللَّه على الأرض توطأ بالأقدام ونحو ذلك .

وتسبيح الاسم كما في قوله تعالى : ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة: ٩٦] .

ومن العلماء من قال: إن (اسم) صلة كبيت الشعر المنسوب للبيد:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما

ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

● والمعنى عند بعض العلماء: (إلى الحول ثم السلام عليكما)[1].

والمعنى على هذا التأويل : سبح ربك الأعلى : **أي : عظِّم ربك الأعلى الذي لا رب أعلى منه ولا أعظم** ، وقد ورد الأمر بتسبيح اللَّه في قوله تعالى : ﴿ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً ﴾ [الإنسان: ٢٦] ، وفي قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الصافات: ١٨٠] .

ويقال أيضًا : والمراد بتسبيحه هنا : تنزيهه عن كل ما لا يليق به ، فمن ذلك : تنزيهه عن اتخاد الولد ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ... ﴾ [البقرة: ١١٦] ، وكما قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ۝٣٠ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ

(١) انظر كلامنا على هذا البيت في سورة الفاتحة .

ورُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠، ٣١] .

وتنزيهه عن الشريك :

كما قال تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢] .

● وكما قال تعالى : ﴿ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧] .

● ومن العلماء من قال : إن معنى ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ [الأعلى: ١] : **هو قل : سبحان ربي الأعلى** ، وعزاه ابن الجوزي في «زاد المسير» إلى الجمهور ، ويُستدل لهذا القول بأن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية قال : **«اجعلوها في سجودكم»** ، وبأن عددًا من الصحابة كانوا يقولون إذا قرأوا : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ [الأعلى: ١] : سبحان ربي الأعلى .

● ومن العلماء من قال : سبح اسم ربك الأعلى : أي صلِّ وأنت له ذاكر .

● ومنهم من قال : كذلك له واخشع له عند ذكره .

● ومنهم من قال : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ : أي : اذكره بالتسبيح كما تذكره بالحمد والتكبير والتهليل ونحو ذلك ، وكل ذلك محتمل ، العلم عند اللَّه تعالى .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ ﴾ [الأعلى: ٦] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : سنقرؤك يا محمد هذا القرآن ونعلّمه لك ونجمعه لك في قلبك فتحفظه فلا تنساه إلا إذا شاء الله .

* * *

س ـ ذكر بعض أهل العلم في قوله تعالى : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ ﴾ [الأعلى: ٦] أوجهًا لإعجاز ، بيِّن هذه الأوجه ؟

ج : من هذه الأوجه ، أن النبي ﷺ كان رجلاً أميًّا ، كما قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ** ﴾ [الأعراف: ١٥٧] ، لا يقرأ ولا يكتب ، كما قال تعالى : ﴿ **وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ** ﴾ [العنكبوت: ٤٨] ، ومع ذلك حفظ هذا القرآن الكريم بهذا الطول الذي هو عليه فهذا شيء خارق للعادة فيكون ذلك مُعجزًا .

- ومن هذه الأوجه : أن الله عز وجل أخبر بأمرٍ فوقع كما أخبر سبحانه وتعالى، فهذه السورة سورة مكية من أوائل ما نزل بمكة أخبر الله فيها أنه سيقرئه فأقرأه كما أخبر ، وأنزل عليه القرآن كما وعد ، فوجه الإعجاز أنه إخبار بالغيب فوقع كما أُخبر به ، والله أعلم .

* * *

س ـ اذكر بعض الأسباب المعينة على حفظ القرآن وعدم نسيانه ؟

ج : من هذه الأسباب ما يلي :

- تعاهد القرآن ومداومة قراءته ومراجعته ، قال النبي ﷺ [(١)]:

(١) أخرجه البخاري مع «الفتح» (٩/ ٧٩) ومسلم مع النووي (٦/ ٧٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا، وفي رواية لمسلم: «... **وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار** =

«إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت» .

وقال عليه الصلاة والسلام [1]: «تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصيًا من الإبل في عقلها» .

● ومن ذلك : التخفف من الذنوب والمعاصي ، فإن الذنوب والمعاصي تزيل النعم ، وحفظ كتاب اللَّه من أعظم النعم ، وضياعه وذهابه مصيبة من المصائب الكبرى ، وقد قال تعالى : ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠] .

● ومن ذلك أيضًا : التخفف من الهموم والأحزان والتعوذ منها ، فإن الهموم والأحزان تذهب بالذاكرة ، ورب العزة سبحانه وتعالى يقول : ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب: ٤] .

● ومن ذلك : شكر اللَّه عز وجل على هذه النعمة ، فإن الشكر يزيد النعم ، قال تعالى : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧] .

● ومن ذلك : طلب الثبات من اللَّه ، فهو سبحانه قادر على إذهابه بعد حفظه ، قال تعالى : ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا . . .﴾ [الإسراء: ٨٦] .

* * *

= ذكره وإذا لم يقم به نسيه» .

(١) أخرجه البخاري (٩/ ٧٩) مع «الفتح» ومسلم (٦/ ٧٨) مع النووي من حديث أبي موسى الأشعري رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

س ـ هل صح حديث فيما يفعله من أراد أن لا ينسى القرآن بعد حفظه ؟

ج : لا أعلم في هذا الباب حديثًا صحيحًا إلا ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال : **«إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت»** ، وفي رواية لمسلم : **«وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره وإذا لم يقم به نسيه»** .

وفي «الصحيحين»[٢] أيضًا من حديث أبي موسى رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال : **«تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصيًا من الإبل في عقلها»** .

فاستفيد من هذين الحديثين أن خير وسيلة لتثبيت القرآن في الصدور ـ بعد توفيق اللَّه سبحانه وتعالى ـ هو استذكاره وتعاهده ومراجعته في الصلوات وغيرها .

أما الأحاديث الواردة في أفعال مخصوصة لتثبيت القرآن في الصدور من صلوات وأدعية ونحو ذلك ، ففيها ضعف[٣] .

* * *

(١) أخرجه مسلم (٧٨٩) والبخاري مع «الفتح» (٩/ ٧٩) .

(٢) البخاري مع «الفتح» (٩/ ٧٩) ومسلم مع النووي (٦/ ٧٨) وأحمد (٢/ ٣٩٧) .

(٣) انظر: «تنزيه الشريعة» للكناني (المجلد الثاني/ ١١١) ، و« الموضوعات » لابن الجوزي (٢/ ١٣٨) .

س ـ اذكر آية في معنى قوله تعالى : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ ﴾ [الأعلى: ٦] ؟

ج : الآية التي معناها قوله تعالى : ﴿ لا تُحَرِّكْ به لسانك لتعجل به ﴿١٦﴾ إنَّ علَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فإذا قرأناه فاتَّبِعْ قُرْآنَه ﴿١٨﴾ ثم إنَّ علينا بَيَانَهُ .. ﴾ [القيامة: ١٦ - ١٩] .

ففي «الصحيحين»[1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة ، وكان مما يُحرِّك شفتيه ، فقال ابن عباس : فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله ﷺ يُحرِّكهما ، وقال سعيد : أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما ، فحرك شفتيه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ لا تُحَرِّكْ به لسانَكَ لتَعْجَلَ به ﴿١٦﴾ إنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ [القيامة: ١٦ - ١٧] ، قال : جمعه لك في صدرك وتقرأه ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ [القيامة: ١٨] قال : فاستمع له وأنصت ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ ثم إن علينا أن تقرأه ، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه .

* * *

س ـ ما هو المعني بالاستثناء في قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ [الأعلى: ٧] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال نورد بعضها :

---

(١) أخرجه البخاري (حديث رقم ٥) ومسلم (حديث ٤٤٨) .

القول الأول : أن المستثنى هنا هو ما نسخه اللَّه من القرآن فرفع حكمه وتلاوته .

القول الثاني : أنه عليه الصلاة والسلام ينسى بعض الآيات لتعليم أمته ماذا يصنعون إذا نسوا آية ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : «**لقد أذكرني آية كذا وكذا كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا**»(١) .

القول الثالث: أن النسيان هنا بمعنى الترك، والمعنى: إلا ما شاء اللَّه أن تترك العمل به مما ننسخه .

القول الرابع: أن اللَّه ما أنسى نبيه شيئا، ولكنه سبحانه بيَّن لنبيه عليه الصلاة والسلام أنه سبحانه إذا أراد أن ينسيه أنساه ، كما قال تعالى : ﴿ **وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ..** ﴾ [الإسراء: ٨٦] ، والآية كقوله تعالى : ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ** ﴾ [هود:١٠٨] .

قال القاسمي في «محاسن التأويل» : وبالجملة ففائدة هذا الاستثناء: أن اللَّه تعالى يعرفه قدرة ربه حتى يعلم أن عدم النسيان من فضل اللَّه وإحسانه لا من قوته .

* * *

س ـ المعهود أن يقال : (ونيسر عليك اليسرى) فلما قيل :

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٣٨) ومسلم (حديث ٧٨٨) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت : سمع رسول اللَّه ﷺ رجلاً يقرأ في سورة الليل فقال : «**يرحمه اللَّه قد أذكرني ...**» .

﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الأعلى: ٨] أي : نسهلك للعمل ، ونحو ذلك في قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ .. ﴾ [الليل: ٥ - ٧] ؟ .

ج : الظاهر لي ـ والله أعلم ـ : أن قوله : ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الأعلى: ٨] ، أولى بلا شك من قوله (ونيسر عليك اليسرى) ، وذلك لأمور أولها ابتداء : أن الله عز وجل ذكر : ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الأعلى: ٨] فهي الأولى لذلك ، ثم يظهر لي أيضًا أن الشخص إذا يُسر للعمل أقبل عليه بانشراح صدر وطيب خاطرٍ فيعمله وهو قرير العين ، فكأن هذا العمل من جبلته[1] وفطرته وليس عملاً تكلفه وعُهد إليه به وأُريد منه أداؤه والله أعلم .

* * *

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى : ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الأعلى: ٨] ؟

ج : أما معنى نيسر ، نسهل ، ونيسرك نسهلك ، ومن العلماء من قال : نسهل عليك .

● أما اليسرى فمن العلماء من قال: هي الجنة ، فيكون المعنى : نسهلك (أو نسهل عليك) للعمل الصالح المؤدي إلى الجنة .

● ومن العلماء من قال: اليسرى الطريقة اليسرى ، أي : التي هي

---

(١) كما أن الملائكة من جبلتها أنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون .

أيسر وأسهل ، ومن العلماء من قال : إن المعنى : نسهلك للطريقة السهلة الميسرة لحفظ كتاب اللَّه وهذا بالنظر إلى الآيات التي قبلها ، فقال تعالى : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ ۝ إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الأعلى: ٦ - ٨] : أي : سنوفقك إلى الطريقة اليسرى لحفظ القرآن .

● ومن العلماء من قال قولاً قريبًا من هذا القول ، وهو : سنهون عليك الوحي حتى تحفظه وتعلمه وتؤديه .

● ومن العلماء من قال : سنوفقك للشريعة السمحة السهلة ، فنشرع لك شرعًا سمحًا مستقيمًا عدلاً لا اعوجاج فيه ولا حرج . واللَّه تعالى أعلم .

❊ ❊ ❊

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴾ [الأعلى: ٩] ؟

ج : مدار التأويل والتذكير على معنى (إن) في الآية الكريمة ، فلأهل العلم فيها أقوال :

أحدها : أن (إن) بمعنى (حيث) وهذا اختيار ابن كثير رحمه اللَّه فإنه قال : وقوله تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴾ [الأعلى: ٩] : أي : ذكِّر حيث تنفع التذكرة ، ومن ههنا يؤخذ الأدب في نشر العلم فلا يضعه عند غير أهله ، كما قال ابن مسعود رضي اللَّه عنه : ما أنت

بمحدثٍ قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة[١].

وقال علي رضي اللَّه عنه : حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يُكَذَّب اللَّه ورسوله[٢].

قلت : فعلى هذا القول ينبغي أن ينظر المُذكر إلى الحالة التي أمامه : هل يُرجى من وراء تذكيرها انتفاع أو لا يرجى ، وهل التذكير سيأتي بمفسدة أعظم أم أن وجه الانتفاع أرجى وأظهر ، ومن ثمَّ يقرر هل يُقدم على التذكير أو لا يُقدم .

● ويشهد لهذا القول العمومات الواردة في اختيار أخف الضررين والمفاسد والمصالح ونحو ذلك .

الثاني : هو أن (إن) بمعنى قد ، فالمعنى فذكر فقد تنفع الذكرى .

الثالث : أن في الآية محذوف دل عليه السياق ، فالمعنى : فذكر إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع ، كما قال تعالى : ﴿**وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ**﴾ [النحل: ٨١] : أي : وتقيكم البرد كذلك ، ولكن حذف البرد لدلالة السياق عليه ، فذكر سبحانه أشرف الحالين وهو الانتفاع بالتذكرة ونبه على الأخرى .

● ونقل القرطبي عن الجرجاني قوله : التذكير واجب وإن لم ينفع .

---

(١) أخرجه مسلم في المقدمة ص ١١ وفي إسناده انقطاع .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ١٢٧) من طريق معروف بن خربوذ عن أبي الطفيل عن عليٍّ بذلك . .

• ونقل الشوكاني في «فتح القدير» عن الواحدي قوله : إن نفعت وإن لم تنفع ، لأن النبي ﷺ بُعث مبلغًا للإعذار والإنذار ، فعليه التذكير في كل حال نفع أو لم ينفع . . واختار الشوكاني هذا القول الذي ذهب إليه الواحدي والجرجاني وقال : وقد سبقهما إلى القول به الفراء والنحاس .

قلت : ويتأيد هذا بقوله تعالى : ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٣، ٤٤] .

وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤] .

وقول قوم نوحٍ لنوحٍ عليه السلام : ﴿قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ [هود: ٣٢] .

وقول نوح عليه السلام : ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ...﴾ [نوح: ٥ - ٩] .

• وقال بعض أهل العلم ما حاصله : إن تخلف قوله: (إن نفعت الذكرى) لا تأثير له في التذكير، فالمعنى: (فذكر)، أما قوله: (إن نفعت الذكرى) فهو كقوله تعالى : ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣] في قوله

تعالى : ﴿ وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ [النور: ٣٣] .

● ومن هذا الباب : قوله تعالى : ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [النساء: ١٠١] ، فإن القصر جائز[١] وإن لم يوجد الخوف .

وقوله : ﴿ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٣] ، والرهن جائز مع الكتابة ، وقوله تعالى : ﴿ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٣٠] ، والمراجعة جائزة بدون هذا الظن .

وقوله تعالى : ﴿ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[٢] [البقرة: ١٧٢] .

● ومن العلماء من فصَّل في مسألة النصح فقال : **إن المدعوين من الناس على أقسام :**

● **القسم الأول** : قسم يترجح لدى الناصح أنهم ينتفعون بالذكرى وهم أهل الإيمان ، فهؤلاء يُذكروا ، كما قال تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥] ، وكما قال تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق: ٤٥] .

● **القسم الثاني** : قسم مقطوع بعدم نفعه كمن بُيِّن له مرارًا وتكرارًا فما وُجد منه إلا السخرية والاستهزاء من الدين ومحاربة أهله ومحاربة الواعظين ، فهذا لا نفع في تذكيره[٣] .

---

(١) وقد أوجبه بعض العلماء .

(٢) أشار إلى ذلك الرازي .

(٣) وقد قال موسى عليه الصلاة والسلام : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي =

● القسم الثالث : قسم يظن أنه قد يتعظ وقد لا يتعظ ، فهذا أيضًا يذكر ، والله تعالىٰ أعلم .

* * *

س ـ الضمير في قوله تعالىٰ : ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى﴾ [الأعلى: ١١] يرجع إلىٰ ماذا ؟

ج : الضمير يرجع إلىٰ الذكرىٰ ، فالمعنىٰ : ويتجنب الأشقىٰ الذكرىٰ ، أي : يبتعد عنها ولا ينتفع بها .

* * *

س ـ من المراد بالشقي في قوله تعالىٰ : ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى ﴾ [الأعلى: ١١] ؟

ج : هو الذي كتبت عليه الشقاوة وهو في بطن أمه ، وكتب عليه أنه سيموت علىٰ الكفر ، والله أعلم .

* * *

س ـ وضح معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى ﴾ [الأعلى: ١٣] ؟

ج : **قال الطبري رحمه الله** : وذلك أن نفس أحدهم تصير فيها

= الْحَيَاة الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨] .

(أي: في النار الكبرى) في حلقه فلا تخرج فتفارقه فيموت ، ولا ترجع إلى موضعها من الجسم فيحيا ، وقيل : لا يموت فيها فيستريح ، ولا يحيا حياة تنفعه .

وقال آخرون : قيل ذلك لأن العرب كانت إذا وصفت الرجل بوقوعٍ في شدّةٍ شديدة قالوا : لا هو حي ولا هو ميت ، فخاطبهم اللَّه بالذي جرى به ذلك من كلامهم .

ومما يؤيد أنهم لا يموتون فيها ولا يستريحون قوله تعالى : ﴿لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦] .

● وقوله تعالى : ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: ١٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ وَنَادَوْاْ يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤] .

● وما ورد عن رسول اللَّه ﷺ في ذبح الموت على قنطرة بين الجنة والنار[1] .

---

(١) أخرج مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه (٢٨٤٩) قال : قال رسول اللَّه ﷺ: «يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال : يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت ، قال : ويُقال : يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ قال : فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت ، قال : فيؤمر به فيذبح ، =

• وقوله عليه الصلاة والسلام : «وأما أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون ولا يحيون .. »[(١)].



= قال : ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت» ، قال : ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩] وأشار بيده إلى الدنيا .

(١) أخرج مسلم (حديث ١٨٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أمَّا أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم (أو قال : بخطاياهم) فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحمًا أُذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ، ثم قيل : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل» فقال رجل من القوم : كأن رسول الله ﷺ كان بالبادية .

قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي : أفلح ـ تزكى ـ تؤثرون ؟

ج :

الكلمة	معناهـا
أفلـــح	فاز ونجح وأدرك مطلبه ونجى من المخاطر
تزكّـــى	أسلم وتطهر من الكفر والمعاصي ووحد اللّه وعمل بشرائعه ـ تكثّر من التقوى ـ طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة واتبع ما أنزل على الرسول ﷺ ـ أدى ذكاة ماله ـ أدى زكاة الفطر[1].
تؤثـــرون	تقدّمون وتفضلون

* * *

(١) هذه جملة أقوال للعلماء في تفسير تزكّى ، وبعضها أرجح من بعض فَرُجِّح القول الأول بأن زكاة الفطر لم تكن فرضت بمكة ، والسورة مكية .

س ـ ما المراد بالذكر ، وما المراد بالصلاة في قوله تعالى : ﴿ وذكر اسم ربه فصلى ﴾ [الأعلى: ١٥] ؟

ج : أما المراد بقوله : ﴿ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ ﴾ فلأهل العلم فيه أقوال:

أحدها : وحد الله سبحانه وتعالى .

الثاني : ذكر الله ودعاه ورغب إليه .

الثالث : ذكر ربه فخافه فعبده وصلى له .

● **أما المراد بالصلاة** هنا فللعلماء فيه أقوال :

أحدها : أن المراد صلى الصلوات الخمس .

الثاني : أن المراد صلى صلاة تطوع .

الثالث : أن المراد صلى صلاة العيدين[1] .

الرابع : أن المراد بالصلاة الدعاء . والله تعالى أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا .. ﴾ [الأعلى: ١٦] ومن المخاطب بها ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : أنكم لا تقبلون على التزكي وذكر اسم ربكم والصلاة ، بل تؤثرون اللذات الفانية الموجودة في الدنيا وتحبونها ، كما قال تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ

---

(١) واعترض على الأخير بأن السورة مكية وصلاة العيد فرضت بالمدينة .

الآخِرَةَ﴾ [القيامة: ٢٠، ٢١] .

أما المخاطب بالآية الكريمة فلأهل العلم فيها قولان :

أحدهما : أن المراد بالآية الكفرة والمراد بإيثار الحياة الدنيا الرضا بها والاطمئنان إليها والإعراض عن الآخرة وترك العمل لها ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧، ٨] .

الثاني :أن المراد جميع الناس مؤمنهم وكافرهم ، والمراد بإيثارهم الحياة الدنيا أعم مما ذكر فيدخل فيه التوجه إلى الدنيا وتحصيل منافعها والاهتمام بها اهتمامًا زائدًا أكثر من الاهتمام بالطاعات ، كالظاهر من حال كثير من الناس ترى الرجل يهتم بعمله الدنيوي ويحرص على الاستيقاظ مبكرًا له أكثر من حرصه على الصلاة المكتوبة ، وآخر يحرص على جمع المال أكثر من حرصه على جمع الحسنات . . . هكذا ، والله أعلم .

* * *

س ـ المشار إليه في قوله تعالى : ﴿ إن هذا ﴾ [الأعلى : ١٨] يرجع إلى ماذا ؟

ج : من العلماء من قال : إنه يرجع إلى السورة كلها ، أي : إن هذا الذي ذُكر في هذه السورة موجود في الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى .

• ومنهم من قال : إنه يرجع إلى قوله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الأعلى: ١٤ - ١٧] .

• ومنهم من قال : إنه يرجع إلى قوله : ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الأعلى: ١٧] .



سُورَةُ الغَاشِيَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي : الغاشية ـ خاشعة ـ عاملة ـ ناصبة ـ تصلى ـ آنية ـ ضريع ؟

ج :

الكلمة	معناها
الغاشية	القيامة ـ الساعة ـ النار
خاشعة	ذليلة
عاملة	من العمل أي : أنها تعمل
ناصبة	متعبة ، أرهقها العمل وأتعبها
تصلى	تدخل ـ تَرِدْ ـ تذوق
آنية	بلغ حرها أعلاه ونهايته ومنتهاه[1] ـ استوت ـ نضجت

(١) ومنه قوله تعالى : ﴿غير ناظرين إناه﴾ أي : نضجه واستواؤه .

الكلمة	معناها
ضريـع	نبات ذو شوكٍ يقال له: الشّبرق وهو سم من السموم، وهو طعام من شر وأخبث أنواع الطعام فإذا يبس قيل له الضريع

❊ ❊ ❊

س ـ من المخاطب بقوله تعالىٰ : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية : ١] ، **اذكر معناها بمزيد من الإيضاح ؟**

ج : المخاطب هو رسول اللّه ﷺ ، وقيل : إن المخاطب عموم الإنسان .

أما معناها فمن العلماء من قال : هل هنا بمعنىٰ قد ، فالمعنىٰ : قد أتاك حديث الغاشية .

ومنهم من قال : إن الاستفهام هنا للفت النظر وشدة التعجب .

ومنهم من قال : إن المعنىٰ إن لم يكن وصل إلىٰ علمك حديث الغاشية فها هو حديث الغاشية، وبعض ما يكون عند القيامة واللّه أعلم.

❊ ❊ ❊

س ـ لماذا سميت الغاشية بالغاشية ؟

ج : تقدم أن من العلماء من ذهب إلىٰ أن الغاشية هي القيامة ، ومنهم من قال : إنها النار ، أما الذين قالوا : إن الغاشية القيامة ،

فقالوا : قد أطلق عليها الغاشية لأنها تغشى الناس بالأهوال .

وأما الذين قالوا : إنها النار فقالوا : لأنها تغشى وجوه الناس كما قال تعالى: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠] أي : تغطي وجوههم بلفحها ولهيبها .

كما قال تعالى : ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ [الأعراف: ٤١] .

• **واختار الطبري رحمه اللَّه التعميم ، أي** : أن النار والقيامة كلاهما غاشية ، فقال رحمه اللَّه : لأن اللَّه سبحانه لم يخبرنا أنه عنى غاشية القيامة ولا أنه عنى غاشية النار ، وكلتاها غاشية هذه تغشى الناس بالبلاء والأهوال والكروب ، وهذه تغشى الكفار باللفح في الوجوه والشُّواظ والنحاس فلا قول في ذلك أصح من أن يُقال كما قال جل ثناؤه ويعم الخبر بذلك كما عمه . واللَّه أعلم .

* * *

س ـ الذي لا يخشع للَّه في دنياه يخشع رغمًا عنه في أخراه ، وضح ذلك .

ج : إيضاحه : أن الذي يخشع للَّه ويخضع له ويذل نفسه للَّه في دنياه يؤمنه اللَّه في أخراه ، والذي لا يخشع للهً ولا يركع له ولا يسجد يكون ذليلاً في أُخراه ، كما قال تعالى عن أهل النار : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ [الغاشية: ٢ - ٤] .

* * *

س ـ متى هذا العمل والنصب المذكوران في قوله تعالى : ﴿ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴾ [الغاشية : ٣] .

ج : **لأهل العلم في ذلك أقوال :**

أحدها : أن هذا العمل والنصب (أي : التعب) يوم القيامة [1] ،

---

(١) وهذا الذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ورجحه من وجوه .

قال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» :

وقوله: ﴿ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴾ [الغاشية : ٣] العمل معروف، والنصب: التعب ، وقد اختلف في زمن العمل والنصب هذين ، هل هـو كان منها في الدنيا أم هو واقع منهم فعلاً في الآخرة، وما هو على كلا التقديرين: فالذين قالوا: هو كان منهم في الدنيا، منهم من قال: عمل ونصب في العبادات الفاسدة كعمل الرهبان والقسيسين والمبتدعة الضالين ، فلم ينفعهم يوم القيامة ، أي : كما في قوله : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣].

ومنهم من قال: عمل ونصب والتذ، فيما لا يرضي الله ، فعامله الله بنقيض قصده في الآخرة، ولكن هذا الوجه ضعفه ظاهر، لأن من هذه حالهم لا يعدون في عمل ونصب بل في متعة ولذة.

والذين قالوا : سيقع منهم بالفعل يوم القيامة ، اتفقوا على أنه عمل ونصب في النار من جر السلاسل ، عياذًا بالله . وصعودهم وهبوطهم الوهاد والوديان، أي : كما في قوله: ﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴾ [المدثر: ١٧]، وقوله: ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ [الجن: ١٧] .

وقد ذكر الفخر الرازي تقسيمًا ثلاثيًا ، فقال : إما أن يكون ذلك كله في الدنيا أو كله في الآخرة ، أو بعضه في الدنيا وبعضه في الآخرة، ولم يرجح قسمًا منها إلا أن وجه القول بأنها في الدنيا وهي في القسيسين ، ونحوهم . فقال : لما نصبوا في عبادة إله وصفوه بما ليس متصفًا بـه ، وإنما تخيلوه تخيلاً ، أي : بقولهم ثالث ثلاثـة وقولهم : ﴿ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠] ، فكانت عبادتهم لتلك الذات المتخيلة لا لحقيقة الإله سبحانه .

ولا يبعد أن يقـال على هذا الوجـه : إن مـن كان ممن لا ينطـق [1] بالشهادتين ويعمل على =

---

(١) صوابه : (ممن ينطق) ، لما ذكر بعده من مثل له وهو المسيء صلاته وأثر حذيفة رضي الله عنه .

. . . .

= فيما لا يعذر بجهله أن يخشى عليه من هذه الآية ، كما يخشى على من يعمل على علم ، جهالة ولكن في بدعة وضلالة.

ومما يشهد للأول حديث المسيء صلاته ولأثر حذيفة «رأى رجلاً يصلي فطفق فقال له : منذ كم تصلي هذه الصلاة ؟ قال : منذ أربعين سنة . قال له : ما صليت منذ أربعين سنة ولو مت على ذلك ، مت على غير فطرة محمد ﷺ» .

والأحاديث الواردة في ذلك على سبيل العمومات مثل قوله ﷺ : **«من عمل عملاً ليس عليه امري فهو رد»** أي : مردود .

وحديث الحوض : **«فيذاد أقوام عن حوضي ، فأقول : أمتي أمتي ، فيقال : إنك لا تدري ماذا أحدثوا بعدك إنهم غيّروا وبدّلوا»** .

ونحو ذلك مما يوجب الانتباه إلى صحة العمل وموافقته لما جاء به النبي ﷺ .

وكذلك القسم الثاني كما في قوله : ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ**﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤] .

أما الراجح من القولين في زمن عاملة ناصبة أهو في الدنيا أم في الآخرة ؟ فإنه القول بيوم القيامة ، وهو مروي عن ابن عباس وجماعة . والأدلة على ذلك من نفس السياق .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام جيد جدًّا في هذا الترجيح ، ولم أقف على قول لغيره أقوى منه، نسوق مجمله للفائدة :

قال في «المجموع» في تفسير هذه السورة بعد حكاية القولين : الحق هو الثاني لوجوه ، وساق سبعة وجوه :

الأول : أنه على القول الثاني يتعلق الظرف بما يليه ، أي : وجوه يوم الغاشية ، خاشعة عاملة ناصبة صالية .

أما على القول الأول فلا يتعلق إلا بقوله : تصلى . ويكون قوله: خاشعة صفة للوجوه ، قد فصل بينها وبين الموصوف بأجنبي متعلق بصفة أخرى . والتقدير : وجوه خاشعة عاملة ناصبة يومئذ تصلى نارًا حامية . والتقديم والتأخير على خلاف الأصل ، فالأصل إقرار الكلام على نظمه وترتيبه لا تغيير ترتيبه ، والتقديم والتأخير ، إنما يكون مع قرينة .

والثاني : أن الله ذكر وجوه الأشقياء ووجوه السعداء في السورة بعد ذلك ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ** ﴾ الغاشية : ٨ - ١٠] ، أي: في ذلك =

. . . .

= اليوم ، وهو يوم الآخرة : فالواجب تناظر القسمين أي في الظرف .

الثالث : أن نظير هذين القسمين ما ذكر في موضع آخر في قوله : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥) ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٥] ، وفي موضع آخر في قوله : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾ [عبس: ٣٨ - ٤٢] ، وهذا كله وصف للوجوه في الآخرة .

الرابع : أن المراد بالوجوه أصحابها لأن الغالب في القرآن وصف الوجوه بالعلامة ، كقوله : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم ﴾ [الفتح: ٢٩] ، وقوله: ﴿ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ﴾ [محمد: ٣٠] ، وهذا الوجه لم تتضح دلالته على المقصود .

الخامس : أن قوله : ﴿ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴾ [الغاشية ٢ ، ٣] ، لو جعل صفة لهم في الدنيا لم يكن في هذا اللفظ ذم ، فإن هذا إلى المدح أقرب ، وغايته أنه وصف مشترك بين عباده المؤمنين وعباده الكافرين ، والذم لا يكون بالوصف المشترك ولو أريد المختص ، لقيل : خاشعة للأوثان مثلاً ، عاملة لغير اللَّه ، ناصبة في طاعة الشيطان ، وليس في القرآن ذم لهذا الوصف مطلقًا ولا وعيد عليه ، فحمله على هذا المعنى خروج عن الخطاب المعروف في القرآن ، وهذا الوجه من أقواها في المعنى وأوضحها دلالة .

وقد يشهد له أن هؤلاء قد يكون منهم العوام المغرورون بغيرهم ، ويندمون غاية الندم يوم القيامة على اتباعهم إياهم ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾ [فصلت: ٢٩] .

السادس : وهو مهم أيضًا ، أنه لو جعل لهم في الدنيا لكان خاصًا ببعض الكفار دون بعض، وكان مختصًا بالعباد منهم ، مع أن غير العباد منهم يكونون أسوأ عملاً ويستوجبون أشد عقوبة .

السابع : أن هذا الخطاب لو جعل لهم في الدنيا لكان مثله ينفر من أصل العبادة والتنسك ابتداء ، أي : وقد جاءت السنة بترك أصحاب الصوامع والمتنسكين دون التعرض لهم بقتل ولا قتال ، كما أنها أقرت أصحاب الديانات على دياناتهم ، مما يشعر باحترام أصل التعبد لعموم الجنس ، كما أشار رحمة اللَّه تعالى عليه .
=

والمراد أن أصحاب هذه الوجوه الخاشعة يعملون وينصبون في النار ، أي : أنهم قد أرهقهم العمل وأتعبهم في النار ، فإن قال قائل : فما هو هذا العمل الذي يعملونه في النار ، قلنا :

إن منه ما ذكره اللَّه تبارك وتعالى في قوله : ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧] ، وفي قوله سبحانه : ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧] ، فيصعد ويهبط في النار ويرفعه لهيبها إلى أعلاها ثم يغمر فيها ، وهكذا ويصعد على جبال من نار في النار .

ومن هذا العمل : كثرة دعائهم على أنفسهم بالثبور (وهو الهلاك) ، كما قال تعالى : ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ١٤] .

= وقد أوردنا مجمل كلامه رحمه اللَّه ، لئلا تتخذ الآية على غير ما هو الراجح فيها ، أو يحمل السياق على غير ما سيق له ، وقد ختم كلامه بتوجيه لطيف بقوله : ثم إذا قيد ذلك بعبادة الكفار والمبتدعة ، وليس في الخطاب تقييد ، كان هذا سعيًا في إصلاح الخطاب بما لم يذكر فيه . اهـ .

ومن الذي يعطي نفسه حق إصلاح الخطاب في كلام رب العالمين ، إنها لفتة إلى ضرورة ومدى أهمية تفسير القرآن بالقرآن ، الذي نهجه الشيخ رحمة اللَّه تعالى علينا وعليه في «أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن» .

وقد بدا لي وجه آخر ، وهو لو جعل هذا لعمل الكفار والمبتدعة ، لكان منطوقه أن العذاب وقع عليهم مجازاة على عملهم ونصبهم في عبادتهم تلك ، والحال أن عذاب الكفار عمومًا إنما هو على ترك العمل للَّه وحده ، وعقاب المبتدعة فيما ابتدعوه من ضلال ، فإذا كان ما ابتدعوه لا علاقة له بأركان الإسلام ولا بالعقيدة ، وإنما هو في فروع من العبادات ابتدعوها لم تكن في السنة ، فإنهم وإن عملوا ونصبوا فلا أجر لهم فيها ، ولا يقال إنهم يعذبون عليها بطل ذلك المذكور مع سلامة العقيدة في التوحيد والقيام بالواجب في أركان الإسلام إذ العذاب المذكور ليس مقابلاً بالعمل والنصب المذكور ، واللَّه أعلم .

ومن هذا العمل: محاججتهم لبعضهم البعض في النار ولعن بعضهم البعض في النار ، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٧، ٤٨] ، وكما قال تعالى : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٨، ٣٩].

الثاني : أن هذا التعب والنصب في الدنيا ، والآيات في الكفار الذين يتعبون وينصبون في الدنيا في غير طاعة اللَّه وعلى غير بينة وهدي من كتاب اللَّه وهم مشركون به فهم يتعبون في الدنيا هذا التعب ويذهب عملهم وثواب عملهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣] ، وكما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥] ، وكما قال تعالى : ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ [إبراهيم: ١٨] .

الثالث : أن هذا في النصارى على وجه الخصوص وفي الكفار على وجه العموم الذين ينصبون ويعملون في الدنيا ، وهم في نصبهم وعملهم وسعيهم في ضلال ، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم

بالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٥] .

الرابع : أن هذا في القوم الذين يعملون في الدنيا بالمعاصي ويعذبون في النار ويتعبون فيها لما عملوه في دنياهم ، فهي عاملة في الدنيا بالمعصية ناصبة (أي : متعبة) في الآخرة في النار . والله تعالى أعلم .

* * *

س ـ قال تعالى : ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ ﴾ [الغاشية: ٦] ، وقال عز وجل : ﴿ وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ ﴾ [الحاقة: ٣٦] ، فكيف يجمع بين الآيتين ؟

ج : وجه الجمع يتلخص في أن النار دركات فمن أهلها قوم ليس لهم طعام إلا من ضريع ، وقوم آخرين ليس لهم طعام إلا من غسلين.

والقول في الطعام كالقول في الشراب؛ فمنهم من شرابه الحميم، ومنهم من شرابه الصديد .

* * *

س ـ قد يقول قائل ملحد : إن الله قال : ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية: ٦] ، فكيف ينبت الضريع في النار ؟ فكيف تكون الإجابة على مثل هذا الملحد ؟

ج : الإجابة أن اللَّه على كل شيء قدير ، فهو الذي خلق النار وهو قادر على أن يجعلها لا تأكل الضريع ، كما قال لها : ﴿ يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩] ، فهو سبحانه قادر على أن يجعلها تحرق الكفار ولا تحرق الضريع .

● وهو سبحانه أيضًا قادر على أن يخلق نوعًا من الضريع يُعذِّب به الكفار لا تأكله النار .

● والاعتراض كاعتراض الكفار الموجودين على عهد رسول اللَّه ﷺ إذ تعجبوا من قوله تعالى: ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴾ [الصافات: ٦٢] ، فبين اللَّه سبحانه أن هذه الشجرة جعلها اللَّه فتنة لهم فقال سبحانه : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ [الصافات: ٦٣ - ٦٥] الآيات .

فإجابتنا أهل الإيمان : أن اللَّه على كل شيء قدير ، يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد ، لا معقب لحكمه ، ولا رادَّ لقضائه سبحانه وتعالى .



﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾

س ـ اذكر معاني الكلمات :

ناعمة ـ لسعيها راضية ـ لاغية ـ أكواب ـ نمارق ـ مصفوفة ـ زرابي ـ مبثوثة ؟

ج :

الكلمة	معناها
ناعمة	ذات حسن وبهجة ونضارة من النعومة (والشيء الناعم معروف) ـ وناعمة أيضًا بمعنى متنعمة (من النعيم) ، كما قال تعالى : ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤] .
لسعيها راضية	راضية عن عملها الذي عملته في الدنيا .
لاغية	كلمة لغو ، كما قال تعالى : ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا تَأْثِيماً ۝٢٥ إِلاَّ قِيلاً سَلاماً سَلاماً﴾ [الواقعة: ٢٥ ، ٢٦] ، وكما قال سبحانه : ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً

الكلمة	معناها
	إلاَّ سَلامًا﴾ [مريم: ٦٢] ، واللغو يطلق على أمور منها الباطل والكذب والشتم والشرك و . . . . وكل ما لا فائدة فيه
أكواب	جمع كوب وهو مثل كوب الزجاج ، لكن قيده بعض العلماء بما ليس له عروة ولا خرطوم
نمارق	الوسائد والمرافق التي يُرتفق عليها
مصفوفة	أي : متجاورة بعضها إلى بعض
زرابي	الطنافس ، وهي البُسُط (جمع بساط) والسجاجيد والفرش التي لها خمل رقيق ، وهي العبقري الحسان أيضًا
مبثوثة	منتشرة ـ متفرقة ـ موزعة ـ مبسوطة ومنه : ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ﴾ [البقرة: ١٦٤]

* * *

س ـ الغاشية هل هي عامة على الناس جميعًا تغشاهم ؟

ج : نعم هي عامة على الناس جميعًا ، ولكن تغشى أقوامًا بالعذاب ، وتغشى أقوامًا بالرحمة .

قال الشيخ عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» في تفسير قوله

تعالىٰ : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ [الغاشية: ٨] الآيات :

وهذا هو قسيم القسم الأول في بيان حال أهل الجنة ، ولم يعطف بالواو إيذانًا بكمال تباين مضمونيهما . ويومئذ : هو يوم الغاشية المتقدم ، وهذا يقتضي أن الغاشية عامة في الفريقين . وإن اختلفت أحوالها مع مختلف الناس ، وعليه فمنهم من تغشاه بهولها، ومنهم من تغشاه بنعيمها . وهي بالنسبة لكل منهما متناهية فيما تغشاهم به ، وهي صادقة علىٰ الفريقين .

ومعلوم أن الغاشية تطلق علىٰ الخير كما تطلق علىٰ الشر ، بمعنىٰ الشمول والإحاطة التامة. ومن إطلاقها علىٰ الخير ما جاء في الحديث: **«ما جلس قوم مجلسًا يذكرون اللَّه تعالىٰ فيه إلا حفَّتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ، وذكرهم اللَّه فيمن عنده»** أخرجه مسلم .

وبيان ذلك وتحقيقه في حق كلا القسمين كالآتي :

أما الأول منهما : وهو الغاشية في حق أهل النار فقد غشيهم العذاب حسًّا ومعنىً ظاهرًا وباطنًا أولاً خشوع في ذلة ، وهي ناحية نفسية ، وهي أثقل أحيانًا من الناحية المادية ، فقد يختار بعض الناس الموت عنها ، ثم مع الذلة : العمل والنصب حسًّا وبدنًا ، ومع النصب الشديد تصلىٰ نارًا حامية ، وكان يكفي تصلىٰ نارًا . ولكن إتباعها بوصفها حامية فهو زيادة في إبراز عذابهم وزيادة في غشيان العذاب لهم، ثم يسقون من عين آنية متناهية في الحرارة ، فيكونون بين نار حامية من الخارج وحميم من الداخل تصهر منه البطون ، فهو أتم

في الشمول للغاشية لهم من جميع الوجوه ، وفي حق القسم المقابل تعميم كامل وسرور شامل كالآتي : وجوه ناعمة مكتملة النعمة ، تعرف في وجوههم نضرة النعيم .

وهذا في شموله من الناحية المعنوية كمقابله في القسم الأول ، بدلاً من خاشعة في ذلة : ناعمة في نضرة لسعيها راضية الذي سعته في الدنيا ، والذي تسعى لتحصيله أو ثوابه في جنة عالية بدلاً من عمل ونصب ، لا تسمع فيها لاغية : منزلة أدبية رفيعة حيث لا تسمع فيها كلمة لغو ولا يليق بها ، فهو إكرام لهم حتى في الكلمة التي يسمعونها، كما في قوله: ﴿ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلاَّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا ﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦] ، فيها عين جارية : ومعلوم أنها عيون وأنهار تجري ، كقوله : ﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الدخان: ٥٢] ، ومن لوازم العيون والأنهار ، هو كمال النعيم ، فأشجار ورياحين ، فروح وريحان وجنة نعيم . وهذا في التعميم يقابل العين الآنية في الحميم للقسم الأول ، فيها سرر مرفوعة وهم عليها متكئون بدل من عمل الآخرين في نصب وشقاء . وأكواب موضوعة لإتمام التمتع وكمال الخدمة والرفاهية ونمارق مصفوفة متكأ ، وزرابي مبثوثة مفروشة في كل مكان ، فاكتمل النعيم من كل جانب ، حيث اشتمل ما تراه العين ، وما تسمعه الأذن ، وما يتذوقون طعمه من شراب وغيره .

فيكون بذلك قد غشيتهم النعمة ، كما غشيت أولئك النقمة . وتكون الغاشية بمعنى الشاملة ، وعلى عمومها للفريقين ، وهي صالحة

لغة وشرعًا للمعذبين بالعذاب ، وللمنعمين بالنعيم . وبالله تعالىٰ التوفيق .

* * *

س ـ وضح بمزيد من التفصيل معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴾ [الغاشية: ٩] ؟

ج : **قال الرازي**[1] **في «تفسيره»** : وفيه تأويلان :

أحدهما : أنهم حمدوا سعيهم واجتهادهم في العمل لله لما فازوا بسببه من العاقبة الحميدة ، كالرجل يعمل العمل فيجزىٰ عليه بالجميل ويظهر له منه عاقبة محمودة ، فيقول : ما أحسن ما عملت ، ولقد وفقت للصواب فيما صنعت فيثني علىٰ عمل نفسه ويرضاه .

الثاني : المراد لثواب سعيها في الدنيا راضية إذا شاهدوا ذلك الثواب (قال الرازي) : وهذا أولىٰ إذ المراد أن الذي يشاهدونه من الثواب العظيم يبلغ حد الرضا حتىٰ لا يريدون أكثر منه . والله أعلم .

* * *

س ـ لماذا كانت السرر مرفوعة ؟

ج : **قال الطبري رحمه الله** : مرفوعة ليرىٰ المؤمن إذا جلس عليها جميع ما خوَّله ربه من النعيم والملك فيها ويلحق جميع ذلك بصره .

* * *

---

(١) ينبغي أن لا يقرأ في «تفسير الرازي» إلا مَنْ له إلمام عام بأصول أهل السنة والجماعة حتىٰ يميز الصحيح منه من السقيم ، والسنة من قوله من البدعة فيه .

س ـ أين وضعت هذه الأكواب التي قال اللَّه عنها : ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٤] ؟

ج : من العلماء من قال: إنها موضوعة على حافة العين الجارية، كلما أرادوا الشرب وجدوها ملأى من الشراب .

● ومنهم من قال : موضوعة ، أي : مُعدة حاضرة بين أيديهم إذا احتاجوا إليها وجدوها .



أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

سطحت ـ بمسيطر ـ العذاب الأكبر ـ إيابهم ؟

ج :

الكلمة	معناها
سطحت	بُسطت ـ مُدت ـ مُهدت
بمسيطر	بجبار تجبرهم على الهداية والإيمان، كقوله: ﴿**وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ**﴾ [ق: ٤٥] ، وكقوله : ﴿**أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾ [يونس: ٩٩]، فسلوك الهداية إلى قلوبهم موكول إلى الله سبحانه .
العذاب الأكبر	عذاب جهنم
إيابهم	رجوعهم

* * *

س ـ من هم المعنيون بقوله تعالىٰ : ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية : ١٧] ؟

ج : هم منكرو البعث والثواب والعقاب ، **قال الطبري رحمه اللَّه:** يقول تعالىٰ ذكره لمنكري قدرته علىٰ ما وصف في هذه السورة من العقاب والنكال الذي أعده لأهل عداوته ، والنعيم والكرامة التي أعدها لأهل ولايته : أفلا ينظر هؤلاء المنكرون قدرة اللَّه علىٰ هذه الأمور إلىٰ الإبل كيف خلقها وسخرها لهم وذلَّلها وجعلها تحمل حملها باركة ثم تنهض به ، والذي خلق ذلك غير عزيز عليه أن يخلق ما وصف من هذه الأمور في الجنة والنار ، يقول جل ثناؤه : أفلا ينظرون إلىٰ الإبل فيعتبرون بها ويعلمون أن القدرة التي قدر بها علىٰ خلقها لن يعجزه خلق ما شابهها .

* * *

س ـ ما هو وجه الاستفهام في قوله تعالىٰ : ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية : ١٧] **؟ اذكر مزيدًا من الإيضاح للآية .**

ج : هو استفهام للتوبيخ والتقريع .

قال صديق حسن خان في «فتح البيان» : والمعنىٰ : ينكرون أمر البعث ويستبعدون وقوعه ، أفلا ينظرون إلىٰ الإبل التي هي غالب مواشيهم وأكثر ما يشهدونه من المخلوقات : كيف خلقت معدولاً [١] عن سنن خلق سائر أنواع الحيوانات علىٰ ما هي عليه من الخلق البديع

---

(١) صوابه : خلقت خلقًا معدولاً به ـ كما يأتي في كلام القاسمي قريبًا .

من عظم جثتها ومزيد قوتها وبديع أوصافها .

● هذا وقد سئل الحسن (كما نقل عنه القرطبي وغيره) عنها وقالوا : الفيل أعظم في الأعجوبة ، فقال : العرب بعيدة العهد بالفيل ثم هو خنزير لا يؤكل لحمه ولا يُركب ظهره ولا يحلب درّه .

* * *

س ـ هل هناك تعارض بين قوله تعالى : ﴿ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية : ٢٠] ، وبين قول من قال : إن الأرض كروية ؟

ج : **قال السعدي في «تفسيره» :**

واعلم أن تسطيحها ، لا ينافي أنها كرة مستديرة ، قد أحاطت الأفلاك فيها من جميع جوانبها ، كما دل على ذلك النقل والعقل ، والحس ، والمشاهدة كما هو مذكور معروف عند كثير من الناس ، خصوصًا في هذه الأزمنة ، التي وقف فيها الناس على أكثر أرجائها ، بما أعطاهم اللَّه من الأسباب المقربة للبعيد . فإن التسطيح ، إنما ينافي كروية الجسم الصغير جدًا ، الذي لو سطح، لم يبق له استدارة تذكر. وأما جسم الأرض ، الذي هو كبير جدًا ، وواسع ، فيكون كرويًا مسطحًا ، ولا يتنافى الأمران ، كما يعرف ذلك أرباب الخبرة .

● **وقال الرازي في «تفسيره»** : ومن الناس من استدل بهذا على أن الأرض ليست بِكُرة ، وهو ضعيف لأن الكرة إذا كانت في غاية العظمة تكون كل قطعة منها كالسطح .

* * *

س ـ ما هو وجه التمثيل بالمذكورات (الإبل والسماء والجبال والأرض) دون غيرها ؟

ج : **قال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان»** :

توجيه الأنظار إلى تلك المذكورات الأربعة ، لما فيها من عظيم الدلائل على القدرة وعلى البعث وثم الإقرار لله تعالى بالوحدانية ، والألوهية ، نتيجة لإثبات ربوبيته تعالى لجميع خلقه .

أما الإبل فلعلها أقرب المعلومات للعرب وألصقها بحياتهم : في مطعمهم من لحمها ، ومشربهم من ألبانها ، وملبسهم من أوبارها وجلودها ، وفي حلهم وترحالهم بالحمل عليها مما لا يوجد في غيرها في العالم كله لا في الخيل ولا في الفيلة، ولا في أي حيوان آخر، وقد وجه الأنظار إليها مع غيرها في معرض امتنانه تعالى عليهم في قوله : **﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلا يَشْكُرُونَ﴾** [يس: ٧١ - ٧٣] .

وكذلك في خصوصها في قوله : **﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾** [النحل: ٥ - ٧] .

إنها نعم متعددة ومنافع بالغة لم توجد في سواها البتة ، وكل منها

دليل على القدرة بذاته .

أما الجبال فهي مما يملأ عيونهم في كل وقت ويشغل تفكيرهم في كل حين ، لقربها من حياتهم في الأمطار والمرعى في سهولها ، والمقيل في كهوفها وظلها ، والرهبة والعظمة في تطاولها وثباتها في مكانها . وقد وجه الأنظار إليها أيضًا في موطن آخر في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا ۝ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٦، ٧] ثوابت ، كما بين تعالى أنها : رواسي للأرض أن تميد بكم والجبال أرساها متاعًا لكم ولأنعامكم . فهي مرتبطة بحياتهم وحياة أنعامهم كما أسلفنا.

أما السماء ورفعها ، أي : ورفعتها في خلقها وبدون عمد ترونها ، وبدون فطور أو تشقق على تطاول زمنها ، فهي أيضًا محط أنظارهم ، وملتقى طلباتهم في سقيا أنعامهم .

ومعلوم أن خلق السماء والأرض من آيات اللَّه الدالة على البعث، كما تقدم مرارًا . وتقدم للشيخ عند قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤] الآية . بيان كونها آية .

أما الأرض وكيف سطحت ، فإن الآية فيها مع عمومها كما في قوله : ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] . وقوله: ﴿كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ٢٠] آية ثابتة ، لأن جرمها مع إجماع المفسرين على تكويرها ، فإنها ترى مسطحة أي من النقطة التي هي في امتداد البصر ، وذلك يدل على سعتها وكبر حجمها ، لأن الجرم

المتكور إذا بلغ من الكبر والضخامة حدًّا بعيدًا يكاد سطحه يرى مسطحًا من نقطة النظر إليه ، وفي كل ذلك آيات متعددات للدلالة على قدرته تعالى على بعث الخلائق ، وعلى إيقاع ما يغشاهم على مختلف أحوالهم .

وتقدم للشيخ رحمة اللَّه تعالى علينا وعليه التنبيه على هذا المعنى، عند الكلام على قوله تعالى : ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١] الآية .

تنبيه :

التوجيه هنا بالنظر إلى الكيفية في خلق الإبل ونصب الجبال ، ورفع السماء ، وتسطيح الأرض ، مع أن الكيف للحالة ، واللَّه تعالى لم يشهد أحدًا على شيء من ذلك كله ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٥١] . فكيف يوجه السؤال إليهم للنظر إلى الكيفية وهي شيء لم يشهدوه .

والجواب واللَّه تعالى أعلم : هو أنه بالتأمل في نتائج خلق الإبل، ونصب الجبال إلخ . وإن لم يعلموا الكيف ، بل ويعجزون عن كنهه وتحقيقه ، فهو أبلغ في إقامة الدليل عليهم ، كمن يقف أمام صنعة بديعة يجهل سر صنعتها ، فيتساءل : كيف تم صنعها ؟ وقد وقع مثل ذلك وهو الإحالة على الأثر بدلاً من كشف الكنه والكيف ، وذلك في سؤال الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ربه ، أن يريه كيف يحيي الموتى. فكان الجواب : أن أراه الطيور تطير ، بعد أن ذبحها بيده

وقطعها ، وجعل على كل جبل منها جزءًا . فلم يشاهد كيفية وكنه وحقيقة الإحياء ، وهو دبيب الروح فيها وعودة الحياة إليها . لأن ذلك ليس في استطاعته ، ولكن شاهد الآثار المترتبة على ذلك ، وهي تحركها وطيرانها وعودتها إلى ما كانت عليه قبل ذبحها . مع أنه كان للعزير موقف مماثل وإن كان أوضح في البيان حيث شاهد العظام وهو سبحانه ينشزها ، ثم يكسوها لحمًا . والله تعالى أعلم .

أما قوله تعالى بعد ذلك : ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١] فإن مجيء هذا الأمر بالفاء في هذا الموطن ، فإنه يشعر بأن النظر الدقيق والفكر الدارس ، مما قد يؤدي بصاحبه إلى الاستدلال على وجود الله وعلى قدرته ، كما نطق مؤمن الجاهلية قس بن ساعدة في خطبته المشهورة : ليل داج ، ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهر ، وبحار تزخر ، وجبال مرساة ، وأرض مدحاة ، وأنهار مجراه . فقد ذكر السماء والجبال والأرض .

وكقوله زيد بن عمرو بن نفيل ، مؤمن الجاهلية المعروف :

وأسلمت وجهي لمن أسلمت ∴ له الأرض تحمل صخراً ثقالا

دحاها فلما استوت شدها ∴ سواء وأرسى عليها الجبالا

وأسلمت وجهي لمن أسلمت ∴ له المزن تحمل عذبًا زلالا

إذا هي سيقت إلى بلدة ∴ أطاعت فصبت عليها سجالا

وأسلمت وجهي لمن أسلمت ∴ له الريح تصرف حالاً فحالا

فكان على هؤلاء العقلاء أن ينظروا بدقة وتأمل ، فيما يحيط بهم عامة . وفي تلك الآيات الكبار خاصة ، فيجدون فيها ما يكفيهم . كما قيل :

وفي كل شيء له آية ∴ تدل على أنه واحد

فإذا لم يهدهم تفكيرهم ولم تتجه أنظارهم . فذكِّرهم إنما أنت مذكر . وهذا عام ، أي : سواء بالدلالة على القدرة من تلك المصنوعات ، أو بالتلاوة من آيات الوحي . والعلم عند اللَّه تعالى .

قال القاسمي في «محاسن التأويل» :

﴿ **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ** ﴾ [الغاشية: ١٧] قال أبو السعود: استئناف مسوق لتقرير ما فصل من حديث الغاشية ، وما هو مبني عليه من البعث الذي هم فيه مختلفون ، بالاستشهاد عليه بما لا يستطيعون إنكاره . والهمزة للإنكار والتوبيخ . والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام . وكلمة (كيف) منصوبة بما بعدها ، معلقة لفعل النظر والجملة في حيز الجر على أنها بدل اشتمال من (الإبل) أي: أينكرون ما ذكر من البعث وأحكامه ، ويستبعدون وقوعه من قدرة اللَّه عز وجل، فلا ينظرون إلى الإبل التي هي نصب أعينهم يستعملونها كل حين ، إلى أنها كيف خلقت خلقًا بديعًا معدولاً به عن سنن خلقة سائر أنواع الحيوانات ، في عظم جثتها وشدة قوتها وعجيب هيئتها اللائقة بتأتي ما يصدر عنها من الأفاعيل الشاقة ، كالنوء بالأوقار الثقيلة وجر الأثقال

الفادحة إلى الأقطار النازحة . وفي صبرها على الجوع والعطش، حتى أن أظماءها لتبلغ العشر فصاعدًا . واكتفائها باليسير ، ورعيها لكل ما يتيسر من شوك وشجر وغير ذلك ، مما لا يكاد يرعاه سائر البهائم . وفي انقيادها مع ذلك للإنسان في الحركة والسكون والبروك والنهوض ، حيث يستعملها في ذلك كيفما يشاء ، ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ﴾ التي يشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار ، ﴿كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ أي : رفعت كواكبها رفعًا سحيق المدى ، وأمسك كل منها في مداره إمساكًا لا يختل سيره ولا يفسد نظامه ، ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ﴾ أي : التي ينزلون في أقطارها ﴿كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ أي : أقيمت منتصبة لا تبرح مكانها ، حفظًا للأرض من الميدان ، ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ﴾ أي : التي يضربون فيها ويتقلبون عليها ﴿كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ أي : بسطت ومهدت ، حسبما يقتضيه صلاح أمور ما عليها من الخلائق .

قال الزمخشريّ : والمعنى : أفلا ينظرون إلى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق ، حتى لا ينكروا اقتداره على البعث ، فيسمعوا إنذار الرسول ﷺ ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه .

لطيفة :

ذكر السكاكيّ في « المفتاح » في بحث الجامع الخياليّ ؛ أن جمعه على مجرى الإلف والعادة بحسب ما تنعقد الأسباب في استيداع الصور خزانة الخيال . وأنه لم يوفه حقه من التيقظ وأنه من أهل المدر، أنى يستحلي كلام رب العزة مع أهل الوبر ، حيث يبصرهم

الدلائل ناسقًا ذلك النسق ﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧] الآيات ، لبعد البعير عن خياله في مقام النظر ، ثم لبعده في خياله عن السماء ، وبعد خلقه عن رفعها . وكذا البواقي . لكن إذا وفاه حقه بتيقظه لما عليه تقلبهم في حاجاتهم ، جاء الاستحلاء . وذلك إذا نظر أن أهل الوبر ، إذا كان مطعمهم ومشربهم وملبسهم من المواشي ، كانت عنايتهم مصروفة لا محالة إلى أكثرها نفعًا ، وهي الإبل . ثم إذا كان انتفاعهم بها لا يتحصل إلا بأن ترعى وتشرب ، كان جلّ مرمى غرضهم نزول المطر ، وأهم مسارح النظر عندهم السماء ، ثم إذا كانوا مضطرين إلى مأوى يؤويهم وإلى حصن يتحصنون فيه ولا مأوى ولا حصن إلا الجبال .

لنا جبلٌ يحتلُّه مَن نجيرهُ ∴ منيعٌ يردُّ الطرفَ وهو كليلُ

فما ظنك بالتفات خاطرهم إليها ؟ ثم إذا تعذر طول مكثهم في منزل ـ ومَن لأصحاب مواشي بذاك ـ كان عقد الهمة عندهم بالتنقل من أرض إلى سواها من عزم الأمور . فعند نظره هذا ، أيرى البدويّ إذا أخذ يفتش عما في خزانة الصور له ، لا يجد صورة الإبل حاضرة هناك، أو لا يجد صورة السماء لها مقارنة ، أو تعوزه صورة الجبال بعدهما ، أو لا تَنصّ إليه صورة الأرض تليها بعدهن ؟ لا . وإنما الحضريّ ، حيث لم تتآخذ عنده تلك الأمور ، وما جمع خياله تلك الصور على ذلك الوجه وإذا تلا الآية قبل أن يقف على ما ذكرت ، ظن النسق بجهله معيبًا، للعيب فيه . انتهى .

وقال الرازي في «تفسيره» :

قوله تعالىٰ: ﴿ **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ** ﴾ [الغاشية: ١٧] .

اعلم أنه تعالىٰ لما حكم بمجيء يوم القيامة ، وقسم أهل القيامة إلىٰ قسمين : الأشقياء والسعداء ، ووصف أحوال الفريقين ، وعلم أنه لا سبيل إلىٰ إثبات ذلك إلا بواسطة إثبات الصانع الحكيم، لا جرم أتبع ذلك بذكر هذه الدلالة فقال: ﴿ **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ** ﴾: وجه الاستدلال بذلك علىٰ صحة المعاد أنها تدل علىٰ وجود الصانع الحكيم ، ومتىٰ ثبت ذلك فقد ثبت القول بصحة المعاد . **أما الأول** : فلأن الأجسام متساوية في الجسمية فاختصاص كل واحد منها بالوصف الذي لأجله امتاز علىٰ الآخر، لابد وأن يكون لتخصيص مخصص وإيجاد قادر، ولما رأينا هذه الأجسام مخلوقة علىٰ وجه الإتقان والإحكام علمنا أن ذلك الصانع عالم ، ولما علمنا أن ذلك الصانع لابد وأن يكون مخالفًا لخلقه في نعت الحاجة والحدوث والإمكان علمنا أنه غني ، فهذا يدل علىٰ أن للعالم صانعًا قادرًا عالمًا غنيًّا ، فوجب أن يكون في غاية الحكمة ، ثم إنا نرىٰ الناس بعضهم محتاجًا إلىٰ البعض ، فإن الإنسان الواحد لا يمكنه القيام بمهمات نفسه ، بل لابد من بلدة يكون كل واحد من أهلها مشغولاً بمهم آخر حتىٰ يتنظم من مجموعهم مصلحة كل واحد منهم ، وذلك الانتظام لا يحسن إلا مع التكليف المشتمل علىٰ الوعد والوعيد، ذلك لا يحصل إلا بالبعث والقيامة وخلق الجنة والنار ، فثبت أن إقامة الدلالة علىٰ الصانع الحكيم توجب القول بصحة البعث والقيامة ،

فلهذا السبب ذكر اللَّه دلالة التوحيد في آخر هذه السورة ، فإن قيل: أي مجانسة بين الإبل والسماء والجبال والأرض ، ثم لِمَ بدأ بذكر الإبل ؟ قلنا: فيه وجهان: **الأول:** أن جميع المخلوقات متساوية في هذه الدلالة، وذكر جميعها غير ممكن لكثرتها، وأي واحد منها ذكر دون غيره كان هذا السؤال عائدًا ، فوجب الحكم بسقوط هذا السؤال على جميع التقادير ، وأيضًا فلعل الحكمة في ذكر الأشياء التي هي غير متناسبة التنبيه على أن هذا الوجه من الاستدلال غير مختص بنوع دون نوع ، بل هو عام في الكل على ما قال : ﴿ **وإن من شيء إلا يسبح بحمده** ﴾ [الإسراء : ٤٤] ولو ذكر غيرها لم يكن الأمر كذلك ، لا جرم ذكر اللَّه تعالى أجسامًا غير متناسبة بل متباعدة جدًّا ، تنبيهًا على أن جميع الأجسام العلوية والسفلية صغيرها وكبيرها حسنها وقبيحها متساوية في الدلالة على الصانع الحكيم، فهذا وجه حسن معقول وعليه الاعتماد .

الوجه الثاني : وهو أن نبين ما في كل واحد من هذه الأشياء من المنافع والخواص الدالة على الحاجة إلى الصانع المدبر ، ثم نبين إنه كيف يجانس بعضها بعضًا .

أما المقام الأول : فنقول : الإبل له خواص منها أنه تعالى جعل الحيوان الذي يقتنى أصنافًا شتى: فتارة يقتني ليؤكل لحمه، وتارة ليشرب لبنه، وتارة ليحمل الإنسان في الأسفار، وتارة لينقل أمتعة الإنسان من بلد إلى بلد، وتارة ليكون له به زينة وجمال، وهذه المنافع بأسرها حاصلة في الإبل، وقد أبان اللَّه عز وجل عن ذلك بقوله: ﴿ **أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا**

لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾ [يس: ٧١، ٧٢] ، قال : **﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ﴾** [النحل: ٥ - ٧] ، وإن شيئًا من سائر الحيوانات لا يجتمع فيه هذه الخصال ، فكان اجتماع هذه الخصال فيه من العجائب . **وثانيها** : أنه في كل واحد من هذه الخصال أفضل من الحيوان الذي لا يوجد فيه إلا تلك الخصلة لأنها إن جعلت حلوبة سقت فأروت الكثير ، وإن جعلت أكولة أطعمت وأشبعت الكثير ، وإن جعلت ركوبة أمكن أن يقطع بها من المسافات المديدة ما لا يمكن قطعه بحيوان آخر ، وذلك لما ركب فيها من قوة احتمال المداومة على السير والصبر على العطش والاجتزاء من العلوفات بما لا يجتزئ حيوان آخر ، وإن جعلت حملة استقلت بحمل الأحمال الثقيلة التي لا يستقل بها سواها ، ومنها : أن هذا الحيوان كان أعظم الحيوانات وقعًا في قلب العرب ، ولذلك فإنهم جعلوا دية قتل الإنسان إبلاً ، وكان الواحد من ملوكهم إذا أراد المبالغة في إعطاء الشاعر الذي جاءه من المكان البعيد أعطاه مائة بعير ، لأن امتلاء العين منه أشد من امتلاء العين من غيره ، ولهذا قال تعالى : **﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾** [النحل : ٦] ، ومنها : أني كنت مع جماعة في مفازة فضللنا الطريق فقدموا جملاً وتبعوه ، فكان ذلك الجمل ينعطف من تل ، إلى تل ومن جانب إلى جانب ، والجميع كانوا يتبعونه حتى وصل إلى الطريق بعد زمان طويل ، فتعجبنا

من قوة تخيل ذلك بالحيوان أنه بالمرة الواحدة كيف انحفظت في خياله صورة تلك المعاطف حتى أن الذي عجز جمع من العقلاء إلى الاهتداء إليه فإن ذلك الحيوان اهتدى إليه ، ومنها : أنها مع كونها في غاية القوة على العمل مباينة لغيرها من الانقياد والطاعة لأضعف الحيوانات كالصبي الصغير ، ومباينة لغيرها أيضًا في أنها يحمل عليها وهي باركة ثم تقوم ، فهذه الصفات الكثيرة الموجودة فيها توجب على العاقل أن ينظر في خلقتها وتركيبها ، ويستدل بذلك على وجود الصانع الحكيم سبحانه ، ثم إن العرب من أعرف الناس بأحوال الإبل في صحتها وسقمها ومنافع ومضارها ، فلهذه الأسباب حسن من الحكيم تعالى أن يأمر بالتأمل في خلقتها .

* * *

س ـ هل مهمة الرسول التذكير فقط ؟

ج : ليست مهمة الرسول التذكير فقط ، بل قد أُمر بالجهاد كذلك، قال اللّه سبحانه : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ**﴾ [التحريم: ٩] ، وقال تعالى : ﴿**فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾ [الانفال : ٥٧] .

● وقد يتوهم متوهم أن مهمته التذكير فقط لقوله تعالى : ﴿**إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ**﴾ [الشورى: ٤٨] ولقوله : ﴿**وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ**﴾ [النور: ٥٤] ، ولقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ**﴾ [ق: ٤٥]، ولقوله تعالى : ﴿**لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ**﴾ [الغاشية: ٢٢] ، والذي يظهر لي

لدفع هذا التوهم وجهان :

أحدهما : أن قوله تعالى : ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ﴾ [الشورى: ٤٨] ، وقوله : ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥] ، وقوله : ﴿لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢] ونحوها من الآيات محمولة على أن اللَّه سبحانه وتعالى لن يؤاخذ نبيه على عدم هدايتهم، فأمر الهداية موكول إلى اللَّه.

الثاني : أن هذه الآيات منسوخة[1] بآيات القتال كقوله تعالى : ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] .

* * *

س ـ ما هو نوع الاستثناء في قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ [الغاشية: ٢٣] ؟

ج : **لأهل العلم قولان :**

أحدهما : **أنه استثناء صحيح ، وفي ذلك ثلاثة أوجه أيضًا :**

الوجه الأول : أنه استثناء من قوله فذكر ، فالمعنى : فذكر لكن من تولى وكفر وأعرض عنك فلا تذكره .

الوجه الثاني : أنه استثناء من قوله : ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾

---

(١) وقد نقل الرازي هذا عن أكثر المفسرين بل عن جميعهم

[الغاشية: ٢١] : أي : فذكر فإن الناس ينتفعون بتذكيرك ، لكن من تولى وكفر منهم فلن ينتفع بتذكيرك .

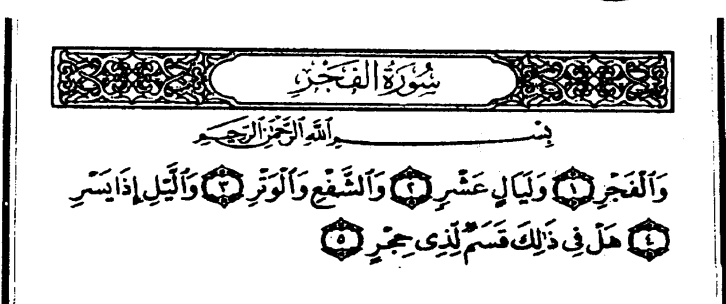
الوجه الثالث : أنه استثناء من ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴾ [الغاشية: ٢٢] ، فالمعنى : لست عليهم بمسلط ، لكن من تولى وكفر فإنك مسلط عليه فقاتله .

والثاني : **أنه استثناء منقطع**[1]، والمعنى : فذكر ومن أعرض عن الذكرى فتولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر .



---

(١) **قال الرازي في «تفسيره»** : قالوا وعلامة كون الاستثناء منقطعًا حُسن دخول أن في المستثنى ، وإذا كان الاستثناء متصلاً لم يحسن ذلك ، ألا ترى أنك تقول عندي مائتان إلا درهمًا ، فلا تدخل عليه أن ، وههنا يحسن أن ، فإنك تقول : إلا أن من تولى وكفر فيعذبه الله .



س ـ اذكر معنى ما يلي : يَسرِ ـ لذي حجر ؟

ج :

الكلمة	معناها
يسـر	يذهب ـ يمضي
لذي حجر	لصاحب عقل

* * *

س ـ ما المراد بالفجر ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك أقوال :**

أحدها: أنه وقت الفجر ، وهو وقت الصبح ، أي : أنه الفجر المعروف الذي هو بدء النهار ، وقيل له : الفجر ؛ لانفجار الظلمة عن النهار .

الثاني : أن المراد به صلاة الفجر .

الثالث : أن المراد بالفجر النهار كله ، وعُبِّر عنه بالفجر لأن الفجر أول النهار .

ثم هل المراد فجر ليلة معينة أو يوم مُعين أم هو عام ؟

فمن العلماء من قال : هو عموم الفجر ، ومنهم من قال : هو خاص ، ولهم في تحديده أقوال منها : أنه فجر ليلة العاشر من ذي الحجة (أي : فجر يوم النحر الذي يكون الناس فيه بمزدلفة) ، ومنهم من قال : إنه فجر أول يوم من محرم ، ومنهم من قال : إنه فجر أول ليلة من ذي الحجة .

* * *

س ـ ما هي أحرف القسم ؟ اذكر مثالاً لكل منها ؟

ج : أحرف القسم ثلاثة وهي : الواو والباء[1] والتاء[2].

أما مثال القسم بالواو ؛ فكما في قوله تعالى : ﴿**قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ**﴾ [الأنعام: ٢٣] .

ومثال القسم بالباء ؛ فكما في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ**﴾ [النمل: ٤٩] .

ومثال القسم بالتاء ؛ فكما في قول الخليل إبراهيم : ﴿**وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم ...**﴾ [الأنبياء: ٥٧] .

* * *

---

(١) الباء الموحدة التحتانية .

(٢) التاء المثناة الفوقانية .

س ـ ما المراد بالليالي العشر ؟

ج : جمهور العلماء على أن المراد بالليالي العشر : هي ليالي العشر الأُول من ذي الحجة .

قال الطبري رحمه الله : والصواب من القول في ذلك عندنا أنها عشر الأضحى لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه .

* * *

س ـ هل ورد في فضل العشر أيام الأول من ذي الحجة خبر عن رسول الله ﷺ ؟

ج : نعم ، ورد في ذلك : ما أخرجه البخاري وغيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : «**ما العمل في أيام العشر أفضل من العمل في هذه**» قالوا : ولا الجهاد ؟ قال : «**ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء**»[1] .

ولفظ أبي داود[2] بإسناد صحيح من حديث ابن عباس أيضًا قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام** » يعني : أيام العشر، قالوا : يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : «**ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء**» .

* * *

(١) أخرجه البخاري (حديث ٩٦٩) .
(٢) أخرجه أبو داود (٢٤٣٨) .

س ـ أيهما أفضل العشر الأول من ذي الحجة أم العشر الأواخر من رمضان ؟

ج : فصَّل بعض أهل العلم في ذلك بين الأيام والليالي ؛ فقال بعضهم : إن أيام العشر الأول من ذي الحجة أفضل من أيام العشر الأواخر من رمضان ، وقال قائل هذا القول : وليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي العشر الأول من ذي الحجة ، والله أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بالشفع والمراد بالوتر ؟

ج : لأهل العلم في ذلك ما يزيد على العشرين قولاً ذكرها الرازي في «تفسيره» ، وابن الجوزي في «زاد المسير» وغيرهما ، نذكر منها ما يلي :

الأول : الشفع هو الخلق كلهم [١] ، والوتر هو الله سبحانه وتعالى[٢] .

الثاني : الشفع يوم النحر ، والوتر يوم عرفة .

الثالث : الشفع اليومان بعد يوم النحر [٣] ، والوتر الثلاث

(١) قال تعالى : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات : ٤٩] .

(٢) قال النبي ﷺ : «إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة ، إنه وتر يحب الوتر» أخرجه البخاري (٧٣٩٢) ومسلم (٦٣ ـ ٢٠) واللفظ لمسلم بالزيادة .

(٣) أي : الحادي عشر والثاني عشر من ذي الحجة ، وهما المذكوران في قوله تعالى : ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة : ٢٠٣] .

عشر [1] من ذي الحجة .

الرابع : الشفع من الخلق [3] ، والوتر من الخلق أيضًا .

الخامس : الشفع هو الصلاة المكتوبة التي هي مثنى أو رباع [4] ، والوتر هي صلاة المغرب .

السادس : الشفع العدد الذي هو شفع (أي : مثنى) ، والوتر العدد المفُرد .

السابع : الشفع أبواب الجنان فهي ثمانية والوتر ، أبواب النار فهي سبعة .

وثمَّ أقوال أُخر .

● **وقال الطبري رحمه اللَّه**: والصواب من القول في ذلك أن يُقال: إن اللَّه تعالى ذكره أقسم بالشفع والوتر ولم يخصص نوعًا من الشفع ولا من الوتر دون نوعٍ بخبرٍ ولا عقل ، وكل شفع ووتر فهو مما أقسم به مما قال أهل التأويل أنه داخل في قسمه هذا العموم قسمه بذلك .

● **وقال الرازي رحمه اللَّه** : واعلم أن الذي يدل عليه الظاهر أن الشفع والوتر أمران شريفان أقسم اللَّه تعالى بهما، وكل هذه الوجوه التي ذكرناها محتمل، والظاهر لا إشعار له بشيء من هذه الأشياء على التعيين

---

(١) المذكور في قوله تعالى : ﴿ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة: ٢٠٣] .

(٢) قال أهل هذه المقالة : إن الخلق منهم شفع ومنهم وتر .

(٣) كالصبح والظهر والعصر والعشاء .

فإن ثبت في شيء منها خبر عن رسول اللَّه ﷺ أو إجماع من أهل التأويل حكم بأنه هو المراد ، وإن لم يثبت فيجب أن يكون الكلام على طريقة الجواز لا على وجه القطع ، ولقائل أن يقول أيضًا : إني أحمل الكلام على الكل لأن الألف واللام في الشفع والوتر تفيد العموم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ﴾ [الفجر: ٥] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : هل في هذه الأيمان التي أقسمت بها كفاية وقناعة لصاحب عقل ، والمراد : أن في هذه الأمور التي أقسمت بها كفاية للعقلاء الذين يعقلون عن اللَّه سبحانه وتعالى أمره .

* * *

س ـ ما هو جواب القسم لقوله تعالى : ﴿ وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ و . . ﴾ [الفجر: ١، ٢] .

ج : جوابه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر: ١٤] ؟

ومن العلماء من قال : جوابه محذوف ، وتقديره : لنعذبن الكافرين واللَّه أعلم .



أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي: ألم تر ـ إرم ـ ذات العماد ـ جابوا ـ الأوتاد؟

ج :

الكلمة	معناها
ألم تر	ألم تعلم ـ ألم تر بعين قلبك ـ ألم يبلغك
إرم	بلدة من البلدان ـ قبيلة من القبائل ـ أمة من الأمم
ذات العماد	ذات الطول
جابوا	خرقوا ـ قطعوا ، ومنه : جاب فلان البلدة قطعها
الأوتاد	جمع وتد

* * *

س- وضح بمزيد من التوضيح أقوال العلماء في ﴿إِرَمَ﴾ [الفجر: ٧]؟

ج: **لأهل العلم في ذلك أقوال منها :**

- أن إرم أمة من الأمم .
- أن إرم المراد بها القديمة .
- أن إرم بلدة من البلدان .
- أن إرم جدُّ عادٍ .
- أن إرم معناه الهالك .

وصوَّب الطبري رحمه اللَّه أنها إما بلدة من البلدان أو قبيلة من القبائل . واللَّه أعلم .

* * *

س- لماذا وصفوا بأنهم ذات عماد ؟

ج : **وصفوا بذلك لأنهم كانوا طوال الأجسام** ، ويشهد لهذا قوله تعالى : ﴿**كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ (١٩) تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ**﴾ [القمر: ١٨ - ٢٠] .

- **وقيل : لشدة أجسامهم وقوتهم** ، ويشهد له قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً**﴾ [فصلت: ١٥] .
- **وقيل : لأن لهم بناء شيدوه بأعمدة .**

● **وقيل : لأن لهم عُمد** وهي أعمدة تكون في وسط الخيمة تبنى عليهم الخيمة وينتقلون بها إلى موطن الكلأ حيث كان .

قال الطبري رحمه اللَّه : وأشبه الأقوال في ذلك بما دلَّ عليه ظاهر التنزيل قول من قال : عُني بذلك أنهم كانوا أهل عمود سيارة ؛ لأن المعروف من كلام العرب من العماد ما عمل به الخيام من الخشب السواري التي يحمل عليها البناء ، ولا يُعلم بناء كان لهم بالعماد بخبر صحيح بل وجه أهل التأويل قوله : ﴿**ذَاتِ الْعِمَادِ**﴾ [الفجر: ٧] إلى أنه عُني به طول أجسامهم وبعضهم إلى أنه عُني به عماد خيالهم ، أما عماد البنيان فلا يُعلم كثير أحد من أهل التأويل وجهه إليه ، **وتأويل القرآن إنما يوجه إلى الأغلب الأشهر من معانيه ما وُجد إلى ذلك سبيل دون الأنكر** .

* * *

س ـ الضمير في قوله تعالى : ﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ﴾ [الفجر: ٨] **يرجع إلى ماذا ؟**

ج : قال بعض العلماء: لم يخلق مثل قوتهم وشدتهم في البلاد، كما قال تعالى : ﴿**فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً**﴾ [فصلت: ١٥] وقال بعضهم : لم يخلق مثل أطوالهم في البلاد ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾ [الفجر : ٩] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : ألم تر كيف فعل ربك بثمود الذين جابوا الصخر بالواد ، أي : خرقوه ، ودخلوا فيه واتخذوه بيوتًا ، كما قال تعالى: ﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴾ [الحجر : ٨٢] .

وجابوا الصخر أي : قطعوه أيضًا .

* * *

س ـ لماذا وصف فرعون بأنه ذو أوتاد ؟

ج : قال بعض أهل العلم : لأنه كانت عنده أوتاد يُعذب عليها الناس، وقد تكون هذه الأوتاد من خشب أو من جذوع النخل ، كما قال لمن آمن من قومه : ﴿ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ [طه : ٧١] .

- ومن العلماء من قال : كانت له أوتاد تحمل مظلات يلعب تحتها ويُلعب له تحتها .
- وقال بعض العلماء: إن معنى ذي الأوتاد: ذي الملك والرجال.
- وذهب بعض المعاصرين إلى أن الأوتاد منها أهرامات مصر[1].

* * *

---

(١) قاله عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» .

س ـ ما المراد بـ ﴿ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ [الفجر: ١٣] **؟ ولماذا عُبر بسوط العذاب ؟**

ج : المراد بسوط العذاب : العذاب الذي عذبوا به ، وعبر بسوط العذاب ؛ لأن المخاطبين كانوا يعرفون ألم التعذيب بالسياط فعبر عن العذاب الذي حل بالأمم بما يعرفه العرب من أليم العذاب ، قاله الطبري .

قلت : ومن العلماء من فسر سوط العذاب بما ذكر في سورة الحاقة إذ قال تعالى : **﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴾** [الحاقة: ٤ ـ ١٠] .

* * *

س ـ وضح معنى قولـه تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر: ١٤] **؟**

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : إن ربك يا محمد لهؤلاء الظالمين بالمرصاد ، يرصد أعمالهم ، ويحصيها عليهم حتى يوفيهم إياها ، ويعطيهم جزاءها ، ويحل بهم عقوبتها .

* * *

س ـ المعاصي سبب لزوال النعم وحلول النقم اذكر بعض الأدلة على ذلك ؟

ج : **من الأدلة على ذلك ما يلي :ـ**

• قوله تعالى : **﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾** [الشورى: ٣٠] .

وقوله تعالى : **﴿ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾** [الفجر: ١٢، ١٣] .

وقوله تعالى: **﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾** [الأعراف:٩٦] .

وقوله تعالى : **﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾** [آل عمران: ١٥٥] .

وقال تعالى : **﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾** [النحل: ١١٢] .

وقال تعالى : **﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾** [المائدة: ١٣] .

وقال تعالى : **﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾** إلى قوله : **﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾** [القلم: ١٧ - ١٩] .

● وقال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٥ - ١٧] .

● وقال تعالى : ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾ إلى قوله : ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٧٦ - ٨١] .

● وقال تعالى : ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٥٧، ٥٨] .

وقال تعالى : ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ...﴾ [الحاقة: ٩، ١٠] إلى غير ذلك من الآيات :



﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾

س ـ وضح المعنى الإجمالي لما يلي :

ابتلاه ـ قدر ـ تحآضون ـ التر اث ـ لمًّا ـ جمًّا ؟

ج :

الكلمة	معناها
ابتـــلاه	اختبره ـ امتحنه
قـــدر	ضيق ـ قتَّر
تحاضون	يحض بعضكم بعضًا ـ يأمر بعضكم بعضًا ـ يحث بعضكم بعضًا
التـــراث	الميراث
لمًّـــا	شديدًا ـ ذريعًا
جمًّـــا	كثيرًا

* * *

س ـ وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ ... ﴾ [الفجر: ١٥] الآية ؟

ج : **قال الطبري رحمه الله : فأما الإنسان إذا ما امتحنه ربه بالنعم** والغنى فأكرمه بالمال وأفضل عليه ونعّمه بما أوسع عليه من فضله فيقول: ربي أكرمن؛ فيفرح بذلك ويسرُّ به، ويقول: ربي أكرمني بهذه الكرامة .

●● ثم قال: وأما إذا ما امتحنه ربه بالفقر فقدر عليه رزقه، يقول : فضيق عليه رزقه وقتره فلم يكثر ماله ولم يوسع عليه، فيقول: ربي أهانن يقول: فيقول ذلك الإنسان: رب أهانني، يقول: أذلني بالفقر، ولم يشكر اللَّه على ما وهب له من سلامة جوارحه ورزقه من العافية في جسمه .

ونقل الطبري بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ **وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ** ﴾ [الفجر: ١٦] : ما أسرع ما كفر ابن آدم يقول اللَّه جل ثناؤه : كلا إني لا أكرم من أكرمت بكثرة الدنيا ولا أهين من أهنت بقلتها ، ولكن إنما أكرم من أكرمت بطاعتي ، وأُهين من أهنت بمعصيتي.

* * *

س ـ الابتلاء قد يكون بالخير، وقد يكون بالشر ، وقد يكون بالغنى، وقد يكون بالفقر ، دلّل على ذلك ؟

ج : **من الأدلة على ذلك ما يلي :**

قال تعالى : ﴿ **وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً** ﴾ [الأنبياء: ٣٥] .

وقوله تعالى : ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨] .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا ..﴾ [الأعراف: ٩٤، ٩٥] .

وقال تعالى : ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦] .

وقال تعالى : ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨] .

وقال تعالى : ﴿فَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٤٩] .

* * *

س - ما هو وجه الإنكار في قوله تعالى : ﴿كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ..﴾ [الفجر: ١٧] ؟

ج : هذا إنكار للفهم الأعوج الذي فهمه الإنسان ، فليس الأمر أيها الإنسان كما زعمت أنك إذا أكرمك اللَّه ونعَّمك تظن أن اللَّه راضٍ عنك ، وأنه سبحانه إذا ضيق عليك في الرزق أنه غير راضٍ عنك ، فليس الأمر على هذا الفهم الذي فهمته فاللَّه عز وجل يبتلي العباد بالسراء والضراء ، وجدير بالإنسان أن يكون صابرًا عند البلاء شاكرًا في

في السراء ، كما قال عليه الصلاة والسلام : **«عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له»**[1] .

* * *

س ـ ميراث مَن الذي يؤكل ؟

ج : كانوا يأكلون ميراث اليتامى والنساء وسائر الضعفاء ، والله أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ كَلاَّ .. ﴾ من قوله عز وجل : ﴿ كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ [الفجر: ٢١] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : ما هكذا ينبغي أن تكون أخلاقكم ، لا ينبغي أن تأكلوا ميراث الضعفاء وميراث اليتامى وميراث النساء وسائر الميراث الذي لا يحل لكم بهذه الصورة ، ولا ينبغي أن تتكالبوا هذا التكالب الشديد على المال .



(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩) من حديث صهيب رضي الله عنه مرفوعًا .

كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

دكت ـ دكًا كًا ـ الملك ـ صفًا صفًا ـ المطمئنة ؟

ج :

الكلمة	معناها
دكـــت	زلزت فدك بعضها بعضًا ، والدك : الكسر والدق ، والدك : حط المرتفع بالبسط
دكًا دكًا	رجًا رجًا ـ زلزلةً زلزلةً ـ تحريكًا تحريكًا
الملـــك	الملائكة
صفًا صفًا	صفوفًا صفوفًا

الكلمة	معناها
المطمئنة	المطمئنة إلى وعد الله الذي وعد به أهل الإيمان في الدنيا من أنه سيكرمهم في الآخرة ـ المصدقة بأن الله ربها ـ المطمئنة بذكر الله ـ الراضية بقضاء الله وقدره .

* * *

س ـ ما هو المعنى بقول الله جل ثناؤه : ﴿ كَلاَّ ﴾ من قوله سبحانه : ﴿ كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ [الفجر : ٢١] .

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ بقوله : ﴿ كَلاَّ ﴾ : أن الأمر ليس كما صنعتم من عدم إكرام اليتيم وعدم الحض على طعام المسكين وأكل الميراث أكلاً ذريعًا وحب المال حبًّا شديدًا ، فما ينبغي أن تكون الأمور هكذا فإذا دكت الأرض دكًّا دكًّا ، وجاء ربك والملك صفًّا صفًّا ، وجيء يومئذ بجهنم ، فيومئذ يتذكر الإنسان أن مسلكه مع الأمور وتصرفه الذي كان يتصرفه مع الأحداث من عدم إكرام اليتيم وعدم الحض على إطعام المسكين وأكل الميراث أكلاً ذريعًا وحب المال حبًّا شديدًا كان خطأ واضحًا .

* * *

س ـ اذكر آية في معنى قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ؟

ج : في معناها : قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي

ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠] ؟

* * *

س ـ كيف يؤتى بجهنم يوم القيامة ؟

ج : ورد في «صحيح مسلم» أن النبي ﷺ قال : «يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»[1]

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ [الفجر: ٢٣] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : فيومئذ ـ أي : يوم القيامة ـ يتذكر الإنسان ويتعظ ويعتبر ، لكن ومن أي وجه يحدث له الانتفاع بهذه التذكرة وبهذا الاتعاظ والاعتبار فلا وجه لانتفاعه به فقد قضي الأمر ، ولا ينفع الظالمين يومئذ معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار .

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٨٤٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا ، وقد انتقد هذا الحديث على مسلم رحمه الله ، فالحديث مروي عند مسلم من طريق حفص بن غياث عن العلاء بن خالد عن شقيق عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ . . . فذكره وأعله الدارقطني كما في « التتبعات » بقوله : « رواه الثوري ومروان وغيرهما عن العلاء بن خالد موقوفًا » «الإلزامات والتتبع» (ص ٣٢٩) .

ودافع النووي عن مسلم فقال : وحفص ثقة حافظ إمام فزيادته الرفع مقبولة كما سبق نقله عن الأكثرين والمحققين ا.هـ .

وذهب بعض أهل العلم إلى أن له حكم الرفع لأنه لا يُقال من قبيل الرأي ، والله أعلم .

س ـ ما المراد بقول الإنسان : ﴿ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ [الفجر: ٢٤]؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ: يا ليتني قدمت لحياتي ـ الأبدية التي لا موت بعدها ـ من الأعمال الصالحة ما ينفعني وينجيني من غضب الله ويورثني رضوانه .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾ [الفجر: ٢٥، ٢٦] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : فيومئذ لا يعذِب كعذاب الله أحدٌ ، ولا يوثِق كوثاقه أحد ، فعذاب الله يوم القيامة لمن أراد له العذاب ليس كعذاب بعضكم لبعضٍ في الدنيا .

ووثاق الله عز وجل يوم القيامة ليس كوثاق بعضكم لبعض في الدنيا .

● ومن العلماء من قال : لا يُعذب كعذاب هذا الكافر المعين أحد ، ولا يوثق بالسلاسل والأغلال كوثاقه أحد لتناهيه في الكفر والفساد .

وقيل : المعنى : لا يعذب مكانه أحد ولا يوثق مكانه أحد ، فلا تؤخذ منه فدية كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ .. ﴾ [الزمر: ٧] .

* * *

س ـ متى يقال : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ [الفجر: ٢٧] ؟

ج : قال بعض العلماء : هذا عند الموت والخروج من الدنيا

- وقال آخرون هذا عند البعث .
- وقال غيرهم هذا عند دخول الجنة ، والله أعلم

* * *

س ـ ما المراد بقوله : ﴿ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾ [الفجر: ٢٨] ؟

ج : من العلماء من قال : إن المعنى : ارجعي إلى الله عز وجل ومنهم من قال : ارجعي إلى جسد عبدي ، فحمل الرب هنا على الصاحب، فالمعنى: ارجعي إلى جسد صاحبك ، وهذا اختيار الطبري.

واستدل له بأن في بعض القراءات ﴿**فَادْخُلِي فِي عَبْدِي**﴾ والله أعلم.

* * *

س ـ ما المراد بقوله : ﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴾ [الفجر: ٢٩] ؟

ج : **لأهل العلم فيها قولان :**

أحدهما : فادخلي أيتها الأنفس المطمئنة إلى أجساد عبادي .

الثاني : فادخلي أيتها النفس المطمئنة في زمرة عبادي الصالحين وجملتهم وفيما أعددته لهم ، وانضمي إليهم ، وانتظمي في سلكهم .

سُورَةُ البَلَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

حلٌّ ـ كبد ـ لُبدا ـ هديناه النجدين ؟

ج :

الكلمة	معناها
حلٌّ	بريء من الإثم والحرج ، ولا تؤاخذ بما يؤاخذ به غيرك إذا حملت السلاح فيها أو قتلت من تشاء من الكفار فيها ـ لست بآثم ـ وقال آخرون : حلال الدم (أي : الكفار يستحلون دمك)
كبد	مشقة ـ عناء ـ تعب ـ نصب من قولهم : كابد فلان

الكلمة	معناها
	الأمور ، وعلى هذا الأكثرون وقال آخرون : إن المراد بالكبد : انتصاب القامة
لُبَــــــــدًا	كثيرًا مجتمعًا
هديناه النجدين	أوضحنا له طريق الخير والشر ، وبيناهما له

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ [البلد: ١] ؟

ج : من العلماء من قال : إن (لا) ردٌّ لشيء قد تقدم ، فكأنهم أنكروا البعث ، وقالوا في ذلك أقاويل فنفاها اللَّه بقوله : لا ، ثم قال سبحانه : أقسم بهذا البلد .

ومن العلماء من قال : إن (لا) زائدة كما في قوله تعالى : **﴿ لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾** [الحديد: ٢٩] ، والمعنى : ليعلم ، وكما في قوله تعالى : **﴿ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾** [الأعراف: ١٢] ، وكما في قول الشاعر :

تذكرت ليلى فاعترتني صبابةٌ ∴ وكاد صميمُ القلب لا يتقطع

أي : وكاد صميم القلب يتقطع .

- ومن العلماء من قال : إن (لا) نافية ، والمعنى : لا أقسم

بهذا البلد أثناء وجودك فيه وإقامتك به . والله أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بالبلد ؟

ج : البلد هي مكة ، وقد نقل الرازي والقرطبي وغيرهما الإجماع على ذلك .

* * *

س ـ وضح معنى قول الله تعالى : ﴿ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴾ [البلد: ٢] ؟

لأهل العلم في ذلك أقوال :

القول الأول وهو الذي عليه الأكثرون : أن المعنى : وأنت حلال بهذا البلد ، أي : في الوقت الذي أُحلت لك فيه هذه البلدة تصنع فيها ما تشاء من قتل أو استحياء .

ولمزيد إيضاح ؛ فإن مكة بلد حرام ـ كما قال النبي ﷺ ـ لا يحل لأحد أن يحمل فيها سلاح ولا يعضد فيها شجر ولا يُنفر فيها صيد ، لكنها أُحلت لرسول الله ﷺ ساعة من النهار يعمل فيها ما يشاء من قتل أو استحياء، وكان ذلك ساعة من النهار كما في «الصحيحين»[1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم فتح مكة : «إن

(١) البخاري حديث (١٥٧٨) ومسلم (حديث ١٣٥٣) .

هذا البلد حرمه اللَّه يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام بحرمة اللَّه إلى يوم القيامة ، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة اللَّه إلى يوم القيامة ، لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرّفها ولا يختلى خلاها» فقال العباس: يا رسول اللَّه : إلا الإذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم فقال : «**إلا الإذخر**» .

● فأقسم اللَّه سبحانه وتعالى بالبلد أثناء إجلاله لرسول اللَّه ﷺ ، فالمعنى : أقسم بهذا البلد أثناء تواجدك فيه ، وقد أحلت لك .

وهذا القول عليه أكثر المفسرين .

وسيرد على هذا الوجه سؤال وجوابه حاصله: أن هذه السورة مكية نزلت قبل الهجرة وإحلال البلدة لرسول اللَّه ﷺ إنما كان عام الفتح .

هذا وقد قال القرطبي رحمه اللَّه في تفسير قوله تعالى : ﴿**وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ**﴾ [البلد: ٢] : يعني في المستقبل ، مثل قوله تعالى : ﴿**إنك ميت وإنهم ميتون**﴾ ، ومثله واسع في كلام العرب تقول لمن تعده الإكرام والحباء : أنت مكرم محبو ، وهو في كلام اللَّه واسع لأن الأحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة ، وكفاك دليلاً قاطعًا على أنه للاستقبال ، وأن تفسيره بالحال محال : أن السورة باتفاق مكية قبل الفتح فروى منصور عن مجاهد ﴿**وأنت حل**﴾ قال : ما صنعت فيه من شيء فأنت في حلٍّ ، وكذا قال ابن عباس : أُحل له يوم دخل مكة أن يقتل من شاء . . . .

القول الثاني : أي : وأنت حلال الدم عندهم ، يستحلون دمك ، ويستحلون قتلك وإيذاءك مع أنهم يحرمون البلدة .

القول الثالث : مبني على أن (لا) نافية ، والمعنى : لا أقسم بهذا البلد أثناء حلولك فيها وإقامتك بها .

* * *

س ـ كيف يجمع بين قوله تعالى : ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ٢] **على التأويل الذي ذكرتموه**[١] **وبين كون هذه السورة مكية ؟**

ج : **قال الرازي في «تفسيره»** : فإن قيل هذه السورة مكية وقوله : **﴿وأنت حل﴾** إخبار عن الحال ، والواقعة التي ذكرتم إنما حدثت في آخر مدة هجرته إلى المدينة فكيف الجمع بين الأمرين ؟ قلنا : قد يكون اللفظ للحال والمعنى مستقبلاً، كقوله: **﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾** [الزمر: ٣٠]، وكما إذا قلت لمن تَعِدْه الإكرام والحباء : أنت مكرم محبو ، وهذا من اللَّه أحسن، لأن المستقبل عنده كالحاضر بسبب أنه لا يمنعه عن وعده مانع.

وعلى هذا فيكون في الآية الكريمة إخبارٌ بالمستقبل ووعدٌ بفتح مكة ، وأنها ستحل له بعد أن كانت حرامًا ، فيقاتل أهلها وينتصر عليهم ، أو أنه تسلية له وأن اللَّه عالم بما يفعلون وسينصره عليهم . قال هذا الأخير عطية سالم .

* * *

(١) أي : الوجه الأول الذي ذُكر .

س ـ اذكر بعض الآيات والأحاديث الواردة في فضل مكة ؟

ج : الإجابة على هذا السؤال قد تقدمت في تفسير سورة البقرة (٢/ ٢٧٢) ، ولكننا رأينا أن وضعها هنا أليق إذ السورة سورة البلد فأقول مكررًا ما ذُكر هناك .

من الآيات الواردة في هذا الباب ما يلي :

• قول اللَّه تبارك وتعالى : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧] .

• وقوله تعالى : ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ٥٧] .

• وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١] .

• وقوله تعالى : ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٣، ٤] .

• وقوله تعالى : ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧] .

• وقوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧] .

• وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [البقرة: ١٢٥] .

• وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [الحج: ٢٦] .

• وقد أقسم اللَّه عز وجل بمكة ؛ فقال سبحانه : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ [التين: ١ - ٣] .

• وقول اللَّه تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج: ٢٥] .

أما الأحاديث فمنها :

قول النبي ﷺ : «**إن إبراهيم حرَّم مكة ودعا لها ، وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ودعوت لها في مُدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم لمكة**».

وقول النبي ﷺ يوم فتح مكة : «**إن هذا البلد حرَّمه اللَّه يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة اللَّه إلى يوم القيامة و إنه لم يحل القتال فيه لأحدٍ قبلي ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة اللَّه إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرَّفها ولا يختلي خلاها**» فقال العباس : يا رسول اللَّه إلا الإذخر فإنه لقينهم

ولبيوتهم فقال : «**إلا الإذخر**»[١] .

● وقال أبو شريح العدوي رضي اللَّه عنه لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلىٰ مكة : ائذن لي أيها الأمير أن أحدثك قولاً قام به رسول اللَّه ﷺ الغد من يوم الفتح - سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به - إنه حمد اللَّه وأثنىٰ عليه ثم قال : « **إن مكة حرمها اللَّه ولم تحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن باللَّه واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا ولا يعضد بها شجرة ، فإن أحد ترخص بقتال رسول اللَّه ﷺ فقولوا : إن اللَّه أذن لرسوله ولم يأذن لكم وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب**»[٢] .

● هذا والصلاة بالمسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد .

● وبه الحجر الأسود ومقام إبراهيم والصفا والمروة .

* * *

س - وضح المراد بقوله تعالىٰ: ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾ [البلد: ٣] ؟

ج : قال كثير من أهل العلم : إن المراد بذلك الوالد وولده ثم جاءت لهم أقوال في تحديد من الوالد ومن ولده .

● فقال بعضهم : الوالد : آدم ، وما ولد : هم ذريته .

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٥٣) والبخاري (١٥٨٧) من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما مرفوعًا .
(٢) أخرجه البخاري (١٨٣٢) ومسلم (١٣٥٤) .

● وقال آخرون: الوالد: إبراهيم ، وما ولد المراد به: إسماعيل .

● وقال آخرون : الوالد : إبراهيم ، وما ولد : ذريته .

● وقال آخرون : الوالد : إبراهيم ، وما ولد : محمد ﷺ .

● واختار قومٌ التعميم ، **فقال الطبري رحمه اللَّه** : والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين قالوا : إن اللَّه أقسم بكل والد وولده ؛ لأن اللَّه عمَّ كل والد وما ولد ، وغير جائز أن يخص ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبرٍ أو عقل ، ولا خبر بخصوص ذلك ، ولا برهان يجب التسليم له بخصوصه ، فهو على عمومه كما عمّه .

● ونحى آخرون من أهل العلم منحًى آخر فقالوا : الوالد : الذي يلد ، وما ولد : العاقر الذي لا يلد ، واللَّه أعلم .

* * *

●س ـ اذكر طرفًا من هذا الكبد الذي خلق الإنسان فيه ؟

ج : هذا الكبد كما قدمنا هو العناء والمشقة والجهد ، وقد لخص القرطبي ذلك فقال : قال علماؤنا : أول ما يكابد قطع سُرَّته ، ثم إذا قُمط قِماطًا ، وشُدَّ رباطًا ، يكابد الضيق والتعب ، ثم يكابد الارتضاع ، ولو فاته لضاع ، ثم يكابد نبت أسنانه ، وتحرّك لسانه ، ثم يكابد الفِطام ، الذي هو أشدّ من اللّطام ، ثم يكابد الختان ، والأوجاع والأحزان ، ثم يكابد المُعَلّم وصَولَته ، والمؤدّب وسياسته ، والأستاذ وهَيبته ، ثم يكابد شغل التَّزْويج والتعجيل فيه ، ثم يكابد

شُغْل الأولاد ، والخدم والأجناد ، ثم يكابد شغل الدور ، وبناء القصور ، ثم الكِبَرَ والهَرَم ، وضعف الركبة والقدم ، في مصائب يكثر تعدادُها ، ونوائب يطول إيرادُها ، من صُداع الرأس ، ووجع الأضراس، ورمد العين ، وغَمّ الدَّين ، ووجع السنّ ، وألم الأذن . ويكابد مِحنًا في المال والنفس ، مثل الضرب والحبس ، ولا يمضي عليه يوم إلاّ يقاسي فيه شدّة ، ولا يكابد إلا مشقة ، ثم الموت بعد ذلك كله ، ثم مساءلة المَلَك ، وضَغْطة القبر وظلمته ؛ ثم البعث والعرض على اللَّه ، إلى أن يستقرّ به القرار ، إما في الجنة وإما في النار؛ قال اللَّه تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ [البلد: ٤] ، فلو كان الأمر إليه لما اختار هذه الشدائد . ودلّ هذا على أن له خالقًا دبَّره ، وقضى عليه بهذه الأحوال ؛ فليمتثل أمره .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾ [البلد: ٥] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : أيحسب ذلك الإنسان أن لن يغلبه ويقهره ويعاقبه أحد .

وقال بعض العلماء : أيحسب أن لن يستطيع أحد أن يغير أحواله وما عليه من القوة والشدة إلى الضعف والخور ؟ !!

* * *

س ـ ما هو وجه قوله : ﴿ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا ﴾[البلد: ٦] ؟

ج : الظاهر ـ واللَّه أعلم ـ : أن لذلك وجهان :

أحدهما : أن الكافر يزعم لإخوانه الكفرة أنه أنفق الكثير في عداوة محمد ﷺ .

الثاني : أن المنافق يزعم أنه أنفق أموالاً كثيرة لنصرة الدين ، فليدرك هذا وذاك أن اللَّه يراهما ويحاسبهما على ما صنعا وفيما أنفقا .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴾ [البلد: ٧] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : أيظن هذا الذي يزعم أنه أنفق مالاً كثيرًا أن أحدًا لم يطلع عليه ويعلم ما يصنع ؟ !!

* * *

س ـ ما هو وجه إتباع قوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴾ [البلد: ٧] بقوله : ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴾ [البلد: ٨] ؟

ج : لذلك وجهان :

أحدهما : أنه إن أنفق فقد أعطيناه نعمًا أوسع مما أنفقه ، فقد جعلنا له عينين ولسانًا وشفتين . . . .

الثاني : أننا جعلنا له عينين ولسانًا وشفتين تشهد عليه يوم القيامة

بما صنع وتكلَّم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: ١٠] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : أوضحنا له طريق الخير وطريق الشر [١] ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ٣] والنجد هو الطريق المرتفع أو الآخذ في الارتفاع .



(١) هذا القول عليه أكثر أهل العلم ، ومن العلماء من قال المراد: بالنجدين: الثديان ، فالمعنى: ألهمناه أن يمص الثديين ، وهذا قول بعيد ، وإن كان صحيحًا في نفسه ، فرب العزة ألهم الطفل مص الثديين ، لكن كون ذلك تفسيرًا للآية ففي ذلك نظر ، والله أعلم .

فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ (٢٠)

س ـ اذكر معنى ما يلي : ـ

العقبة ـ فك رقبة ـ مسغبة ـ ذا مقربة ـ ذا متربة ـ تواصوا بالصبر ـ تواصوا بالمرحمة ـ أصحاب الميمنة ـ أصحاب المشأمة ـ مؤصدة ؟

ج :

الكلمة	معناها
العقبة	عقبة في جهنم ـ جبل في جهنم
فك رقبة	عتق رقبة وفكها من الرِّق وأسر العبودية
مسغبة	مجاعة، والساغب هو الجائع، ومنه قول الشاعر: **فلو كنت جاراً يابن قيس لعاصم** **لما بت شبعانًا وجارك ساغبًا**
ذا مقربة	ذا قرابة ـ قرب لك
ذا متربة	ذا فقر شديد قد ألصق الفقر بالتراب ، وهو ذو

الكلمة	معناها
	العيال الكثيرين الذين لصقوا بالتراب من الضر وشدة الحاجة
تواصـو بالصـبر	أوصى بعضهم بعضًا بالصبر (أي : بالصبر على طاعة اللّه ، وعن معاصيه ، وعلى ما أصابهم من البلايا والمصائب والمحن والشدائد) .
تواصوا بالمرحمة	أوصى بعضهم بعضًا برحمة الناس وحث بعضهم بعضًا على ذلك
أصحاب الميمنة	أصحاب اليمين ـ الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم
أصحاب المشأمة	أصحاب الشمال ـ الذين يؤتون كتبهم بشمالهم
مؤصـــــدة	مغلقة ـ مطبقة

❊ ❊ ❊

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿فلا اقتحم العقبة﴾ [البلد: ١١] ؟

ج : المعنى ـ واللّه أعلم ـ : أن هذا الإنسان الذي تقدم ذكره ، وأنه خلق في كبدٍ : لم يقتحم العقبة ولم يعمل أعمالاً تجعله يقطعها ويمر بها مرورًا سريعًا ويتجاوزها وينجو منها .

ومعنى آخر : أفلا اقتحم هذا الإنسان العقبة، أي : أفلا عمل عملاً

ينجيه من هذه العقبة ، وهذا العمل الذي ينجيه من هذه العقبة هو فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبةٍ.

ومعنى ثالث : فلا اقتحم العقبة: لا فك رقبة ولا أطعم في يوم ذي مسغبة ، ولا كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة .

* * *

س ـ ما هو وجه الرفع في قوله تعالى : ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ [البلد: ١٣] ؟

ج : رفع ﴿ فَكُّ ﴾ على أنه خبر ، والمعنى : اقتحام العقبة فكٌّ رقبة ، ففك الرقبة خبر عن اقتحام العقبة ، والله أعلم .

* * *

س ـ وضح المراد بالفقير والمسكين ، وأيهما أشد حاجة من الآخر ؟

ج : قال بعض أهل العلم في الفقير : إنه الذي لا يجد شيئًا أو شيئًا قليلاً ، والمسكين الذي يجد شيئًا ولكن لا يكفيه ، ومما يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ **أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر** ﴾ [الكهف : ٧٩] .

وقد ذهب كثير من أهل العلم إلى أن اصطلاح المسكين والفقير إذا اجتمعا افترقا ، وإذا افترقا اجتمعا ، ومعنى هذا : أنه إذا جاء ذكر الفقير والمسكين في سياق واحد فيكون للفقير معنى وللمسكين معنى آخر ، فيكون الفقير أشد حاجة من المسكين ، أما إذا ورد ذكر المسكين في

سياق ليس فيه ذكر الفقير فيدخل في معناه الفقير ، وكذلك إذا ورد ذكر الفقير في سياق ولم يرد فيه ذكر المسكين دخل المسكين في معنى الفقير، والله تعالى أعلم .

* * *

س ـ **الإيمان شرط لقبول العمل فلا يقبل العمل من مشرك فلماذا أُخر العمل في قوله تعالى** ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا .... ﴾ [البلد: ١٧] ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك أقوال :**

أحدها : أن (ثم) للترتيب في الذكر لا للترتيب في الزمن كما قال الشاعر :

إن من ساد ثم ساد أبوه ∴ ثم قد ساد قبل ذلك جده

فلم يرد ـ بقوله : ثم ساد ـ أبوه التأخر في الوجود والزمن ، وإنما المعنى : ثم اذكر أنه ساد أبوه .

● وهي بمعنى الواو ، كما في قوله تعالى : ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ [طه: ١١٢] .

ففك الرقبة والإطعام في يوم ذي مسغبة من الصالحات ، وقوله : ثم كان من الذين آمنوا .... من الإيمان .

● وكقوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الإسراء: ١٩] .

• وكقوله تعالى : ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ... ﴾ [غافر: ٤٠] .

الثاني: أن المراد بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا .... ﴾ [البلد: ١٧] أنه ختم له بالإيمان ومات على الإسلام ، أي : أنه فك رقبة وأطعم الفقراء والمساكين ، ثم مات على الإسلام ولم يرتد ولم يغير ولم يبدل وتواصى بالحق وتواصى بالصبر مبتغيًا بذلك وجه اللَّه .

الثالث : أنه كان في جاهلية يعمل أعمالاً صالحة من عتق الرقاب وإطعام الفقراء والمساكين ، ثم لما جاء الإسلام أسلم وحسن إسلامه وتواصى بالحق وتواصى بالصبر[1] .

الرابع : أن المراد من قوله : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾ [البلد: ١٧] : تراخي الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة ؛ لأن ثواب الإيمان أعظم بكثير من درجة ثواب سائر الأعمال ، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س ـ اذكر بعض الآيات التي تحث المؤمنين على التواصي بالصبر؟

ج : من ذلك : قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا

(١) وهذا (الثالث) على قول من يرى أن الكافر ينتفع بالأعمال الصالحة التي عملها في جاهليته وأسلم بعدها .

وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ [البلد: ١٧، ١٨] .

وقوله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر: ١ - ٣] .

وقول لقمان : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ﴾ [لقمان: ١٧] .



سُورَةُ الشَّمْسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي : ضحاها ـ تلاها ـ جلاها ـ يغشاها ـ بناها ـ طحاها ـ سواها ـ فألهمها فجورها وتقواها ـ زكاها ـ دساها ـ بطغواها ـ انبعث ـ دمدم ؟

ج :

الكلمة	معناها
ضحاهـا	ضوؤها ـ النهار كله ـ حرُّها
تلاهـا	تبعها
جلاَّهـا	أظهرها وأوضحها ـ جلّى الظلمة عنها

الكلمة	معناها
يغشاها	يغطيها حتى تغيب
بناها	جعلها للأرض سقفًا ـ خلقها
طحاها	بسطها يمينًا وشمالاً ومن كل جانب (وهذا رأي أكثر المفسرين)
سوَّاها	عدلَّ خلقها
فألهمها فجورها وتقواها	بيَّن لها ما تكون به فاجرة وما تكون به تقية ـ عرَّفها ، وقال بعض العلماء : جعل فيها فجورها أو تقواها
زكَّاها	طهرها من الكفر والمعاصي وأصلحها بالأعمال الصالحة وبطاعة اللَّه
دسَّاها	أخفاها عن الخير وأبعدها عن الصلاح وخذلها وصدها عن الهدى حتى وقع في المعاصي وترك طاعة اللَّه
بطغواها	بسبب طغيانها (أي: أن طغيانها حملها على التكذيب)
انبعث	نهض ـ خرج ـ انتُدب ـ (أي : نهض أشقى القبيلة لقتل الناقة)
دمدم	دمر ـ أطبق عليهم العذاب ـ أهْلَكَ

* * *

س ـ من العلماء من قال : إن قوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴾ [الشمس: ١] فيه مقدر محذوف والتقدير : (ورب الشمس وضحاها) ، فهل هذا الكلام مستقيم ؟

ج : الذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ : أنه لا يستقيم ، إذ الأصل عدم التقدير ، ثم إن رب العزة سبحانه يقسم بما شاء من مخلوقاته .

ومما يعكر على هؤلاء القائلين بتقدير محذوف قوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴾ [الشمس: ٥] ، فإذا قدرت فستقول : ورب السماء ورب ما بناها ، فهذا سيكون خطأ واضح ، فالذي بناها هو ربها ، والله تعالى أعلم .

* * *

س ـ الضمير في قوله تعالى : ﴿ جَلَّاهَا ﴾ [الشمس: ٣] راجع إلى ماذا ؟

ج : جمهور المفسرين على أن المراد بـ ﴿ جَلَّاهَا ﴾ أي : جلى الظلمة ، فالضمير راجع إلى الظلمة .

- ومن أهل العلم من قال : إن الضمير راجع إلى الشمس : أي: والنهار إذا جلى الشمس وأظهرها .

- ومنهم من قال : والنهار إذا جلالها : أي : إذا جلّى البسيطة ، وهي الأرض ، والله أعلم .

* * *

س ـ لماذا استعملت ﴿ ما ﴾ في قوله تعالى : ﴿ والسماء وما بناها ﴾ [الشمس: ٥] ولم تستعمل مَنْ ؟

ج : من العلماء من قال : إن ﴿ مَا ﴾ هنا بمعنى (مَنْ) ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾ [البلد: ٣] ، أي : ووالد ومن ولد ، وكقوله تعالى : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ ﴾ [النساء: ٣] ، أي : من طاب لكم .

ومن العلماء من قال : إن إيراد ﴿ مَا ﴾ على (من) لإرادة الوصفية لقصد التفخيم ، كأنه قال : والقادر العظيم الذي بناها ، والله أعلم .

* * *

س ـ الواو في قوله تعالى: ﴿ والشمس وضحاها ﴾ [الشمس: ١] واو القسم ، فأين جواب القسم ؟

ج : جواب القسم هو : قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [الشمس: ٩، ١٠] ؟

* * *

س ـ الضمير في قوله تعالى : ﴿ قد أفلح من زكاها ﴾ [الشمس: ٩] يرجع إلى من ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك قولان :**

أحدهما : أنه يرجع إلى الله سبحانه وتعالى ، ويشهد لذلك أدلة

منها : قوله تعالىٰ : ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٩] ، وقوله تعالىٰ : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١] .

وقول النبي ﷺ : «اللهم آت نفسي تقواها وزكِّها أنت خير من زكاها....»[١] .

الثاني : أنه يرجع إلىٰ العبد ، والمعنىٰ : قد أفلح من زكَّىٰ نفسه وطهرها من الذنوب والمعاصي ، ويشهد لهذا القول : قوله تعالىٰ : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤] ، وقوله تعالىٰ : ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ﴾ [فاطر: ١٨] ، وقوله تعالىٰ : ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٨] .

وقوله تعالىٰ : ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ﴾ [عبس: ٣] .

● والجمع بين الوجهين ممكن .

قال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» :

والذي يظهر والله تعالىٰ أعلم : أن الجمع بين تلك النصوص كالجمع في التي قبلها ، وأن من يتزكىٰ به العبد من إيمان وعمل في طاعة وترك لمعصية . فإنه بفضل من الله ، كما في قوله تعالىٰ المصرح بذلك : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١] .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٢) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه مرفوعًا .

وكل النصوص التي فيها عود الضمير أو إسناد التزكية إلى العبد ، فإنها بفضل من اللَّه ورحمة ، كما تفضل عليه بالهدى والتوفيق للإيمان، فهو الذي يتفضل عليه بالتوفيق إلى العمل الصالح . وترك المعاصي ، كما في قولك : «لا حول ولا قوة إلا باللَّه» وقوله : ﴿ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ﴾ [النجم: ٣٢]، وقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ ﴾ [النساء: ٤٩] ، إنما هو بمعنى المدح والثناء ، كما في قوله تعالى : ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات: ١٤] ، بل إن في قوله تعالى : ﴿ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ [النساء: ٤٩] الجمع بين الأمرين ، القدري والشرعي ، بل اللَّه يزكي من يشاء بفضله ، ولا تظلمون فتيلاً بعدله . واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س ـ اذكر بمزيد من التفصيل معنى قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [الشمس: ١٠] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : قد خاب من خذل نفسه وأخفاها وأبعدها عن الطاعات والهدى حتى وقع في المعاصي واختفى فيها وغمرته .

وقيل : إن المعنى : قد خاب من دسس اللَّه له نفسه وخذَّله عن طاعة ربه وبارئه .

وأصل التدسيس الإخفاء .

قال الرازي في «تفسيره» :

أما قوله تعالىٰ : ﴿ **وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** ﴾ [الشمس: ١٠] فقالوا : ﴿ **دَسَّاهَا** ﴾ أصله: دسسها من التدسيس، وهو إخفاء الشيء في الشيء، فأبدلت إحدىٰ السينات ياء ، فأصل دسىٰ دسس ، كما أن أصل تقضىٰ البازي : تقضض البازي ، وكما قالوا لبيت والأصل لببت ، وملبىٰ والأصل: ملبب ، ثم نقول : أما المعتزلة فذكروا وجوهًا توافق قولهم: **أحدها** : أن أهل الصلاح يظهرون أنفسهم ، وأهل الفسق يخفون أنفسهم ويدسونها في المواضع الخفية ، كما أن أجواد العرب ينزلون الربا حتىٰ تشتهر أماكنهم ويقصدهم المحتاجون، ويوقدون النيران بالليل للطارقين. وأما اللئام فإنهم يخفون أماكنهم عن الطالبين. **وثانيها** : ﴿ **خَابَ مَن دَسَّاهَا** ﴾ أي : دس نفسه في جملة الصالحين وليس منهم . **وثالثها** : ﴿ **مَن دَسَّاهَا** ﴾ في المعاصي حتىٰ انغمس فيها . **ورابعها** : ﴿ **مَن دَسَّاهَا** ﴾ من دس في نفسه الفجور ، وذلك بسبب مواظبته عليها ومجالسته مع أهلها . **وخامسها** : أن من أعرض عن الطاعات ، واشتغل بالمعاصي صار خاملاً متروكًا منسيًّا ، فصار كالشيء المدسوس في الاختفاء والخمول . وأما أصحابنا فقالوا : المعنىٰ : خابت وخسرت نفسٌ أضلها اللَّه تعالىٰ وأغواها وأفجرها وأبطلها وأهلكها ، هذه ألفاظهم في تفسير ﴿ **دَسَّاهَا** ﴾، قال الواحدي رحمه اللَّه : فكأنه سبحانه أقسم بأشرف مخلوقاته علىٰ فلاح مَنْ طهره وخسار مَنْ خذله ، حتىٰ لا يظن أحد أنه هو الذي يتولىٰ تطهير نفسه أو إهلاكها بالمعصية من غير قدر متقدم وقضاء سابق .

وقال ابن القيم رحمه الله «التفسير القيم» :

وأصل التدسية الإخفاء ، ومنه : قوله تعالى : ﴿**أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ**﴾ [النحل: ٥٩] ، فالعاصي يدُس نفسه بالمعصية ، ويخفي مكانها ، ويتوارى من الخلق من سوء ما يأتي به ، قد انقمع عند نفسه ، وانقمع عند اللَّه ، وانقمع عند الخلق ، فالطاعة والبر تُكبر النفس وتعزها وتُعليها حتى تصير أشرف شيءٍ وأكبره وأزكاه وأعلاه ، ومع ذلك فهي أذل شيء وأحقره وأصغره للَّه تعالى .

وبهذا الذل للَّه حصل لها العز والشرف والنمو فما صغَّر النفس مثل معصية اللَّه ، وما كبرها وشرَّفها ورفعها مثل طاعة اللَّه .

❊ ❊ ❊

س - اذكر بمزيد من الإيضاح أقوال العلماء في تأويل قوله تعالى : ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ [الشمس: ١١] ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك أقوال :**

أحدها : كذبت قبيلة ثمود بمعصيتها للَّه ، أي : أن طغيانهم وعصيانهم حملهم على التكذيب ، وهذا القول عليه أكثر أهل العلم .

الثاني : من العلماء من قال : إن الطغوى هي العذاب الذي عُذب به قوم صالح (أي : قبيلة ثمود) ، فلما وعدهم صالح هذا العذاب كذبوا به ، واستدل القائلون بهذا القول بقوله تعالى : ﴿**فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ**﴾ [الحاقة: ٥] .

الثالث : أن قوله : بطغواها ، معناه: بأجمعها ، أي: كذبت ثمود كلها ، وهذا القول ضعيف عندي أيضًا ، وأقواها أولها ، والله أعلم .

* * *

س ـ قوله تعالى : ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ [الشمس: ١١] **، ما هو الشيء الذي كذبت به ثمود ؟**

ج : كذبت ثمود بالعذاب الذي وعدهم به نبيهم صالح ، كما قال تعالى : **﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾** [الأعراف: ٧٧] .

● وكذبوا بالبعث والقيامة ، كما قال تعالى : **﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾** [الحاقة: ٤] ، وكذبوا برسالة صالح عليه الصلاة والسلام ، كما قال تعالى : **﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾** [الأعراف: ٧٥، ٧٦] .

* * *

س ـ إلى ماذا يرجع الضمير في قوله : ﴿أَشْقَاهَا﴾ [الشمس: ١٢] **؟**

ج : أشقى قبيلة ثمود كما جاء في «الصحيحين» وغيرهما عن رسول الله ﷺ : **«إذ انبعث أشقاها : انبعث لها رجل عارمٌ عزيز منيع في**

رهطه كأبي زمعة ...»[1].

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ [الشمس: ١٣] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : أن رسول الله صالح عليه الصلاة والسلام حذر قومه فقال لهم : احذروا الناقة ـ ناقة الله ـ فلا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب عظيم ، واحذروا سقياها ، أي : الماء الذي تشرب منه في اليوم الذي لها ، فقد كان للناقة يوم تشرب منه من البئر ، وهم يشربون اليوم الآخر ، كما قال تعالى : ﴿هَذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥ ، ١٥٦] .

* * *

س ـ كل الأرض لله ، وكل النوق لله ، فلماذا خصت الناقة بأنها (ناقة الله) ؟

ج : الإضافة في قوله تعالى : ﴿ناقة الله﴾ [الشمس : ١٣] إضافة تشريف للناقة ، وإن كانت كل النوق لله .

وكذلك فالمساجد كلها لله لكن قيل عن البيت الحرام :

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٩٤٢) ومسلم (حديث ٢٨٥٥) من حديث عبد الله بن زمعة رضي الله عنه مرفوعًا .

(بيت اللَّه) تشريفًا للبيت الحرام .

والأرض كلها للَّه ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ [الأعراف: ١٢٨] ، لكن قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ﴾ [الجن: ١٨] تشريفًا للمساجد وتعظيمًا لشأنها ، واللَّه أعلم .

❊ ❊ ❊

س ـ إذا ارتكب شخص معصية فأقره قومه نُسب إليهم الفعل وحلّ بهم العتاب ، اذكر ما يدل على ذلك .

ج ـ من الأدلة على ذلك : قوله تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾ [الشمس: ١٤] فنسب العقر إليهم جميعًا مع أن الذي عقرها واحد ، لكن لما أقروه على فعله ولم يمنعوه منه كانوا مشاركين له في الفعل ونسب العقر إليهم جميعًا .

● ومن الأدلة أيضًا : قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥] .

● وقوله عليه الصلاة والسلام : «مثل القائم على حدود اللَّه والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة .....» الحديث[1] .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٩٣) من حديث النعمان بن بشير رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال : «مثل القائم على حدود اللَّه والواقع فيها كمثل قومٍ استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا .

● وقوله عليه الصلاة والسلام : «**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم اللَّه بعقابه**»[1]

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ [الشمس: ١٥] .

ج : **جمهور المفسرين على أن المراد : أن اللَّه سبحانه وتعالى لا يخاف عاقبة الذي صنعه بقبيلة ثمود من إنزاله العذاب عليهم .**

● ومن العلماء من قال : إن المراد أن صالحًا عليه السلام لا يخاف من أحد عاقبة ما أحله اللَّه بثمود .

● والقول الثالث : أن أشقى ثمود وهو الذي عقر الناقة عقرها وهو لا يخشى اللَّه ولا يخاف العقوبة من قتلها .



(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٢ ، ٥ ، ٧ ، ٩) وأبو داود في «الملاحم» (٤٣٣٨) وابن ماجة (٤٠٠٥) والترمذي مع «تحفة الأحوذي» (٦/ ٣٨٨) وعبد بن حميد في «المنتخب» (بتحقيقي رقم ١) بإسناد صحيح من حديث أبي بكر رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ .
وقد روي الحديث موقوفًا ومرفوعًا ، ولمزيد من الكلام عليه انظر تعليقي على حديث رقم (١) من «المنتخب» لعبد بن حميد .

سورة الليل

بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ (١) وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ (٣)
إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ (٤) فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ (٦)
فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ
(٩) فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ (١٠) وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ (١١) إِنَّ عَلَيۡنَا
لَلۡهُدَىٰ (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ (١٣) فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ (١٤)
لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى (١٥) ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا
ٱلۡأَتۡقَى (١٧) ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن
نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ (١٩) إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ (٢٠) وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ (٢١)

س ـ اذكر معنى كل مما يأتي :

يغشى ـ تجلى ـ إن سعيكم لشتى ـ فسنيسره لليسرى ـ فسنيسره للعسرى ـ تردى ـ الآخرة ـ الأولى ـ تلظى ـ يصلاها ـ سيجنبها ـ الأتقى ـ يؤتي ـ يتزكى ؟

ج :

الكلمة	معناها
يغـــشى	يغطي (أي : يغطي النهار بظلمته)

الكلمة	معناها
تجلى	أضاء فأنار وظهر للأبصار ـ انكشف
إن سعيكم لشتى	إن عملكم لمختلف[١]
فسنيسره لليسرى	سنهيئه لعمل الخير وعمل أهل السعادة[٢]
فسنيسره للعسرى	سنهيئه لعمل الشر وعمل ما يجب له النار وعمل أهل الشقاوة
تردى	سقط (أي : سقط في جهنم)
الآخرة	الدار الآخرة ، وقيل : إن المراد الجنة
الأولى	الدنيا
تلظى	تتوهج
يصلاها	يدخلها فيصلى سعيرها ـ يدخلها دخولاً فتحيط

(١) أي : أن منكم من يعمل الصالحات ، ومنكم من يفعل المحرمات ، ومنكم الشقي ، ومنكم التقي ، ومنكم المطيع ، ومنكم العاصي .

(٢) ومما يدل على أن الحسنى هي عمل أهل السعادة ما أخرجه البخاري (٤٩٤٨) من حديث علي رضي الله عنه قال : كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال : «ما منكم من أحد ، وما من نفس منفوسة إلا كُتب مكانها من الجنة والنار ، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة» ، قال رجل: يارسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى أهل السعادة ، ومن كان منا من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة ؟ قال : «أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاء» ، ثم قرأ ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ [الليل: ٥، ٦] الآية .

الكلمة	معناها
	به من كل جانب
سيجنبهـــــا	سيُبعد عنها
الأتقـــــى	التقي
يؤتـــــى	يُعطى
يتزكـــــى	يتطهر

* * *

س ـ وضـح معنـى قولـه تعالـى : ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ ﴾ [الليل: ٣] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : والذي خلق الذكر والأنثى .

وقال آخرون : إن الله سبحانه وتعالى أقسم بخلق الذكر والأنثى ، فالمعنى : وخلق الذكر والأنثى . والله تعالى أعلم .

* * *

س ـ هل صح الإسناد بأن النبي ﷺ قرأ : ﴿ والذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ ﴾ [الليل: ٣] أي بدون ذكر وما خلق ؟

ج : نعم صح الإسناد بذلك ففي «الصحيحين»[1] من طريق علقمة

(١) البخاري (حديث ٤٩٤٣) ومسلم (٨٢٤) .

قال : دخلت في نفرٍ من أصحاب عبد اللَّه الشام فسمع بنا أبو الدرداء فأتانا فقال : أفيكم من يقرأ ؟ فقلنا : نعم ، قال: فأيُّكم أقرأ ؟ فأشاروا إليَّ فقال : اقرأ فقرأت ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَالذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ﴾ [الليل: ١ - ٣] قال : أنت سمعتها من فيِّ صاحبك ؟ قلت : نعم . قال : وأنا سمعتها من فيِّ النبي ﷺ ، وهؤلاء يأبون علينا [١].

* * *

س ـ أقسم اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿ باللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل: ١] فما هو جواب القسم ؟

ج : جوابه هو : قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل: ٤] .

* * *

س ـ قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾ [الليل: ٥] أعطى ماذا واتقى ماذا ؟

ج : أعطى المال في سبيل اللَّه ، واتقى اللَّه ، واجتنب محارمه .

* * *

س ـ ما المراد بالحسنى في قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ [الليل: ٥، ٦] ؟

(١) في رواية البخاري (٤٩٤٤) : وهؤلاء يريدونني ان اقرأ ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ﴾ [الليل: ٣] ، واللَّه لا أتابعهم .

ج : **لأهل العلم في تحديدها أقوال :**

أحدها : أن المراد بالحسنى وعد اللَّه عز وجل بأنه سيخلف على المنفق ، كما قال تعالى : **﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾** [سبأ: ٣٩] ، وكما قال رسول اللَّه ﷺ : **«ما من يوم يُصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقًا خلفًا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكًا تلفًا»**(١) .

الثاني : أن المراد بالحسنى الجنة ، لقول اللَّه تعالى : **﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾** [يونس: ٢٦] .

الثالث : أن المراد بالحسنى : قول لا إله إلا اللَّه .

***

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٤٢) ومسلم (١٠١٠) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

فائدة : قال القرطبي رحمه اللَّه :

مسألة : قال العلماء : ثبت بهذه الآية وبقوله: **﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾** [البقرة: ٣] ، وقوله : **﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾** [البقرة: ٢٧٤] إلى غير ذلك من الآيات ـ أن الجود من مكارم الأخلاق ، والبخل من أرذلها . وليس الجواد الذي يعطي في غير موضع العطاء ، ولا البخيل الذي يمنع في موضع المنع ، لكن الجواد الذي يعطي في موضع العطاء ، والبخيل الذي يمنع في موضع العطاء ، فكل من استفاد بما يعطي أجرًا وحمدًا فهو الجواد . وكل من استحق بالمنع ذمًّا أو عقابًا فهو البخيل . ومن لم يستفد بالعطاء أجرًا ولا حمدًا ، وإنما استوجب به ذمًّا فليس بجواد ، وإنما هو مسرف مذموم ، وهو من المبذِّرين ، الذين جعلهم اللَّه إخوان الشياطين ، وأوجب الحجْر عليهم . ومن لم يستوجب بالمنع عقابًا ولا ذمًّا ، واستوجب به حمدًا ، فهو من أهل الرشد ، الذين يستحقون القيام على أموال غيرهم ، بحسن تدبيرهم وسداد رأيهم .

س ـ قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴾ [الليل: ٨] بخل بماذا واستغنى عن ماذا ؟

ج : بخل بالزكاة وبخل بحق اللّه عليه ، وبخل بأعمال البر ، واستغنى عن ربه وعما أعده اللّه للمطيعين .

* * *

س ـ ما المراد بالتكذيب بالحسنى ؟

ج : المراد ـ واللّه أعلم ـ : التكذيب بوعد اللّه بالخلف على الإنفاق ، والتكذيب برسالة اللّه ، والتكذيب بالجنة ، والتكذيب بالتوحيد .

* * *

س ـ المال لا ينفع صاحبه يوم القيامة إلا من أنفق ماله في طاعة اللّه عز وجل اذكر بعض الأدلة على ذلك ؟

ج : من ذلك قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾ [سبأ: ٣٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴾ [الليل: ١١] .

● وقول الكافر : ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي

سُلْطَانِيَهْ ﴾ [الحاقة: ٢٨، ٢٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٦] .

● وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُوْلَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا ﴾ [الأنعام: ٧٠] .

● وقول النبي ﷺ : «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»[١] .

● وقوله عليه الصلاة والسلام : «يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله»[٢] .

● وقوله عليه الصلاة والسلام : «يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك وإن تمسكه شر لك ..»[٣] .

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم (حديث رقم ٢٩٦٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ .

(٣) أخرجه مسلم (حديث ١٠٣٦) .

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾﴾ [الليل: ١٢]؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : إن علينا بيان طريق الهداية وطريق الغواية ، أي : أن المراد بالهداية هنا هداية الدلالة كما قال تعالى : ﴿وهديناه النجدين﴾ ، وكما قال سبحانه : ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣] .

● ومن العلماء من قال : إن المراد بالهداية هنا هداية التوفيق ، فالمعنى: أن الأمر في الهداية موكول إلينا، وكذلك الأمر في الإضلال ، فلن يهتدي أحد إلا إذا هداه الله ، ولن يضل أحد إلا إذا أضله الله ، كما قال تعالى : ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٨] ، وكما قال تعالى : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣] ، وكما قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٠٠] ، وكما قال تعالى : ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ [الأعراف: ١٨٦] إلى غير ذلك من الآيات .

فإن قيل : من أين أتيتم بالإضلال والآية ليس فيها إلا الهدى ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ [الليل: ١٢] ؛ فالإجابة : أن ذلك كقوله تعالى : ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] ، أي : وتقيكم البرد ، ولكنه حذف البرد لمعرفة العرب له ، والله أعلم .

* * *

س ـ من المراد بـ ﴿الأَشْقَى﴾ [الليل: ١٥] في الآية الكريمة ؟

ج : المراد : بالأشقى : المشرك ، بدليل قوله تعالى : ﴿ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [الليل: ١٦] .

***

س ـ هل النار لا يدخلها إلا المشرك لقوله تعالى : ﴿ لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى ﴾ [الليل: ١٥] ؟

ج : كلا ، بل يدخلها مسلمون أسرفوا على أنفسهم ولم تغفر لهم ذنوبهم أيضًا ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ١٠] .

● وكما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٠، ١٣١] .

● وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣] .

وكما ورد في حديث المفلس[١] وغيره من الأحاديث .

***

---

(١) أخرج مسلم (٢٥٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «أتدرون ما المفلس ؟» قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار» .

س ـ كيف توجه إذن قوله تعالى : ﴿ لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى ﴾ [الليل: ١٥] ما دمتم قد حملتم الأشقى على المشرك ؟

ج : توجيهه : أن يُقال : لا يصلاها مخلدًا فيها إلا الأشقى .

قال الزمخشري : الآية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فأريد أن يبالغ في صفتيهما المتناقضتين، فقيل: الأشقى ، وجعل مختصًّا بالصَّلى ، كأن النار لم تخلق إلا له ، وقيل : الأتقى ، وجعل مختصًّا بالجنة كأن الجنة لم تخلق إلا له . وقيل : هما أبو جهل أو أمية بن خلف وأبو بكر رضي اللَّه عنه .

* * *

س ـ قوله تعالى : ﴿ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ [الليل: ١٦] كذب بماذا وتولى عن ماذا ؟

ج : كذب بآيات اللَّه وكذب باليوم الآخر ، وتولى عن كتاب اللَّه وعن رسول اللَّه ﷺ .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى ﴾ [الليل: ١٩] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : أن هذا التقي الذي ينفق ماله في سبيل اللَّه لا ينتظر من أحد من الخلق أن يجازيه على معروفه الذي يصنعه ، لكن فقط يريد بذلك وجه اللَّه ، كما ذكر اللَّه سبحانه وتعالى

ذلك في آيات آخر فقال : ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ﴾ [الإنسان: ٩] :

* * *

س ـ فعل الطاعة ييسر لفعل طاعة أخرىٰ ، وفعل المعصية يدفع إلىٰ معصية أخرىٰ ، دلل علىٰ ذلك ؟

ج : من الأدلة علىٰ ذلك ما يلي :

- قوله تعالىٰ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٥ - ١٠] .
- وقوله تعالىٰ : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام: ١١٠] .
- وقوله تعالىٰ : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [محمد: ١٧] .
- وقوله تعالىٰ : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف: ٥] .
- وقوله تعالىٰ : ﴿ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ﴾ [النساء: ٨٨] .
- وقوله تعالىٰ :- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ... ﴾ [آل عمران: ١٥٥] .

سُورَةُ الضُّحَىٰ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)

س ـ اذكر معنى ما يلي :

الضحى ـ سجى ـ ودَّعك ـ قلى ـ آوى ـ عائلاً ـ تقهر ؟

ج :

الكلمة	معناها
الضحى	من العلماء من قال : المراد به هنا النهار كله[1] ـ ومنهم من قال : هو ساعة من ساعات النهار وهو صدر النهار

(١) والذين اختاروا هذا القول استدلوا له بمقابلة النهار لليل ، وذلك في قوله تعالى : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ٢] ، قالوا : فاقسم اللَّه بالنهار وبالليل بقوله : ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ [الضحى: ١] أي : النهار ﴿وَاللَّيْلِ ..﴾ [الضحى: ٢] .

الكلمة	معناها
سجـى	غطى[1] ـ أقبل بظلامه ـ سكن بالخلق
ودَّعـك	تركك
قلـى	أبغض ، وقوله تعالى : ﴿وما قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣] : أي : وما قلاك يعني : وما أبغضك ربك منذ أحبك
آوى	جعل لك مأوى تأوي إليه
عائـلاً	فقيرًا، ومنه قول الشاعر:
	وما يدري الفقير متى غناه ⁖ وما يدري الغني متى يعيل
تَقْهَـرْ	تسئ المعاملة

***

س ـ اذكر بعض الأحاديث الواردة في الحث على صلاة الضحى وبيان فضلها ؟

ج : من ذلك ما أخرجه مسلم في «صحيحه» من حديث أبي ذر رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال : **«يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة ، فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل**

(١) ومنه قول النبي ﷺ في قصة موسى مع الخضر : « **فوجد رجلاً مسجًّى** » .

تكبيرة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن المنكر صدقة ، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى»[١] .

وما أخرجه أبو داود [٢] من حديث بريدة رضي اللَّه عنه قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : «**في الإنسان ثلاثمائة وستون مفصلاً فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منه بصدقة**» قالوا : ومن يطيق ذلك يا نبي اللَّه؟ قال : «**النخاعة في المسجد تدفنها ، والشيء تنحيه عن الطريق ، فإن لم تجد فركعتا الضحى تجزئك**» .

● ومن ذلك : ما أخرجه أحمد من حديث نعيم بن همار الغطفاني أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول : «**قال اللَّه عز وجل : يا ابن آدم لا تعجز عن أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره**»[٣] .

●وفي «صحيح مسلم» [٤] من حديث زيد بن أرقم قال : خرج رسول اللَّه ﷺ على أهل قباء وهم يصلون فقال : «**صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال**» .

● وقد جاء الحث على صلاة الضحى في عدة أحاديث منها :

---

(١) أخرجه مسلم (٧٢٠) .

(٢) أخرجه أبو داود (٥٢٤٢) وأحمد (٥/ ٣٥٤ و ٣٥٩) وابن حبان «موارد الظمآن» (٦٣٣ و ٨١١) والطحاوي «مشكل الآثار» (١/ ٢٥) .

(٣) أخرجه أحمد «المسند» (٥/ ٢٨٦) والدارمي (١/ ٣٣٨) والبيهقي (٣/ ٤٨) وابن حبان «موارد» (٦٣٤) وهو حديث حسن .

(٤) أخرجه مسلم (٧٤٨) من حديث زيد بن أرقم رضي اللَّه عنه مرفوعًا ، وفي إسناده القاسم بن عوف الشيباني وقد تكلم في القاسم بعض أهل العلم .

ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى أموت : صوم ثلاثة أيامٍ من كل شهر ، وصلاة الضحى ، ونومٍ على وتر .

● وأخرج مسلم من حديث أبي الدرداء[٢] رضي اللَّه عنه قال : أوصاني حبيبي بثلاث لن أدعهن ما عشت : بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وصلاة الضحى ، وبأن لا أنام حتى أوتر .

وأخرج أحمد[٣] رحمه اللَّه من حديث أبي ذر رضي اللَّه عنه قال : أوصاني حبي بثلاث لا أدعهن إن شاء اللَّه أبدًا : أوصاني بصلاة الضحى ، وبالوتر قبل النوم ، وبصيام ثلاثة أيام من كل شهر .

* * *

س ـ كيف يوجَّه قول من قال : إن النبي ﷺ لم يصلِّ الضحى ؟

ج : ابتداءً يجاب عليه بأن النبي ﷺ قد ثبت عنه أنه صلى الضحى .

● فأخرج مسلم من طريق معاذة أنها سألت عائشة رضي اللَّه عنها كم كان رسول اللَّه ﷺ يصلي صلاة الضحى ؟ قالت : أربع ركعات ويزيد ما شاء[٤] ، وفي رواية : ما شاء اللَّه .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١١٧٨) ومسلم (حديث ٧٢١) .
(٢) أخرجه مسلم (حديث ٧٢٢) .
(٣) أخرجه أحمد (٥/ ١٧٣) وهو صحيح وله شواهد أيضًا .
(٤) أخرجه مسلم (حديث ٧١٨) .

• وأخرج ابن خزيمة[١] من حديث علي رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ يصلي الضحى .

• وأخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه قال : كنت أصلي لقومي . . . فذكر الحديث ، وفيه : فغدا عليَّ رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه بعد ما اشتد النهار فاستأذن رسول الله ﷺ فأذنت له فلم يجلس حتى قال : «**أين تحب أن أصلي من بيتك ؟**» فأشرت له إلى المكان الذي أحب أن أصلي فيه ، فقام رسول الله ﷺ فكبر وصففنا وراءه فصلى ركعتين ثم سلَّم وسلمنا حين سلَّم .

• وأخرج البخاري ومسلم[٣] من حديث أم هانئ رضي الله عنها ذكرت أن النبي ﷺ يوم فتح مكة اغتسل في بيتها فصلى ثمان ركعات . .

• هذا يجاب به ابتداء على من أنكر أن الرسول ﷺ صلى الضحى .

• **ويجاب عليه ثانية** : بأن النبي ﷺ قد حث عليها ، وسنته عليه الصلاة والسلام إما قولية أو فعلية أو تقريرية .

• **ويجاب ثالثةً** : بأن من أثبت من الصحابة أن النبي ﷺ صلى الضحى قوله أولى من قول من نفى ، فالمثبت مقدم على النافي ، ومن علم حجة على من لم يعلم .

---

(١) أخرجه ابن خزيمة (٢/ ٢٣٣) من طريق عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله .

(٢) أخرجه البخاري مع «الفتح» (٣/ ٦٠) ومسلم (١/ ٤٥٥) .

(٣) أخرجه البخاري مع «الفتح» (٢/ ٥٧٨) ومسلم (١/ ٦٦) ، ٤٩٧ .

● ويلتمس لقائل هذا القول ـ بأن النبي ﷺ لم يصلِّ الضحى ـ العذر لما ورد من نفي بعض الصحابة صلاة رسول اللَّه ﷺ للضحى فيقال له : إنه إما أن يقال : إن المثبت مقدم على النافي ، أو أن الصحابي أراد أن الرسول ﷺ لم يحافظ عليها ، وذلك لكونه عليه الصلاة والسلام كان يحافظ على صلاة الليل ، واللَّه تعالى أعلم .

* * *

س ما هو عدد ركعات صلاة الضحى ؟

ج : ثبت ما تقدم أن النبي ﷺ حث على صلاة ركعتين ، وثبت أنه حث على أربع كذلك ، وثبت أنه صلى أربعًا وزاد ما شاء اللَّه ، وثبت أنه صلى ثمانية عليه الصلاة والسلام ، وكل ذلك تقدم .

* * *

س ـ هل يجوز أن تصلى الضحى في جماعة ؟

ج : نعم يجوز ذلك أحيانًا ولا يكثر منه ، أما جوازه أحيانًا فلما ثبت ـ وقد تقدم ـ من حديث عتبان بن مالك رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قام فكبر وصففنا وراءه فصلى ركعتين ثم سلم وسلمنا [1] .

● أما عدم الإكثار من صلاتها في جماعة لأن النبي ﷺ لم يكثر من ذلك، ولأن الأفضل للمرء أن يكثر من صلاة النفل في بيته لحديث:

---

(١) صحيح ، وقد تقدم .

«**خير صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة**»[١]، والله أعلم .

* * *

س ـ متى يبدأ وقت صلاة الضحى ومتى ينتهي ؟

ج : يوضح ذلك ما أخرجه مسلم من حديث عمرو بن عبسة السلمي قال : كنت وأنا في الجاهلية . . . فذكر الحديث ، وفيه : قلت : يا نبي الله أخبرني عما علمك الله وأجهله أخبرني عن الصلاة قال : «**صل صلاة الصبح ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع فإنها تطلع بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار ، ثم صلِّ فإن الصلاة مشهودة**[٢] **محضورة حتى يستقل الظل بالرمح**[٣] **، ثم أقصر عن الصلاة فإن حينئذ تسجر جهنم ، فإذا أقبل الفيء فصلِ فإن الصلاة مشهودة محضورة**» . . . الحديث[٤] .

هذا وقد نهى النبي ﷺ عن الصلاة بعد الصبح حتى تطلع

---

(١) أخرجه مسلم (٧٨١) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه مرفوعًا .

والبخاري (حديث ٧٣١) ولفظ البخاري : «... **فصلوا أيها الناس في بيوتكم ، فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة**» .

(٢) أي : تشهدها الملائكة وتحضرها .

(٣) **قال النووي** : أي : يقوم مقابله من جهة الشمال مائلاً إلى المغرب لا إلى المشرق وهذه حالة الاستواء ، وتخصيص الرمح بالذكر لأن العرب أهل بادية ، وإذا أرادوا أن يعلموا نصف النهار ركزوا رماحهم في الأرض ثم نظروا إلى ظلها وهو آخر وقت الضحى .

قلت : وهذا يعني أن وقتها ينتهي عند الزوال ، أي : قبيل الظهر .

(٤) أخرجه مسلم (حديث ٨٣٢) .

الشمس[١]، فعلى ذلك يبدأ وقت الضحى بعد طلوع الشمس، والتأكد من طلوعها يكون بارتفاعها قليلاً حتى نتقي مشابهة الكفار الذين يسجدون لها ، وينتهي وقتها عند الزوال ، وقد ذكر بعض أهل العلم كالنووي في «المجموع» : أن وقتها يبدأ من ارتفاع الشمس إلى الزوال .

وفي «الروضة» : روى عن أصحاب الشافعي أن وقتها يدخل بطلوع الشمس ، ولكن يستحب تأخيرها إلى ارتفاع الشمس .

قلت : وقد ثبت فيما تقدم أن النبي ﷺ قال : «قال اللَّه عز وجل: ابن آدم اركع لي أربع ركعات أول النهار أكفك آخره» ، وذهب بعض العلماء إلى استحبابها عند اشتداد النهار ، أي : بعد طلوع الشمس واشتدادها ، وذلك لأن النبي ﷺ صلاها في بيت عتبان بعد ما اشتد النهار كما ذكرناه آنفًا . واللَّه تعالى أعلم .

* * *

---

(١) ثبت ذلك من عدة طرق عن النبي ﷺ منها ما يلي :

- حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : **«لا صلاة بعد الصبح حتى ترتفع الشمس ، ولا صلاة بعد العصر حتى تغيب الشمس»** أخرجه البخاري (٥٨٦) ومسلم (٨٢٧) وفي لفظ : **«لا صلاة بعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس ، ولا صلاة بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس»** .
- حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : نهى رسول اللَّه ﷺ عن صلاتين : بعد الفجر حتى تطلع الشمس ، وبعد العصر حتى تغرب الشمس . أخرجه البخاري (٥٨٨) ومسلم من طريق آخر عن أبي هريرة (حديث ٨٢٥) .
- حديث عمر رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ نهى عن الصلاة بعد الصبح حتى تشرق الشمس ، وبعد العصر حتى تغرب . أخرجه البخاري (٥٨١) ومسلم (٨٢٦) .

وثمَّ أحاديث أُخر في الباب .

س - ما هو سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ [الضحى: ٢] ؟

ج : سبب نزولها هو : ما أخرجه البخاري[١] ومسلم من حديث جندب بن سفيان رضي اللَّه عنه قال : اشتكى رسول اللَّه ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثًا ؛ فجاءت امرأة فقالت : يا محمد إني لأرجو إن يكون شيطانك قد تركك ، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثًا ؛ فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ١ - ٣] .

* * *

س - ما المراد بالآخرة في قوله تعالى : ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٤] ؟

ج : **المراد بالآخرة : الدار الآخرة .**

والمراد بالأولى : الحياة الدنيا ، والله أعلم .

* * *

س - ما هو العطاء الذي أُعطاه نبينا محمد ﷺ ؟

ج : من ذلك : ما أخرجه البخاري من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما أن النبي ﷺ قال : «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا فأيما رجل**

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٩٥٠) ومسلم حديث (١٧٩٧ ص ١٤٢٢) .

من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأُحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»[١] .

● ومن ذلك : القرآن والسبع المثاني[٢]، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: ٨٧] .

● ومن ذلك : الكوثر ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر: ١] .

● ومن ذلك : شهادة الرسول ﷺ على أمته وشهادة أمته على سائر الأمم . قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

● ومن ذلك : كونه ﷺ جُعل سيد ولد آدم .

● ومن ذلك : المقام المحمود والحوض المورود .

* * *

س ـ ما هو وجه إيواء اللَّه لنبيه ﷺ ؟

ج : وجه ذلك : أن اللَّه سبحانه وتعالى قيَّد له عمه أبا طالب يحوطه ويرعاه ويمنعه ممن أراده بسوء ، ويحنو عليه ويدافع عنه .

وكذلك قيَّد اللَّه له غير أبي طالب أيضًا ، فقيَّد اللَّه له المطعم بن

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٣٥) ومسلم (حديث ٥٢١) .

(٢) وهي فاتحة الكتاب .

عدي فنزل النبي ﷺ في جواره .

وقيد اللَّه له العموم من حفظه بإذن اللَّه، صلوات اللَّه وسلامه عليه.

* * *

س ـ اذكر الحكمة من قوله تعالى : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَىٰ ﴾ [الضحى: ٧] ؟

ج : الحكمة من ذلك ـ واللَّه أعلم ـ : كي لا ينسى الإنسان نفسه فيقع في العجب والغرور ، والحكمة من ذلك أيضًا : الحث على الخير وأعمال البر . واللَّه أعلم .

* * *

س ـ اذكر بشيء من التفصيل بعض أقوال أهل العلم في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَىٰ ﴾ [الضحى: ٧] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك جملة أقوال ، ذكر الرازي منها عشرين قولاً .

وأشهر هذه الأقوال ما يلي :

القول الأول : أنه عليه الصلاة والسلام كان ضالاً عن معالم النبوة وأحكام الشريعة لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ ﴾ [الشورى: ٥٢] ، وكما قال تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣] .

القول الثاني : أنه عليه الصلاة والسلام كان قد ضل في شعاب مكة وهو صغير فرده اللَّه سالمًا .

القول الثالث : أنه سبحانه وجده في قوم ضلال فهداهم اللَّه به ، واللَّه تعالى أعلم .

* * *

س ـ ما هو وجه الغنى الذي أغنى اللَّه به نبيه ﷺ ؟

ج : من العلماء من قال : إن هذا الغنى يتمثل فيما فتحه اللَّه عليه من الفتوحات والكنوز ، وما منَّ اللَّه به عليه من الغنائم وتحليلها له ، لكن هذا القول قد ردَّه بعض العلماء متعللين بأن السورة مكية والفتوحات إنما كانت بعد الهجرة .

- ومن العلماء من قال : إن المراد بالغنى هنا غنى النفس والقناعة، فقد قنعه اللَّه بما آتاه .

- ومن أهل العلم من قال : إن اللَّه عز وجل أغناه بما وهبته له خديجة بنت خويلد وأعطته من مالها . واللَّه أعلم .

* * *

س ـ من طريق الحث على المعروف في بعض الأحيان أن تذكر الشخص بما كان فيه قبل أن ينعم اللَّه عليه ، ومن ثم تطلب منه الذي تريد، وضح ذلك ؟

ج - إيضاحه : أن اللَّه سبحانه وتعالى ذكَّر نبينا عليه الصلاة والسلام بما كان فيه من يتم وضلال وفقر ، وذكَّره بما منَّ به عليه من إيواء وهداية وغنى ، ثم حثه على إكرام اليتيم (كما أُكرِم وهو يتيم) ، والرفق بالسائل الضال والسائل الفقير (فقد كان ضالاً وكان فقيرًا) .

ونحو هذا ورد في حديث الأعمى والأقرع والأبرص[1] إذ قد ذكَّرهم المَلَك بما كانوا فيه من فقرٍ وعمى ، وفقرٍ وقرع ، وفقرٍ وبرص، وسألهم بالذي أعطاهم الشكل الحسن بعد أن كانوا في دمامة على ما ورد في الحديث .

* * *

س - اذكر - على وجه الإجمال - بعض الآيات المتعلقة باليتيم ؟

ج : من هذه الآيات : آيات تحث على إكرام اليتيم ، وتحذر من إهانته .

- قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ ﴾ [الضحى: ٩] .
- وقال تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴾ [الماعون: ١، ٢] .
- وقال تعالى: ﴿ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾ [البلد: ١١ - ١٥].

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٤) ومسلم (حديث ٢٩٦٤) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا وفيه : ... رجل مسكين وابن السبيل وتقطعت به الحبال في سفره فلا بلاغ اليوم إلا باللَّه ثم بك ، أسألك بالذي ردَّ عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري .... الحديث .

• وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ ... ﴾ [البقرة: ٢١٥] .

• وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾ [النساء: ٨] .

• وقال تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ ﴾ [النساء: ٣٦] .

• وقال تعالى : ﴿ كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴾ [الفجر: ١٧] .

• وقال تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ ﴾ [الأنفال: ٤١] .

• وقال تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ... وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ ... ﴾ [البقرة: ١٧٧] .

ومنها : آيات تحذر من أكل مال اليتيم وتحث على إصلاحه له قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ١٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾ [البقرة: ٢٢٠] .

• وقال تعالى : ﴿ وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ .... ﴾ [الإسراء: ٣٤] .

● وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ ﴾ [النساء : ٣] .

● وقال تعالى : ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ [النساء : ٢] .

● وقال تعالى : ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء : ٦] .

* * *

س - هل يجوز ضرب اليتيم لتأديبه والجزم معه ؟

ج : نعم يجوز ضربه لتأديبه إذا كان لا يجدي معه إلا الضرب ما دام الشخص يريد بذلك الإصلاح ، فاللَّه يعلم المفسد من المصلح ، واللَّه لا يحب الفساد .

* * *

س - من المراد بالسائل المذكور في قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ ﴾ [الضحى : ١٠] .

ج : من العلماء من قال : إن السائل هنا هو السائل عن المال (أي : المحتاج) ، أو السائل عن الطعام .

ومنهم من قال : إن السائل هنا السائل عن العلم والدين ، ولهذا كان المعلم مأمورًا بحسن الخلق مع المتعلم ومباشرته بالإكرام والتحنن عليه ، فإن في ذلك معونة له على مقصده ، وإكرامًا لمن كان يسعى في

نفع العباد والبلاد ، والصواب في ذلك عندي أن الآية عامة .

فيدخل في السائلِ السائلُ عن المال، والسائل عن العلم والدين ، والسائل عن الطريق ، والسائل عن كل ما ينتفع به ويحتاج إليه ، والله أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بالنعمة في قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] ؟

ج : من العلماء من قال : إن المراد بالنعمة هنا النبوة ، ولا شك أن النبوة من أعظم النعم ، ولكن قصر الآية عليها يحتاج إلى دليل ، والصواب عندي ـ والله أعلم ـ : أن المراد بالنعمة هنا عموم نعم الله على شخص .

* * *

س ـ كيف يُحدث الشخص بنعمة الله عليه ؟

ج : لذلك وجهان :

الوجه الأول : أن تذكر للناس ما أنعم الله به عليك ، فتقول : لهم لقد أنعم الله عليَّ بكذا وكذا .

الوجه الثاني: أن تعمل بمقتضى هذه النعمة، فتحسن كما أحسن الله إليك ، وتعلم الناس كما علمك الله ، وتأوي الأيتام كما آواك الله . . .

* * *

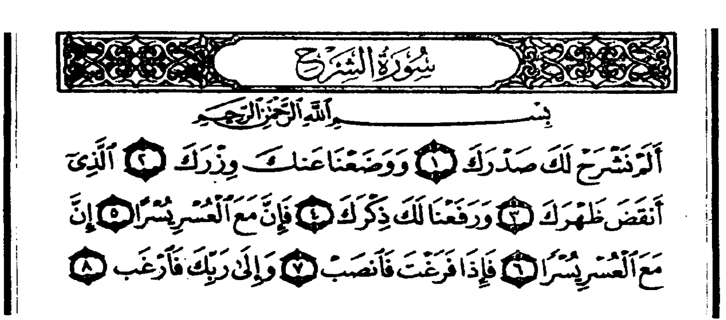
س ـ هل يحدث الشخص بنعم اللَّه عليه في كل الأحوال ؟

ج : يستحب للشخص أن يحدث بنعم اللَّه عليه ما لم يخش حسد حاسد ولا كيد كائد ، فقد قال النبي ﷺ : «**إن اللَّه يحب أن يرىٰ أثر نعمته علىٰ عبده**» ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** ﴾ [الضحى: ١١] .

● أما إذا خشي حسد الحاسدين فله أن يكتم ، وذلك لقول يعقوب عليه السلام ليوسف ﷺ : ﴿ **يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا** ﴾ [يوسف: ٥] ولقول النبي ﷺ : «**إذا رأىٰ أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب ...**»[١] .



(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٠٤٤) ومسلم (ص ١٧٧٢) من حديث أبي قتادة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ .. به .


سورة الشرح

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾

س ـ اذكر معنى كلٍّ مما يلي :

نشرح ـ وزرك ـ أنقض ظهرك ـ العسر ـ يسرًا ـ فانصب ـ فارغب .

ج :

الكلمة	معناها
نشـــرح	نفسح (أي : نجعله فسيحًا رحيبًا) ـ نوسع ـ نفتح ـ ننور ، وقيل : إن المراد هو الشرح الذي حدث له ليلة الإسراء صلوات اللَّه وسلامه عليه
وزرك	ذنبك[1]
أنقض ظهرك	أتعب ظهرك وأثقله حتى سُمِع له نقيض ـ أثقلك حمله

(١) فمعنى قوله : ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ [الشرح: ٢] : حططنا عنك ذنبك بغفرانه لك أو غفرنا لك ما سلف من ذنوبك .

الكلمة	معناها
العســـــر	الضيق ـ الشدة ـ الكرب
يســــرًا	سعة وغنى ومخرجًا
فانصــب	اجتهد ـ اتعب[١] في العبادة وسل اللَّه حاجتك
ارغب	الجأ واتجه[٢]

* * *

س ـ اذكر بمزيد من التفصيل معنى قوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١] ؟

ج : أما الهمزة في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ الشرح: ١] فهي همزة الاستفهام وفيها معنى النفي، ولم نافية أيضًا ، ونفي النفي إثبات ، فعلى ذلك فقوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ الشرح: ١] معناه : قد شرحنا ، وهذا كقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦] فمعناه : أن اللَّه كاف عبده ، وكقوله : ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشعراء: ١٨] فمعناه : قد

(١) ومنه قول جبريل لرسول اللَّه ﷺ : بشر خديجة ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب. أخرجه البخاري (٣٨١٩) ومسلم (٢٤٣٣) ، وليس المراد التعب المخرج عن النشاط والجالب للملل فقد قال النبي ﷺ : «ليُصَلِّ أحدكم نشاطه» . أخرجه البخاري (١١٥٠) ومسلم (٧٨٤) من حديث أنس مرفوعًا .

(٢) فقوله : ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ٨] : أي : اجعل رغبتك وحاجتك إليه دون من سواه .

ربيناك فينا وليدًا .

● ومن ذلك : قول الشاعر :

ألستم خير من ركب المطايا .·. وأندىٰ العالمين بطون راحِ

● **أما المراد بشرح الصدر** ؛ فمن العلماء من قال : إنه شق صدره ﷺ الذي تم ـ علىٰ ما سيأتي بيانه إن شاء اللَّه ـ وهو صغير ، وأيضًا ليلة الإسراء ، ومن العلماء من قال : إن المراد بشرح الصدر توسيعه وجعله رحيبًا فسيحًا يسع التكاليف التي يكلف بها صلوات اللَّه وسلامه عليه ، ويقبلها بارتياح واطمئنان وهدوء، ويتحمل في سبيلها ما يصيبه من أذىٰ وبلاء بصدر رحب وصفح وعفو ومقابلة الإساءة بالإحسان ؛ ومن المعلوم : أن الصدر إذا كان منشرحًا لشخصٍ مثلاً فإن كل أقواله تدخل فيه ، وإذا كان الصدر متبرمًا متضايقًا من شخص فلا يكاد يصل أيُّ قول من قوله إلىٰ الصدر ، بل يرد الصدر كل ما يصدر من هذا الشخص فعليه إن كان اللَّه سبحانه وتعالىٰ قد شرح صدر شخصٍ للإسلام فتدخل كل التكاليف وكل الأوامر والنواهي إلىٰ صدر هذا الشخص وهو مرتاح لها متسع لقبولها ، كما قال عز وجل : ﴿ **فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ** ﴾ [الأنعام: ١٢٥] . وبدء طريق الهداية يكون بشرح الصدر ، ومن ثم دعاء موسىٰ ﷺ ـ لما كلفه اللَّه بالذهاب إلىٰ فرعون ـ ربه عز وجل فقال: ﴿ .. **رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي** ﴿٢٥﴾ **وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي** ﴾ [طه: ٢٥، ٢٦] .

❊ ❊ ❊

س ـ كم مرة شُرِح صدر رسول اللَّه ﷺ ؟

ج : الذي وقع لي من ذلك بسند صحيح أن صدر الرسول ﷺ شُرِح مرتين :

الأولى منهما : وهو صغير يلعب مع الغلمان كما في «صحيح مسلم»[١] من حديث أنس رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأَمَهُ[٢] ثم أعاده في مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعني : ظئره)[٣] فقالوا : إن محمدًا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون[٤] .

قال أنس : وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره .

والثانية : ليلة المعراج كما في «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم» من حديث أبي ذر رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال : «**فُرِج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطستٍ من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا فأفرغه في صدري ثم أطبقه** ...» الحديث[٥]

* * *

(١) أخرجه مسلم (ص ١٤٧) .
(٢) لأَمَهُ : ضمه وجمع بعضه إلى بعض .
(٣) ظئره : أي مرضعته .
(٤) منتقع اللون : أي متغير اللون .
(٥) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٩) ومسلم (حديث ١٦٣)

س ـ لماذا أتى في الآية الكريمة بلفظ لك ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الشرح: ١] ، ولم يُقل (ألم نشرح صدرك) ؟

ج : أجاب على ذلك بعض أهل العلم بما حاصله : أن نفع انشراح الصدر راجع إليك يا محمد لا إلى اللَّه فهو ، نعمة ومنة منا عليك .

* * *

س ـ اذكر آية في معنى قوله تعالى : ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ [الشرح: ٢] ؟

ج : هي قوله تعالى : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: ٢] .

* * *

س ـ هل كانت عند النبي ﷺ ذنوب قبل نبوته عليه الصلاة والسلام؟

ج : قال بذلك بعض أهل العلم ، فروي عن قتادة بإسناد يصح بمجموع طريقيه[١] في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ [الشرح: ١ - ٣] كانت للنبي ﷺ ذنوب قد أثقلته فغفرها اللَّه له .

● وروى الطبري أيضًا بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ [الشرح: ١، ٢] قال :

(١) أخرجهما الطبري في «تفسيره» .

شرح له صدره وغفر له ذنبه الذي كان قبل أن يُنبأ فوضعه .

وتأيد هذا القول بقوله تعالى : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ... ﴾ [الفتح: ٢] ، والله أعلم .

***

س ـ هل كانت هذه الذنوب كبيرة وثقيلة إلى حد أن توصف بأنها أنقضت الظهر ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إنما وصفت الذنوب بأنها ثقيلة أنقضت الظهر مع كونها مغفورة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام لشدة اهتمامهم بها وندمهم منها وتحسرهم عليها ، كما قال الخليل إبراهيم ﷺ عندما طلبت منه الشفاعة : «نفسي نفسي إني كذبت ثلاث كذبات ..» وذكر الحديث[1] .

***

س ـ كيف رفع ذكر نبينا محمد ﷺ ؟

ج : رفع الله سبحانه وتعالى ذكر النبي محمد ﷺ بأمور منها ما يلي :

- إيتاؤه القرآن وإنزاله عليه وبعثه لخير أمة أخرجت للناس ، فقد قال تعالى عن القرآن : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [الزخرف: ٤٤] أي : شرف لك ولقومك .

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة .

• وأخذ اللَّه الميثاق على النبيين أن يؤمنوا به إذا بعث وهم أحياء قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ٨١، ٨٢] .

• ولا ينعقد لأحدٍ إسلام إلا بالاعتراف برسالته ﷺ والإقرار بها بقوله : أشهد ألا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه ، فجاء ذكر النبي ﷺ والشهادة برسالته من أركان الإسلام .

• ويُدوِّي هذا الاسم الكريم اسم محمد ﷺ خمس مرات في اليوم والليلة في الأذان ، وكذلك عند إقامة الصلاة .

• ورب العزة سبحانه وملائكته يصلون على هذا النبي الكريم محمد ﷺ ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] .

• وكرر اسمه في القرآن في عدة مواطن ﷺ ، بل وجعلت في القرآن سورة باسمه عليه الصلاة والسلام ، وكما أسلفنا فالقرآن كله نزل عليه ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: ٨٧] .

• وأُعطي الشفاعة العظمى صلوات اللَّه وسلامه عليه ، وجُعل سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام .

● ويأتي شهيدًا على أمته يوم القيامة وعلى سائر الأمم وكذلك أمته تشهد على سائر الأمم عليه الصلاة والسلام .

● وهو صاحب الحوض والكوثر ﷺ .

● وبَشَّرت به الكتب المنزلة على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم .

● واسمه يُذكر في كل خطبة وفي خطبة النكاح والتشهد في الصلاة كذلك .

● وأمر الله بطاعته وتوقيره وتعظيمه ، قال تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] ، وقال سبحانه : ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦٢] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١] ، وقال تعالى : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [التغابن: ١٢] ، وقال تعالى : ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ۝٢ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١ - ٣] .

فانظر إلى الذي يجهر لرسول اللَّه ﷺ بالقول ويرفع صوته فوق صوته وكيف أن عمله يحبط وهو لا يشعر ؟ !!!

وانظر إلى المتخلق بالخلق الحسن مع رسول اللَّه ﷺ وكيف تغفر له ذنوبه ويثبت له الأجر العظيم ؟!!

وبالجملة فقد ملأ ذكره الجميل السموات والأرضين ، وجعل اللَّه له لسان صدق في الأولين والآخرين ، وجعلت أمته ـ كما أسلفنا ـ خير الأمم وأكثر أهل الجنة ، فصلوات ربي وسلامه عليه آناء الليل وأطراف النهار في الدنيا وفي الآخرة عليه أفضل صلاة وأتم تسليم وأزكاه ، وما أجمل وأحسن هذه الأبيات المنسوبة إلى حسان رضي اللَّه عنه حيث قال في وصف النبي ﷺ والثناء عليه :

أغـــرُّ عليـــه للنبـــوة خاتـــم .:. مـن اللَّه مشهـود يلـوح ويشهـد

وضـم الإلـه اسم النبي مـع اسمـه .:. إذا قال في الخمس المؤذن أشهـد

وشـق لـــه مـن اسمـــه ليجلـــه .:. فـذو العرش محمود وهـذا محمد

* * *

س ـ ما فائدة التكرير في قوله تعالى : ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦] ؟

ج : فائدة هذا التكرير التأكيد ، أي : تأكيد أن مع العسر يسراً .

س ـ اذكر بعض الأدلة على أن الشدة يتبعها الفرج ؟

ج : **من هذه الأدلة ما يلي :**

• قول الله تعالى : ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦] .

• وقوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠] .

• وقوله تعالى : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤] .

* * *

س ـ **وضح معنى قوله تعالى : ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾** [الشرح: ٧] ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك أقوال :**

أحدها : إذا فرغت من أعمال الدنيا وأمورها فاجتهد في العبادة ، وأقبل على العبادة وأنت نشيط فارغ البال[1] .

الثاني : إذا فرغت من الصلاة فانصب أي : فاجتهد في الدعاء .

الثالث : إذا فرغت من تبليغ الرسالة وجهاد العدو فاجتهد في

---

(١) كما قال النبي ﷺ : «إذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء فابدءوا بالعشاء ..» ، وكما قال عليه الصلاة والسلام : «لا صلاة بحضرة طعام» .

الحمد والاستغفار والتسبيح ، كما قال تعالى : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١ - ٣] ، والله أعلم .

* * *

س ـ هل يشرع الدعاء بعد الصلاة ؟

ج ـ لأهل العلم في ذلك قولان :

أحدهما : لا يشرع الدعاء بعد الصلاة .

الثاني : وهو الأشهر ـ أن الدعاء بعد الصلاة مشروع بل مستحب .

● **أما القائلون بالقول الأول** فاستدلوا بما في «صحيح مسلم» من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا سلم لم يقعد إلا مقدار ما يقول : **«اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والإكرام»**[(١)] .

وقال القائلون بهذا : إن اللائق بحال المصلي أن يدعو ربه وهو مقبل عليه يناجيه فكيف يترك سؤاله وهو بين يديه ثم يسأله إذا انصرف عنه .

وقالوا أيضًا : إن الأحاديث التي وردت فيها أدعية دبر الصلاة إنما تفعل داخل الصلاة لأن دبر الشيء منه ، فدبر الرجل من الرجل ، فدبر الصلاة من الصلاة أي قبل التسليم .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٥٩٢) .

وبالغ هؤلاء فقالوا : إنه لم يثبت عن النبي ﷺ الدعاء بعد السلام.

● **أما القائلون بمشروعية الدعاء بعد الصلاة فاستدلوا بأدلة منها :** قوله تعالى : ﴿**فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ**﴾ [الشرح: ٧] ، وقد ورد في تفسيرها أثر ابن عباس رضي اللَّه عنهما بإسناد ضعيف عند الطبري أنه قال : فإذا فرغت مما فُرض عليك من الصلاة فسل اللَّه وارغب إليه وانصب له ، وورد عن قتادة بإسناد صحيح في تفسيرها ـ عند الطبري ـ أنه قال : أمره إذا فرغ من صلاته أن يبالغ في دعائه .

● واستدلوا أيضًا بقول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي اللَّه عنهما: «**أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»[1] .

● واستدلوا أيضًا بما أخرجه مسلم من حديث علي رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ كان إذا سلَّم قال : «**اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت**»[2] .

● وبما أخرجه مسلم[3] أيضًا من حديث البراء بن عازب رضي اللَّه

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ١٨٠) والنسائي (٣/ ٥٣) وابن السني (١١٦) وأحمد (٥/ ٢٤٥ و ٢٤٧) وابن حبان (٢٣٤٥) .

(٢) أخرجه مسلم (٧٧١) ص ٥٣٦ .

(٣) أخرجه مسلم (٧٠٩) .

عنهما قال : كنا إذا صلينا خلف رسول اللَّه ﷺ أحببنا أن نكون عن يمينه يقبل علينا بوجهه ، قال فسمعته يقول : «**رب قني عذابك يوم تبعث (أو تجمع) عبادك**» .

● وما أخرجه البخاري من طريق عمرو بن ميمون الأودي أنه قال: كان سعد يعلم بنيه هؤلاء الكلمات كما يعلم المعلم الغلمان الكتابة ويقول : إن رسول اللَّه ﷺ كان يتعوَّذ منهن دبر الصلاة : «**اللهم إني أعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر**»[1] .

● واستدلوا أيضًا بحديث أبي أمامة رضي اللَّه عنه قال : قيل : يا رسول اللَّه أي الدعاء أسمع ؟ قال : «**جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات**»[2] ، إلا أن هذا الحديث ضعيف خاصة قوله : «**ودبر الصلوات المكتوبات**» فهو من طريق عبد الرحمن بن سابط عن أبي أمامة ولم يسمع من أبي أمامة رضي اللَّه عنه ، وقد ورد هذا الحديث من طرق عن أبي أمامة عن عمرو بن عبسة مرفوعًا ، ومن طرق أخرى عن عمرو بن عبسة مرفوعًا ، وكل هذه الطرق عن عمرو ابن عبسة فيها مقال ، ومع ذلك ليس فيها «**ودبر الصلوات المكتوبات**» .

● واستدلوا أيضًا بعموماتٍ ألا وهي : أن الدعاء يشرع بعد

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٦/ ٣٥) والترمذي (مع «التحفة» ١٠/ ١٤) والنسائي (جـ ٧ باب التعوذ) .

(٢) أخرجه الترمذي (حديث ٣٤٩٩) والنسائي «في عمل اليوم والليلة» (١٠٨) .

الأعمال الصالحة ، ومنها الصلاة وذلك كدعاء الاستخارة وغيره .

● وقد أجاب قائلو هذا القول على أدلة المانعين للدعاء بما حاصله أن حديث عائشة رضي اللَّه عنها أن النبي ﷺ كان إذا سلَّم لم يقعد إلا مقدار ما يقول : «**اللهم أنت السلام ....**» الحديث[١] المراد منه نفي الجلوس على هيئة المصلي قبل أن يسلم ، فهو يجلس على هيئة المصلي هذا القدر «**اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والإكرام ...**» ثم يلتفت إلى أصحابه . .

● وأجابوا على القول القائل بأن دبر الشيء منه بما حاصله : أن دبر الشيء قد يكون منه أحيانًا ، وأحيانًا أُخر يكون خارجًا عنه ؛ فالنبي ﷺ لما علَّم أصحابه التسبيح والتحميد والتكبير ثلاثًا وثلاثين دبر كل صلاة يعلم الجميع أن المراد بعد انتهاء الصلاة والتسليم منها ، وكذلك حثه عليه الصلاة والسلام على قراءة آية الكرسي[٢] دبر كل صلاة ـ عند من صححه ـ فإنما المراد منه بعد الصلاة .

أما القائلون بمشروعية الدعاء بعد الصلاة فمنهم الإمام الشافعي رحمه اللَّه تعالى فقد قال في «الأم»: وأستحب للمصلي منفردًا وللمأموم أن يطيل الذكر بعد الصلاة ويكثر الدعاء رجاء الإجابة بعد المكتوبة .

وقال النووي في «المجموع» : ويستحب أن يدعو أيضًا بعد السلام بالاتفاق .

---

(١) أخرجه مسلم (ص ٤١٤) حديث (٥٩٢) .

(٢) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (حديث ١٢١) .

قلت : ويظهر لي أنه أراد اتفاق الشافعية والله أعلم .

وقال ابن قدامة في «المغني» : ويستحب ذكر الله والدعاء عقيب سلامه ويستحب من ذلك ما ورد به الأثر .

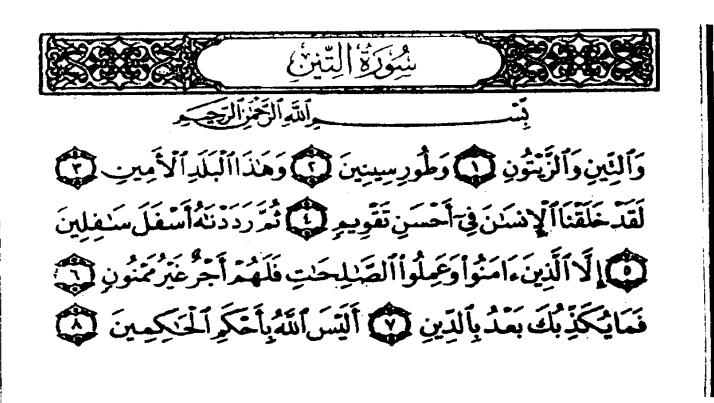
هذا وقد ذهب بعض العلماء إلى تفصيل آخر ، وهو أن الدعاء لا يشرع بعد الصلاة مباشرة ، إنما يشرع بعد الأذكار التي تقال عقب الصلاة، ومن هؤلاء ابن القيم رحمه الله تعالى ، والعلم عند الله سبحانه وتعالى .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ [الشرح : ٨] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : اجعل رغبتك فيه دون من سواه من خلقه ، واجعل ملتجأك إليه وعملك خالصًا لوجهه رغبة فيما عنده سبحانه وتعالى .





س ـ وضح معنى ما يلي :ـ

طور ـ سينين ـ الأمين ـ أحسن تقويم ـ أسفل سافلين ـ ممنون ـ الدين ـ أحكم الحاكمين ؟

ج :

الكلمة	معناها
طـــــور	الطور هو كل جبل ينبت ـ وقيل : المراد به هنا طور سيناء لقوله تعالى : ﴿ **وشجرة تخرج من طور سيناء** ﴾ وهو الجبل الذي كلم الله سبحانه عنده موسى عليه السلام
سينيــــــن	مبارك حسن[1] ـ وقيل : المراد (سيناء)

(١) ومنه قول النبي ﷺ لأم خالد : «**هذا سناه**» .

الكلمة	معناها
الأميـــــن	الآمن
أحسن تقويـم	أعدل خلق وأحسن صورة وقوام واعتدال خلق واستواء
أسفل سافلين	أرذل العمر ، وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة ـ وقيل : النار
ممنـــــون	مقطوع ـ منقوص
الديـــــن	الجزاء ـ الحساب
أحكم الحاكمين	أتقن الحاكمين صنعًا لكل ما خلق

* * *

س ـ هل ثبت أن النبي ﷺ قرأ في صلاته بسورة التين ؟

ج : نعم ثبت ذلك ، ففي «الصحيحين» من حديث البراء بن عازب رضي اللَّه عنهما أن النبي ﷺ كان في سفرٍ فقرأ في العشاء في إحدى الركعتين بالتين والزيتون[1].

وفي رواية : سمعت النبي ﷺ يقرأ : ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ في العشاء وما سمعت أحدًا أحسن صوتًا منه أو قراءة[2].

---

(١) لفظ البخاري (حديث ٤٩٥٢) ومسلم (٤٦٤) .

(٢) لفظ البخاري (٧٦٩) .

س ـ ما المراد بـ ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ [التين: ١] وما المراد بـ ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: ٢] ؟

ج : لأهل العلم في تحديد المراد بالتين والزيتون أقوال :

أحدها : أن المراد بالتين هو التين المعروف الذي يؤكل ، والمراد بالزيتون الزيتون الذي يُعصر[١].

الثاني : أن المراد بالتين والزيتون المكان الذي ينبت فيه التين والزيتون وهما جبلان ، أما التين فهو الجبل الذي عليه دمشق ، والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس[٢].

---

(١) وصح هذا عن الحسن وعكرمة وقتادة وغيرهم كما عند الطبري .

هذا وقد ذكر الرازي من فوائد التين جملة فوائد فقال : أما التين فقالوا إنه غذاء وفاكهة ودواء ، أما كونه غداء فالأطباء زعموا أنه طعام لطيف سريع الهضم لا يمكث في المعدة يلين الطبع ويخرج بطريق الترشح ويقلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح مسام الكبد والطحال وهو خير الفواكه وأحمدها . . إلى آخر ما ذكره رحمه اللَّه .

قلت : أما الزيتون فذكره اللَّه سبحانه وتعالى بقوله : ﴿شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ [النور: ٣٥] وقال تعالى : ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٠] .

(٢) نقل القاسمي في «محاسن التأويل» عن شيخ الإسلام ابن تيمية قوله : فقوله تعالى : ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۞ وَطُورِ سِينِينَ ۞ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: ١ - ٣] : إقسام منه بالأمكنة الشريفة المعظمة الثلاثة التي ظهر فيها نوره وهداه وأنزل فيها كتبه الثلاثة التوراة والإنجيل والقرآن .

قلت (مصطفى) : فالذين اختاروا أن المراد بـ ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ [التين: ١] جبلان أيدوا قولهم بدليل الاقتران في قوله تعالى : ﴿وَطُورِ سِينِينَ ۞ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: ٢ - ٣] قالوا : فأقسم اللَّه بمواطن ثلاثة من الأنبياء وهم عيسى وموسى ومحمد صلى اللَّه عليهم جميعًا وسلم ، واللَّه أعلم .

الثالث : أن المراد بالتين مسجد دمشق وبالزيتون بيت المقدس .

وثمَّ أقوال أُخر ، والأكثرون على أن المراد بالتين التين الذي يؤكل والزيتون هو الزيتون المعروف الذي يُعصر .

وهذا هو الذي صوَّبه الطبري في تفسيره حيث قال : والصواب من القول في ذلك عندنا قول من قال : التين هو التين الذي يؤكل والزيتون هو الزيتون الذي يُعصر منه الزيت ، لأن ذلك هو المعروف عند العرب ولا يعرف جبل يُسمى تينًا ولا جبل يقال له زيتون ، إلا أن يقول قائل : أقسم ربنا جل ثناؤه بالتين والزيتون ، والمراد من الكلام القسم بمنابت التين ومنابت الزيتون فيكون ذلك مذهبًا ، وإن لم يكن على صحة ذلك أنه كذلك دلالة في ظاهر التنزيل ولا من قول من لا يجوز خلافه لأن دمشق بها منابت التين وبيت المقدس منابت الزيتون .

وصحح القرطبي أن المراد بالتين الذي يؤكل والزيتون الذي يُعصر ويؤكل، فقال: لأنه الحقيقة ولا يُعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا بدليل.

قلت : أما طور سينين فالأكثرون من أهل العلم على أنه طور سيناء الذي ناجى اللَّه سبحانه وتعالى عنده موسى ﷺ ، وقد جاء ذكره في قوله تعالى: ﴿ **وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا** ﴾ [مريم: ٥٢] .

* * *

س ـ ما المراد بالبلد الأمين ؟ ولماذا وصُف بأنه أمين ؟

ج : المراد بالبلد الأمين مكة، ووصف بأنه أمين أي: آمن لأن من دخله كان آمنًا، كما قال تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ**

النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧] ، وكما قال تعالى : ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ [النحل: ١١٢] وهي مكة ، فكان الرجل يلتقي بقاتل أبيه وبقاتل أخيه في الحرم ولا يتعرض له بسوء ولا يناله بأذى ، بل وهذا البلد الأمين لا ينفر صيده ولا يعضد شوكه ولا يلتقط لقطته إلا من عرَّفها .

* * *

س - وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٥ ، ٦] ؟

ج : تقدم أن أهل العلم لهم قولان في تأويل قوله تعالى : ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين: ٥] .

أحدهما : أن المراد ثم رددناه إلى أرذل العمر كما قال سبحانه وتعالى : ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [الحج: ٥] ، وكما قال سبحانه : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤] .

والثاني : رددناه إلى النار على وجهه في أقبح صورة بعد أن كان في أحسن تقويم ، وذلك بسبب كفره .

وعلى كل قول ينشأ للآية الكريمة تفسير .

فعلى القول الأول : فالمراد برددناه عموم الإنسان ، فالمعنى :

لقد خلقنا الإنسان في أحسن صورة وأعدل قوام وأتم عقل وقوة ذاكرة ، وصلنا به إلى ذلك بعد أن كان ضعيفًا في صغره ، وبعد أن وصل إلى هذه الحال من الاعتدال وحسن القوام رجع كرة أخرى يُنكس في الخلق ، كما قال تعالى : ﴿**وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ**﴾ [يس: ٦٨] فبدأ في الضعف والخور وذهاب العقل شيئًا فشيئًا وترك العمل شيئًا فشيئًا فينقطع أجره إذ لا عمل صالح يعمله ، لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات في حال صحتهم وقوتهم فهم وإن ردوا ـ كسائر الخلق ـ إلى أرذل العمر وانقطعوا عن كثير من العمل الصالح لضعفهم وقلة حيلتهم فأجرهم ما زال يكتب لهم غير مقطوع ولا منقوص كما قال النبي ﷺ : «**إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا**»[1] .

فعلى ذلك فالاستثناء في قوله تعالى : ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ [التين: ٦] استثناء منقطع ، فالمعنى: لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ـ وإن ردوا إلى أرذل العمر ـ لم ينقطع ثواب عملهم .

● وعلى القول الثاني فالمراد بالإنسان : الإنسان الكافر ، والمعنى : ثم رددنا الكافر أسفل سافلين في جهنم .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٩٩٦) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا ، وفي إسناده إبراهيم أبو إسماعيل السكسكي وانظر الكلام على هذا الحديث في «المنتخب» لعبد ابن حميد (بتحقيقي ٥٣٣) و«علل الدارقطني» (٢/١٦٧) و«التتبع» للدارقطني أيضًا ، و«هدي الساري» (مقدمة «فتح الباري») ترجمة إبراهيم بن عبد الرحمن السكسكي والكلام على الحديث الثاني والأربعين في مقدمة «الفتح» .

ورجح الطبري رحمه الله القول الأول بقوله :

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصحة قول من قال : معناه ثم رددناه إلى أرذل العمر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات في حال صحتهم وشبابهم فلهم أجر غير ممنون بعد هرمهم كهيئة ما كان لهم من ذلك على أعمالهم في حال ما كانوا يعملون وهم أقوياء على العمل ، وإنما قلنا ذلك أولى بالصحة لما وضعنا من الدلالة على صحة القول بأن تأويل قوله : ﴿ **ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ** ﴾ [التين: ٥] إلى أرذل العمر .

قلت : وقال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» منتصراً لهذا القول :

واستدل لهذا الوجه من نفس السورة . وذلك لأن الله تعالى قال في آخرها : ﴿ **فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ** ﴾ [التين: ٧] أي : بعد هذه الحجج الواضحة ، وهي بدء خلق الإنسان وتطوره إلى أحسن أمره ، ثم رده إلى أحط درجات العجز أسفل سافلين ، وهذا هو المشاهد لهم ، يحتج به عليهم .

أما رده إلى النار فأمر لم يشهدوه ولم يؤمنوا به ، فلا يصلح أن يكون دليلاً يقيمه عليهم ، لأن من شأن الدليل أن ينقل من المعلوم إلى المجهول والبعث هو موضع إنكارهم ، فلا يحتج عليهم لإثبات ما ينكرونه بما ينكرونه ، وهذا الذي ذهب إليه واضح .

ومما يشهد لهذا الوجه: أن حالة الإنسان هذه في نشأته من نطفة، فعلقة ، فطفلاً ، فغلامًا ، فشيخًا ، فهرم ، وعجز . جاء مثلها في النبات وكلاهما من دلائل البعث ، كما في قوله : ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ**

الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ـ إلى قوله ـ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ﴾ [الحديد: ٢٠] ، وقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٢١] .

فكذلك الإنسان ، لأنه كالنبات سواء كما قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ [نوح: ١٧ ، ١٨] .

ويكون الاستثناء إلا الذين آمنوا فإنهم لا يصلون إلى حالة الخرف وأرذل العمر ، لأن المؤمن مهما طال عمره ، فهو في طاعة ، وفي ذكر اللَّه فهو كامل العقل ، وقد تواتر عند العامة والخاصة أن حافظ كتاب اللَّه المداوم على تلاوته ، لا يصاب بالخرف ولا الهذيان .

وقد شاهدنا شيخ القراء بالمدينة المنورة الشيخ حسن الشاعر ، لا زال على قيد الحياة عند كتابة هذه الأسطر تجاوز المائة بكثير ، وهو لا يزال يقرئ تلاميذه القرآن ، ويعلمهم القراءات العشر ، وقد يسمع لأكثر من شخص يقرءون في أكثر من موضع وهو يضبط على الجميع .

وقد روى الشوكاني مثله ، عن ابن عباس أنه قال ذلك .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴾

[التين: ٧] ؟ ومن المخاطب بالآية الكريمة ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان :

أحدهما : أن المخاطب هو الكافر[١]، والمعنى : إذا عرفت أيها الإنسان أن الله خلقك في أحسن تقويم وأنه يردك إلى أرذل العمر وينقلك من حالٍ إلى حال فما يحملك على التكذيب بالبعث والجزاء وقد أخبرك به محمد ﷺ بما أوحي إليه .

الثاني : أن المخاطب هو رسول الله ﷺ ، والمعنى : فمن يقدر يامحمد على تكذيبك بالبعث والجزاء والثواب والعقاب بعد ما بينا قدرتنا في خلقه وتقلبه في الأطوار من طورٍ إلى طورٍ .

***

س ـ هل ورد أن النبي ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية : ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨] يقول : بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ؟

ج : ورد بأسانيد فيها كلام منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من قرأ منكم بالتين والزيتون فانتهى إلى آخرها ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨] فليقل : بلى وأنا على ذلك من الشاهدين» .

وفي إسناده رجل مبهم .

---

(١) أخرج الطبري بإسناد صحيح عن منصور قال : قلت لمجاهد : ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ [التين: ٧] أعنى به النبي ﷺ ؟ قال : معاذ الله عنى به الإنسان .

وقد ورد نحوه عن قتادة مرسلاً .

وورد نحوه عن ابن عباسٍ موقوفًا عند الطبراني وفي إسناده مقال .

* * *

س ـ اذكر بمزيد إيضاح معنى قوله تعالى : ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨] ؟

ج : تقدم[1] أن همزة الاستفهام تحمل معنى النفي ، وليس نافية أيضًا ، ونفي النفي إثبات ، فالمعنى : اللَّه أحكم الحاكمين ، وعليه فننقل قول عطية سالم في «**تتمته لأضواء البيان**» ، قال رحمه اللَّه :

قوله تعالى : ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ**﴾ [التين: ٨] .

السؤال كما تقدم في (ألم نشرح) أي : للإثبات ، وهو سبحانه وتعالى بلا شك أحكم الحاكمين ، كما ثبت عنه ﷺ أنه كان إذا قرأها قال : «**اللهم بلى**» كما سيأتي .

وأحكم الحاكمين ، قيل : أفعل تفضيل من الحكم أي : أعدل الحاكمين ، كما في قوله تعالى : ﴿ **وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا** ﴾ [الكهف: ٤٩] .

وقيل : من الحكمة ، أي : في الصنع والإتقان والخلق ، فيكون اللفظ مشتركًا ، ولا يبعد أن يكون من المعنيين معًا ، وإن كان هو في الحكم أظهر ، لأن الحكيم من الحكمة يجمع على الحكماء .

---

(١) وذلك في تفسير سورة الانشراح .

فعلى القول بالأمرين : يكون من استعمال المشترك في معنييه معًا، وهو هنا لا تعارض بل هما متلازمان ، لأن الحكيم لابد أن يعدل ، والعادل لابد أن يكون حكيمًا يضع الأمور في مواضعها .

وقد بين تعالى هذا المعنى في عدة مواطن كقوله تعالى : ﴿**أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ**﴾ [ص: ٢٨] ، الجواب : لا ، وكقوله: ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾ [الجاثية: ٢١] ، وفي قوله : ﴿**سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾ بيان لعدم عدالتهم في الحكم ، وبعده عن الحكمة .

ومعلوم أن عدم التسوية بينهم في مماتهم أنه بالبعث والجزاء ، فهو سبحانه أحكم الحاكمين في صنعه وخلقه . خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وأعدل الحكام في حكمه لم يسوِّ بين المحسن والمسيء .

وقد اتفق المفسرون [١] على رواية الترمذي لحديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا : «**من قرأ والتين والزيتون ، فقرأ أليس الله بأحكم الحاكمين ، فليقل : بلى ، وأنا على ذلك من الشاهدين**» .

ومثله عن جابر مرفوعًا ، وعن ابن عباس قوله : «**سبحانك اللهم ، فبلى**» . والعلم عند الله تعالى .

---

(١) قد قدمت الكلام على هذا الحديث .

● وقال السعدي في تفسيره « تيسير الكريم الرحمن .. » :

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾ [التين: ٨] فهل تقتضي حكمته ، أن يترك الخلق سدىً ، لا يؤمرون ، ولا ينهون ، ولا يثابون ، ولا يعاقبون؟ أم الذي خلق بني الإنسان أطواراً ، بعد أطوار ، وأوصل إليهم من النعم ، والخير ، والبر ، ما لا يحصونه ، وربَّاهم التربية الحسنة ، لابد أن يعيدهم إلى دار ، هي مستقرهم ، وغايتهم التي إليها يقصدون ، ونحوها يؤمون ؟ .




مطابع
القاهرة ٤ ش العرب من الأربعين - جسر السويس
محطة الجراج خلف سنترال النزهة
ت: ٢٩٩٩٥٢٧ ـ ٢٩٩٥٧٤٣ / ٠١٠٦٦٩٥٧٤٣ فاكس: ٢٩٧٨٤٧٤

٣ ـ فهرس السور والموضوعات

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة